



الجــزء الأول

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

مطبوعات نادي الطائف الأدبي



ⓒ نادي الطائف الأدبي ، ١٤٢٣هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العبادي ، علي بن حسن
ماهكذا يكتب الشعر / علي بن حسن العبادي - الطائف ١٤٢٤هـ .
٤١٧ ص ، ١٧×٢٤ سم
ردمك : ٧-٣٨-٦٢٠-٩٩٦٠
١- الشعر العربي – نقد   أ- العنوان
ديوي ٨١١,٠٠٩   ١٤٢٤/٦٩٧٢

رقم الإيداع : ١٤٢٤/٦٩٧٢
ردمك : ٧-٣٨-٦٢٠-٩٩٦٠


بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـــة

بقلم معالي الأستاذ الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الخويطر
وزير الدولة عضو مجلس الوزراء

أطلعني الأخ العزيز الأستاذ علي بن حسن العبَّادي على مسوَّدة كتابه " ما هكذا يكتب الشعر " ، وتطلَّع إليَّ أن أكتب مقدمته ، حسن ظن منه أن لي صلة بالأدب والشعر ، لأني أولاً خريج المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة ، وكلية دار العلوم بجامعة القاهرة بمصر ، ولأن لي بعض المؤلفات التي رشفتْ من رحيق الأدب وتاريخه ...

وقرأت المسوَّدة كلمة كلمة ، لأن الكتاب شدَّني من عدة نواحٍ ، منها أن كاتبه دقيق في مراعاة أصول اللغة : أسلوبها ، ونحوها ، وصرفها ، ونهجها . ومنها أن كتابه بأكمله يدور في فلك علم مهم جداً ، وهو مثل علم الفرائض طيّار ، يتبخر من ذهن العالم بسرعة عجيبة ، حتى أصبح أصحاب هذا وهذا ، يُعدّون على الأصابع في كل القرون التي مرت ، ويدور كذلك حول علم صعب جداً .. يكفي أن العيوب التي يتعرض لها هذا العلم ، يعجز عن حفظها وتطبيقها أقوى الكتَّاب ذاكرة وفهماً وإدراكاً ، ولنا أن نلقي نظرة على الزحافات

والعلل وعيوب القافية التي وردتْ في الكتاب ، ممثلة كلفاً في وجه بدر الشعر ، ومن هذه الزحافات والعلل وعيوب القافية : الخَبْن ، والقَبْض ، والعصْب ، والعقْل ، والنقْص ، والكف ، والخَرْم ، والخَرْب ، والشتْر ، والتشعيث ، والطي ، والخَبْل ، والسناد ، والقطْع ، والإقعاد ، والاختلاس ، والوقْص ، وبعضها جوائح من أمراض الشعر ، مثل الأوبئة للناس عرف منها ماعرف ، ولكن الزمن يطلع علينا بجديد ، وإذا كان للإنسان إنفلونزا آسيوية ، برزت لنا فجأة ، فأرجو أن يحمي الله الشعر من إنفلونزات يُبتلى بها ، وأخشى لو " طعَّمناه " بمضادٍّ لها ، أن تدخل علينا الخيانة من الشعر الحديث الذي لا تثْبتُ له قاعدة ، ولا يدوم له أساس .

معرفتي بالأخ الأستاذ علي تأتي من عدة طرق : إحدى هذه الطرق صلته بالنادي الأدبي في الطائف ، ونشاطه يُشرِّق ويُغرِّب ، وينالنا من فيض سحائبه الأدبية ما أعتز باقتنائه ، والطريقة الثانية : أنه كان رجل تعليم بارز ، وبصفتي وزيراً للتعليم العام في وقت مضى ، كان لا بد أن تكون لي معرفة وصلة برجل تخرَّج على يديه ـ معلماً ومدير مدرسة ـ رجال نعتزُّ بهم في مقامهم اليوم من المسؤولية ، وهي صفة أراه يعتز بها ويفاخر ، وله حق أن يفاخر

بتلاميذه الذين حققوا نجاحاً في الحياة العملية ، وخدموا بلادهم خدمة جُلَّى ، وساهموا في رفع شأنها ، ودفع سيرها إلى الأمام ، مثبتة أنها أهل لأن تكون عضواً فاعلاً في الأسرة العالمية ، وعمارة الكون في حدود ما يسَّر الله لها .

ومساهمته في التعليم ، وتثقيف الجيل ، إنما هي مساهمة مع البيت في إخراج جيل على مستوى يفخر به من التربية ، وحسن الخلق ، والشعور بالمسؤولية ، فله النصف كاملاً مما يأتي من طالبه من تبريز واقتدار ، وهذا يجعلني أطمئنه عن أمر ألمح إليه عدة مرات ، وهو أهمية حرف " د " وحامليه ، وأؤكد له أننا نعدُّه حامل " د " و " د " و " د " بما فعله ، ولو قدّم ربع علمه بالعروض ، لحصل على " د " تسد الأفق في حجمها ، وكم حامل " د " ليس له منها إلاَّ الاسم ، وكنت أحث طلابي على التقدم للدكتوراه ، لأهميتها في المجتمع ، ولسهولة الحصول عليها ، فدراستها تحصرها في حقل علمي ضيق ، والتركيز فيها هو في طرق البحث ، والبكالوريوس أصعب منها ، لأن فيها علوماً شتَّى ، والذهن فيها مشتَّت ، والأساتذة متعدِّدون ، ولكل منهم مزاجه ، بينما الدكتوراه ليس أمامك إلاّ أستاذ واحد ، ومزاج واحد ، وحقل واحد .

إنهم في الغرب لا يهتمون بالدكتوراه إذا وجدوا مدرساً مبدعاً ، إنهم يقدمونه ، ويصبح ممن يعطي الدكتوراه ، أو يمتحن طالبها ، وكلية دار العلوم ، وكانت في قمة مجدها وقوتها ، أساتذتها البارزون لا يحملون الدكتوراه ، وتخرج على أيديهم من لا يحصى من حامليها .

لا يلوّح بالدكتوراه إلاّ من يشعر بالنقص ، يقدمها أمامه ستاراً وتُكأة ، ليُتغاضى عما قد يتبين عنده من النقص ، أجلْ يا أخي علي ! هناك من تفخر به الدكتوراه ، وهناك من يفخر بها ، لنا أن نفتخر بأساتذتنا ، وإذا ما وفّقنا الله فلهم أن يفخروا بنا ، لي أن أفخر بالشيخ عبد الرحمن بن سعدي ـ رحمه الله ـ ، في عنيزة ، ولي أن أفخر في مكة ، بعلي جعفر ، وصالح كاشف ، ومحمد بخش ، وأحمد حدّاوي ، وعمر حمام ، وعبد الرحمن ميمني ، وعمر عبد الجبار ، وإبراهيم الهويش ، وعلي هندي ، ومحمد سعيد الدباغ ، وعبد الله شطا ، ثم إبراهيم فطاني ، وحسين فطاني ، وعبد الله عبد الجبار ، وإبراهيم السويل ، وعبّاس أشعري ، ومحمد حلمي ، هذه قناديل أضاءت طريقي ، وطريق زملائي ، ولك أن تفخر كل الفخر بأنك جلست في حلقة الرجل الفاضل السيد الجليل علوي عباس مالكي ،

العالم المعروف ، وله من التلاميذ عدد لايحصى ، ولك أن تفخر أن رضعت من لبان العواد ، وشحاتة ، والسرحان ، وغيرهم ، ممن كان بودي أنك عددتهم ، وفاءً بحقهم .

أخذتني العاطفة بعيداً عن الكتاب وموضوعه ، وسوف أَقْسِرُ نفسي على الخروج من الحديث عن أساتذتي ، وهو حديث يحلو ، ولكن قبل أن أفعل ذلك ، أود أن أذكر أن ممن أفخر بالتتلمذ لهم في كلية دار العلوم ، ممن لا يحمل الدكتوراه ، ولكنه حمّلها آخرين ، الأساتذة :ـ زكي المهندس ، وإبراهيم مصطفى ، وعلي الجندي ، وعلى النجدي ، وعلي الطهطاوي ، وعلي حسب الله ، وسيد إبراهيم ، وعمر الدسوقي ، وعباس حسن ، ومبروك نافع ، وممن كان يحمل الدكتوراه :ـ علي عبد الواحد وافي ، وإبراهيم أنيس ، وإبراهيم العدوي ، وهناك من لم تمسكه الذاكرة ، متّع الله بحياة من بقي ، ورحم من سبق إلى جوار ربه .

وبعد :

فخرج الكاتب من بيته ، وركب حصانه ، وامتشق سيفه ، وتنكّب قوسه ، وبهذا فقد صمّم على دخول معركة ، والقتال فيها مختاراً ، عارفاً بما قد يناله من سيوف خصومه ونبالهم ، وأخذ يطعن

هذا ، ويقطع عضواً من هذا ، ويصْفع هذا ، وأعطى كل واحد ما يرى أنه يتماشى مع ما جاء منه من خطأ في نظره ، لقد عرف مناوئه ، وحدّد خصمه ، وبيّنه في مقدمة كتابه ، تهيئة للانقضاض ، واستعداداً للمصاولة والمجاولة ، ولسان حاله يقول : لقد أعذر من أنذر ، فهل من مبارز ؟ .

ويُرجّح حظّ المؤلف على حظّ خصمه ، فنحن نقرأ رأيه ونقبله لما فيه من منطق ، في حدود القواعد التي قدّمها بين يديه ، والأسس التي وضعها لسيره فيما هو مقدم عليه ، ولكن خصمه محجوب عنّا فعله ، ولا ندري ما هو موقف خصمه أمام الهجمات التي كيلتْ له ، ولا ما هو السلاح الذي دافع به ، ولا الأسس التي اتخذها منطلقاً لدفاعه ، .. ولعل هذا الكتاب يكون دافعاً لمن لمسهم الأمر أن يكتبوا ردهم مطوّلاً ، إلاّ إذا رأوا أن السكوت أسلم ، على أن هناك من بيّن لنا نفسه ، من خلال ما اقتبسه المؤلف من اعتراض بعض من انتقدهم ، ودافع عمّا قال ، فامتشق المؤلف حسامه من جديد ، وبدأ ضرباً أقوى من الانقضاض الأول ، إلاّ في حالة واحدة تقريباً ، رأيناه يبتسم في المعركة ، خلافاً لما اعتدناه من تكشيرة المقاتل الذي عرفناه ، بل رأيناه يمد يده لخصمه ، ويصالحه ، ويربّت على كتفه ، ويعترف له

ويعتذر ، وذلك في رده على الدكتور الفاضل حمود بن محمد الصميلي ، في المقالة (١٤) ، وقبوله ما أبانه الدكتور حمود ، وإقراره أنه كان متسرعاً في حكمه الذي سبق أن أبداه ، وأنه غمطه حقه ، الذي اتضح له بعد الإبانة ، وبعد قراءة قصيدتين أخريين للدكتور حمود ، وفي هذا دليل على أن المؤلف ينصاع للحق عندما يتبين له ، وأنه من الشجاعة بحيث يقر بخطئه ، ويتراجع بجرأة فائقة عن موقفه ، والشجاعة في الرأي أقوى من الشجاعة في الاندفاع فيما يعرِّض الجسم للخطر ، أي أقوى من الشجاعة في ميدان القتال .. وهذا أمر مضيء يحمد للشخص ، ويرجى أن يكون فيه قدوة للذين يحاولون المكابرة ، أو التملص من الخطأ .

وقد شعرت في مرحلة من المراحل أن أقف في الظل مع خصمه، وأشهد أن للعاطفة دخلاً في موقفي ، لأني أمتُّ بصداقة ، وقرابة زمالة مع الأستاذ الدكتور منصور الحازمي ، ولهذا أقول بصوتٍ مسترجٍ من الأستاذ علي ، أن يجد معي أن الأستاذ الدكتور منصور محق في بيته :

" كلّمتْ قال صاحبي   من تُرىَ ؟ قلتُ موْعدا

ويَعُد الفعل الذي نصب موعداً مقدراً ، وهو " أرى موعداً " ، أي أن المكالمة ترمي إلى موعد ، وحتى يكون الأمر مقبولاً هو موعد غرام ، أو مكالمة غرامية !

والمؤلف في كتابه هذا ، في هذه الحقبة من سيرنا ، ينقلنا من الهشيم المصوِّح من الأدب ، إلى رياض غناء ، ألفنا نبتها ، وتظللنا كثيراً بكثيف دوحها ، وتمتّعنا بزهرها ووردها ، وتنسّمنا عبقها وريحها، وقد افتقدنا فيما نقرأ الآن هذه النعمة الأدبية ، وعشنا مرغمين مع غثاء ، إلاّ من بصيص نور يأتي هنا أو هناك ، ونسيم عليل يتسلّل إلينا بين آونة وأخرى ، يرد لنا بهجة رُوحنا ، وطمأنينة أنفسنا ، ويعيد لذوقنا ما فقدناه ، بسبب فوح نار " سلْق البيض " الذي نُمطر به ، وجلاميد الهُراء التي تتساقط علينا ..

دخلتْ على الحياة الأدبية أكدار ، لمست المنهج في سلامته ، والأسلوب في سلاسته ، والألفاظ وشرفها واستقامتها ، والصور ووضوحها ، والتعبير ودقته ، والنحو وصحته ، والمعنى وجمال بنائه ...

إن هذا الكِتَاب يأتي جداً وسط هزل ، وضياءً وسط ظلمة ، وجمالاً وسط قبح ، ونهجاً مستقيماً بعد نهج مشوّش مضطرب ، فأرجو أن يكون فتحاً يُقتدى به ، ويسار على هديه ...

وأنا لا أدخل هنا إلى ما إذا كان المؤلف محقاً في نقده أو غير محق ، وما إذا كان عادلاً في تعامله مع من لمس شعرهم أو جائراً ، ولكنَّ قولي منصب على الكلمة ومظهرها ، وأسلوبها العربي الفصيح ، الذي لم يخالف النهج الأدبي الصحيح ، الذي عرفتْه أجيال قوّة الأدب في عصوره المزدهرة .

أؤكد هنا أني لا أدخل بين المتعارِكَيْن ، ولا أرجّح واحداً على الآخر ، فهذا أمر أتركه للقارئ ، هو الذي يحكم بما يجده من أسباب قوة أو ضعف ، وأرجو أن أكون أعقل من أن أرى الرّحَى تطحن بكل قوتها ، فأدخل مختاراً بين طبقيها ، " فأنطحن " مع دقيقها !!

نحن نقبل النقد من باب أنه يأتي من رجل مؤهل ، يُقَدِّم بين يديه القواعد التي اعتمد عليها ، وهي قواعد نعرفها جيداً ، فنجد فيما يقوله منطقاً ، وتبقى كفّته راجحة عندنا حتى يأتي المنْتَقد ، فيدلي بحجته ، فإن كانت أقوى ملنا معه ، وإن لم تكن بقينا مع ولائنا السابق .

لا بد أن مقالات الأستاذ علي العبَّادي قد أحدثتْ رعباً لبعض من لا يهتمون بالعروض ، وأوزان الشعر ، ولا بد أنهم رأوا فيما قاله ما سوف يؤثر عليهم مستقبلاً ، فأن لا تعلم عن الشيء يختلف عما إذا علمت ، وستكون عقدة نفسية عند بعض الشعراء الشادين ، وكسر الشعر " بعبع " الشعراء من قديم ، وكانوا إلى وقت قريب ، خاصة شعراء الشعر العامي يتغلبون على هذه الآفة بالتنغيم ، وهو لهم " صمَّام أمان " ، لأن النغم محك صادق في معرفة ما إذا كان البيت مكسوراً ، أو ناقصاً ، أو فيه تفعيلة زائدة ، وقد أُهمل للأسف الشديد ، هذا الجانب إهمالاً تاماً ، مع أنه كان مراعىً حتى وقت قريب (بالنسبة لعُمْري) ، ولكن حياء بعض الشعراء من التغني ، خاصة إذا كان صوت الشاعر رديئاً ، ربما كان وراء هجر هذا الجانب ، وأهمية التنغيم للشاعر تتبيّن في شعر العرضات ، فأنت تجدها سليمة حتى من الآفات الشعرية المقبولة ، وأنا أعرف بعض الشعراء الفطاحل ممن سبق الآن إلى ربه ، ينغّم بينه وبين نفسه ، وزملاؤنا في الدراسة عندما كنا في المعهد ، كانوا يعرضون النصوص على النغم ، ويعجب بعض أساتذتنا ، ممن لا يعرفون هذا النهج ، كيف اكتشف الطالب هذا العيب ، على حداثة سنة ، ولم يدر أن

أداته أصيلة ولاتخونه وهي التنغيم ، وكان من أحب الأبيات تنغيماً عندنا البيت الآتي :

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأُخبرَه بما فعل المشيبُ

وكان النغم يساعدنا في الامتحان على سرعة معرفة وزن البيت ، والوقت أيام الامتحان ثمين ، أما تقطيع البيت فيصبح حينئذ سهلاً .

وقد فوجئ بعض الإخوان الوزراء يوماً في حضرة جلالة الملك خالد ـ رحمه الله ـ ، عندما ألقى أحد رجال البادية قصيدته في مدح الملك خالد ـ رحمه الله ـ ، منغمة ، وكان الإلقاء مبهجاً ، وكان في الصحراء .

لا أشك أن بعض الشعراء ، عندما يفكرون بعد اليوم ، وبعد أن يكونوا قرؤا هذا الكتاب ، سوف تكون عينٌ منهم على شعرهم والثانية على العروض ، وسيكون العبَّادي مخايلاً لهم ، وسيبرد سبْكهم لشعرهم نتيجة لذلك ، ولكنْ آخرون قد لا يبالون بالخَبْن والخَبْل وغيرهما من الزحافات ، ويؤملون أن من سيقرأ شعرهم لم يكن اطلع على هذا الكتاب ، أو يقولون مع عدم مبالاة :

أنامُ ملْء جفوني عن شواردها ويسهرُ الخلقُ جَرّاها ويختصمُ

وعلى هذا ينقسم جمهور القراء إلى فريقين ، فريق مع الشاعر ، وفريق مع الناقد ، وكلٌّ سعيد بفريقه ، ألسنا في عصر الرياضة ؟

دعا الأستاذ علي العبَّادي الشعراء أن يعرضوا شعرهم على العروض ، أو من يعرف العروض ، وأعانه الله إذا ما جاءه سيل من الشعر لتعديل ما مال منه ، ولكنه في ناديه مهيأ لهذا ، خاصة وأنه دعا إليه .. وكنت أود منه أن يذكر بعض كتب العروض الحديثة ، حتى يرجع إليها من أراد ، خاصة أنّها أقرب إلى التناول ، لحداثة طبعها ، وسهولة عرض ما فيها ، وكان الحصولُ على كتب العروض في زمن مضى هوايةَ الشباب ، وتقطيعُ الأبيات مجالاً للتسلية ، وأحياناً للتعجيز بين المتناظرين ، وهي هواية نبيلة وشريفة .

وكتاب " ما هكذا يكتب الشعر " ، خير دعاية حديثة لعلم العروض ، الذي قد يجهله كثير من الشعراء الشادين ، لأن الكسل الذهني ، نتيجة الترف الذهني ، مثل الكسل البدني ، نتيجة الترف البدني ، يحرم المرء كثيراً من نتاج الحركة البدنية والفكرية ، وتسبب هذا في أن يقْصر الشادون قراءتهم على بعض صفحات الجرائد ، أو المجلات ، أو البرامج التليفزيونية ، والآتي بسهولة يذهب بسهولة ،

ولهذا هُجرتْ كتب أصول العلوم ، وأصبح ما يؤخذ من العلم هو فُتاتَ الموائد ، وما يلقيه بعض الدارسين ، وهذا لا يكفي ، وصدق الرجل الذي سأل ابنه : مِثْلَ مَنْ تود أن تكون إذا كبرت ؟ قال الابن : مثلك يا والدي ، قال الأب :ـ لقد سعيت أن أكون مثل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فلم أصل إلاّ إلى ما تراني وصلت إليه ، فعليك أن تسعى لتكون مثل من سعيت أن أكون مثله .

وبعد :

فتشبَّهوا إن لم تكونوا مثْلَهم   إنَّ التشبُّهَ بالرجال فلاحُ

فلنغْرف مما غرفوا منه ، ولنسع إلى ما سعوا إليه ، وعندنا من الوسائل الحديثة ما لم يكن عندهم ، مما يجعلنا نطمح أن نصل إلى ما وصلوا إليه ، ونزيد عليه .

وهذا الكتاب ذكّرني في جملة ما ذكّرني ، دراستي في دار العلوم ، وحرص أساتذتها على التمسك باللغة العربية في جميع علومها ، وعدّهم أنفسهم حماة لها ، بعد أن قُفلتْ كلية المعلمين العليا ، وأساتذة دار العلوم يصرون على بقاء القوة فيما يعلّمونه ، ولهذا يصرّون على أنه لا يدخلها إلاّ خريج ثانوية المعاهد الأزهرية ، المنبثّة في الأرياف ، وهؤلاء يأتون وقد حفظوا القرآن ، وحفظوا

الألفية ، ودرسوا الأجرومية ، ودرسوا شرح ابن عقيل في النحو ، هذا عدا بعض مؤلفات كبار العلماء في اللغة والأدب والبلاغة ، ليجدوا أمامهم كتب فطاحل آخرين ، من أمثال الأشموني ، وحاشية الصبَّان ، وكنا نلهث لنجاريهم ، وقد اضطر بعضنا إلى البقاء في السنة الأولى سنتين أو ثلاثاً ، وكانوا يغضون النظر عن رسوبنا أكثر من سنتين ، ولا يطالبوننا عند الدخول بما يُطالب به الطالب المصري ، من حفظ القرآن ، والمرور بامتحان شفوي وامتحان مقابلة ، جزاهم الله خيراً ، فقد غمرونا بفضلهم ، وصبروا علينا ، وليس منا والحمد لله ، إلاَّ من كان عند حسن الظن ، والنجاح الذي أثْلجَ صدور أساتذتنا الأفذاذ .

هذا الكتاب يؤكد إتقان الأستاذ علي لعلم العروض ، ويدل على مقدرته على حسن تطبيقه ، ويكشف مقدار تعلقه به ، واعتزازه بأن يكون مدافعاً عنه ، ولافتاً النظر إلي وجوب مراعاته ، ومقدراً جهود الخليل بن أحمد ، والأخفش ، في سعيهما إلى حماية أوزان الشعر العربي الأصيل ، بابتداع الخليل بن أحمد لهذا الفن المتقن ، ومتابعة الأخفش له ، وما قاله الأستاذ علي في تبيان فضْلهما ، بعد الله ، على هذا العلم ، وما بسطه في هذا المجال ، لا يدل فقط على

تقديره لهذا العمل الفريد ، ولكن يريد من الشعراء أن يعرفوا فضْلهما عليهم ، وإذا لم يكن بعض الشعراء قد استفاد من الأوزان كما وضعاها ، فإنه عند النزاع والحجاج والاعتراض ، لن يجد أيّ منهم ميزاناً يبين الصواب من الخطأ غير هذا الميزان ، والفضل لا يتبيّن بوجود هذا العلم ، وما جاء فيه من استقصاء ، ولكن في عدم وجوده إذا لم يكن موجوداً ، وكيف كانت حال الناس لو أُهْمل هذا الجانب ، ولم يتنبه له حينئذ .

هذا كتاب سوف لا يكون جمهور قرائه كبيراً ، وسوف يقتصر على صفوة من الناس ، وسوف يليق بهم ، ويليقون به ، ((وأُمُّ الصقرِ مِقْلاتٌ نَزورُ[1])) ، والكثرة ليست مقياساً للنجاح ، ولا لثبات الفائدة ، ولكن رغم جدية المنهج ، وصعوبة العلم ، لن يعدم أن يكسب من خارج حقله ، اليوم أو غداً ، من يدخل جادّته بعد أن

---

[1] الشطر الثاني من بيت شعر للعباس بن مرداس ، ويُروَى لكثيّر عزَّة ، والبيت هو :ـ

بغاثُ الطيْر أكثرُها نِتاجاً وأُمُّ الصقرِ مِقْلاتٌ نَزورُ

والمِقْلاتُ :ـ من الفعل (قَلِتَ) التي لا يعيش لها ولد ، والنزور :ـ القليلة الولد .

وفي بغاث الطير لغتان : ـ بَغاث وبِغاث بالفتح والكسر ، فأما الضم فخطأ عند أهل العلم باللغة ، وقد أجاز بعضهم الضم ، والقلَتُ ، بفتح اللام :ـ الهلاك ومن ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال :ـ ((المسافر وما معه على قَلَتٍ ، إلاَّ ماوقَى الله عز وجل)) .

يذوق حلاوته ، ومن يدري فقد يعيد الله له مجده ، بفتح جديد بين الشباب الجادين في هذه الحياة ، والصفوة فيها الأمل ، وليس الأمل فيما تعكّر وكدر .

ومخاطبة أهل الفهم والإدراك ، والمختارين في أي حقل ، فيها شرف الفعل ، وضياء الثمرة ، وبقاء التأثير ، وانتشار الفائدة ... ويكفي أي مؤلف أن يجد أذناً صاغية ممن عناهم في المخاطبة ، واتجه إليهم بالقول ، وأحسن في فهمهم وتقديرهم لجيد العطاء ، وما فيه إبداع وتميز .

وفي آخر هذه الكلمة يأتي التساؤل ، هل بهذا تنتهي المعركة بين الأستاذ علي ، ومن دغدغ كبرياءهم ، أو أن معركة أشرس سوف تبدأ ، ولكني لا أظن أنه يحمل همّاً لهذا ، فقد وطّد نفسه للعراك ، لأنه مؤمن بأن له رسالة ، ولا يصل صاحب الرسالة إلى الثمرة الحلوة ، إلاّ بعد معاناة مرارة الجهاد .

سوف يحتل كتاب الأخ الأستاذ علي العبَّادي محله في المكتبة العربية ، وسيكون مفحصه واسعاً ، ورفُّه مضيئاً مقدَّراً ومرحَّباً به ، وهذا يكفيه مقابل ما بذل من جهد ، وما أنفق من وقت .

وفقه الله ، وأرانا من نتاج عقله ، ما نؤمله في رجل عنده من مخزون السنين ، ما يسمح له بأن يثري جوانب الأدب وحضارته .

تقـــديـــم

بقلم الأستاذ الدكتور / عيّاد عيد الثبيتي
أستاذ في اللغة العربية وآدابها
بجامعة أم القرى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، بلسان عربي مبين . . . وبعد :ـ

فمن حقِّ هذا الكتاب الماتع (ما هكذا يكتب الشعر) ، أن يحتفي به الغُيُر على الشعر العربي ، بعد أن تجاسر على حماه كثيرٌ من ضَعَفَة الكتبة ، ومكدودي القريحة ، ومن حقِّ مؤلّفه أن ينال حقه من التجلّة والثناء ، فهو أديب رائد ، أمضى في العلم ـ طلباً وأداءً ـ عقوداً من السنين الحافلة ، بالجدّ والمثابرة والعطاء ، أخذه حرصاً عليه عن أساتيذَ كُثُر ، من شيوخ الحرم المكيّ الفضلاء ، ومعلمي المعهد العلمي النبلاء ، وظلّ يؤدِّيه سخيّة به نَفْسُه ، منشرحاً بأدائه صدره نيِّفاً وأربعين سنة ، كان الكتاب ـ ولا يزال ـ شُغُله ، يتتبع أخبار نفائسه ، ويُغالي في اقتنائه ، فلا أعرف مكتبة خاصة في الطائف تداني مكتبته ثراء وتنوعاً ، وماذا أقول في مكتبة رجل شغوف بالكتاب غاية الشغف ، يجمع نوادره منذ زمن يتجاوز خمسين عاماً ، ويجيد صحبته ، فالقراءة متعته التي لا تدانيها متعة ، لا يقصرها على باب ،

ولا يحجرها على فنٍ من فنون التراث ، وإن كان الأدب واللغة ، والتاريخ والأنساب ، في صدر ما يُعنى به قراءة وبحثاً ، أما العروض فقد أتقنه إتقاناً بيِّناً .

من حقّ أديب الطائف الأستاذ علي بن حسن العبّادي على أدباء الطائف - كافة - أن يعرفوا قدره ، وأن يفتخروا به ، ومن حقه عليَّ - على وَجْهٍ خاص - أن أشكر ما لقيتُ من عنايته وتشجيعه ، فلقد كان انتقاده لخلل عروضي في أبيات لي قبل أربع وعشرين سنة ، حافزاً على قراءة جادَّة في كتب علم العروض ، أفضت إلى تدريسي إيّاه سنوات ، ذلَّ بعدها لي عصيُّه .

ولقد أحسن الأستاذ العبَّادي إلى نَفَرٍ يريدون أن يتجمّلوا بالشعر ، ولا تواتيهم ملكاتهم بجيدٍ منه ، وتقْصُرُ مداركهم عن إقامة وزنه ، فأراحهم من عبء لا يزيدهم حمله إلا وهناً ، وأراح الشعر من غثاء لا يزيد الشداة إلاّ ازدراءً للشعر ، وإعراضاً عنه ، والشعر فنُّ العربيّة الأول .

وأحسن الأستاذ العبَّادي إلى العلم فذبَّ عن رسومه ، وناضل عن حدوده ، وأقام الدليل البيِّن على أن علم العروض في ذروة علوم العربيّة رفعة ، ومعرفته حصن من زيغ الزحاف ، وعناء العلل لكثير

من الشعراء ، وإن كان ـ وحده ـ لا يُثْمِرُ ملكة ، ولا تجود به قريحة كالَّة .

بقي أن أشير إلى أمور ثلاثة ، لا أجد مناصاً من الإشارة إليها في هذه العجالة :

أولها : أنَّ أستاذنا العبَّادي قصَرَ مآخذه على الشعراء أو المتشاعرين على الجانب العروضيّ من علمي الخليل ، ويقع كثير منهم في أخطاء جسام في القافية ، لا يدركها إلا أمثال الأستاذ العبَّادي من المدققين .

وثانيها : أن هذا السفر القيِّم يَحْسُنُ ألاَّ يظل يتيماً ، فهل يعاود الأستاذ العبَّادي كتابة مقالاته الماتعة (ما هكذا يكتب الشعر) ؟ ليذود عن حياض الشعر ، غثاءً كثيراً يجمل ستره ، ولا يحسنُ بالعقلاء نشرُه .

وثالثها : أنَّ الأمور التي أشار إليها الأستاذ العبَّادي في نقداته ، غالبُها الحجة فيه واضحة بيّنة ، ومنها مالاختلاف الرأي فيه مجالٌ رَحْب ، وأملي أن يجد هذا النوع من المناقشة ما يستحقه ، مما يحفظ لهذا الجهد السخيّ أثره ، ويعيد إلى هذا العلم السنيّ خطره ، والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب ، وأن يُجزل لكاتبه الثواب على نبيل قصده ، وجميل فعله .

محنة الآداب والفنون

بقلم الأستاذ / محمد صلاح الدين
الكاتب والأديب المعروف

سعدت كثيراً حين وقعت عيني في جريدة الرياض الغراء ، على ثلاث مقالات لأخي الكبير الأستاذ علي حسن العبَّادي ، بعنوان (ما هكذا يكتب الشعر !؟) ، نُشر آخرها بتاريخ ١ / ٣ / ١٤٢٢هـ ، وحمدت الله أن وجد أستاذنا الكبير فسحة من وقته المزدحم بالقراءة والبحث والتعليم ، ليطل على الساحة الأدبية بشيء من النقد الأصيل ، يُقوّم به ألْسنة هؤلاء الناشئين الذين أغرتْهم بإيذائها سهولة النشْر وإغضاء النقد ، كما يقول الأستاذ أحمد حسن الزيات (رحمه الله) ، ويصحّح للكثيرين من المبتدئين الذين نفختْ أوْداجَهم ألْقابُ الإبداع والريادة ، التي غدت تطلق في صحفنا دون حسيب ولا رقيب ، على كل من هب ودبَّ ممن لا يملكون فكراً ، ولا يحسنون نثراً أو شعراً ، ولا يفقهون لغة ، ولا يأبهون لبلاغة أو نحو أو عروض .

إن إعراض أساتذتنا من أهل العلم باللغة والدراية العميقة ، بأصول البلاغة وعروض الشعر وفنون الأدب ، من أمثال الأستاذ علي حسن العبَّادي ، قد أدَّى إلى أن تمتلئ صحفنا السيارة بغثاء من الشعر والنثر ، وأن يتقارض هؤلاء الكتبة والشعراء الثناء ، وتنهال عليهم مدائح الجهلة وألقاب التافهين ، ويدوِّي في آذانهم هتاف

النظارة ، حتى ظنوا أنهم عباقرة الدهر ، وعمالقة الكلمة ، وأفذاذ الأدب ، فلم يعودوا يقبلون نقداً ، ولا يستمعون لنصح ، أو يأبهون بتعليم وإرشاد .

ورحم الله كبار شعرائنا وأدبائنا الذين قضوا نحبهم ، أو هم يعيشون بين ظهرانينا في عزلة وصمت ، دون أن تُضفَى عليهم ألقاب الريادة ، أو تسلط عليهم أضواء الصحف والتلفزة ، أو تنشر صورهم بالألوان والمكياج .

بل لقد بلغت محنة الأدب والفنون ، وهبوط الأذواق ، وفشو العامية ، وانتكاس الذوق العام ، واجتراء أنصاف المتعلمين وأرباعهم ، أن غدت العربية الفصحى وفنونها ، ونماذجها الرفيعة ، هدفاً مستباحاً للتهجم والانتقاص والتهمة ، واعتبرت أصولها وقواعدها ، قيوداً على الإبداع ، وحجراً على المبدعين ، وأغلالاً تعود بالأمة القهقرى .

ثم تطورت الأمور من بعد ، فغدا تهجم النكرات من الكُتّاب والكاتبات على الذات الإلهية ، وطعنهم في أصول الدين ، وإنكارهم لفروض الشريعة ، وازدراؤهم لتراث الأمة ، هو ذروة الإبداع الفني والأدبي ، كما أصبحت قذاراتهم التي يكتبونها عن الجنس

والفواحش والشذوذ ، غاية الحرية ، وجوهر التحضر ، والمعاصرة والتنوير .

وليت هؤلاء المستغربين المستنيرين ، يقلدون ساداتهم الأوروبيين في الحفاظ على نقاء لغاتهم ، وأصالة آدابها ، والحفاظ الدائم على تراثها ، والعكوف على دراسة الأقدمين من أدبائها ، وليتهم يقلدون العدو الصهيوني ، الذي أحْيا لغته الميتة العبرية ، وجعلها لغة الدولة والأدب والعلوم والفنون .

إن المرء ليبتهج بتصحيح خطأ يأتيه من صديق ، ويهش لإرشاد يتلقاه من صاحب اختصاص ، ويسعد كثيراً بنقد موضوعي ، يتفضل به عليه قارئ أو زميل ، وإني لأرجو ألاّ يأتي علينا زمان ، يفتقد فيه المرء الناصح ، وينأى بجانبه عن المرشد المعلم ، أو يستنكف عن طلب العلم ، والتماس النصح ، وابتغاء الصواب .

تحية لأخي الكبير الأستاذ علي حسن العبَّادي ، ودعْوة له ولأمثاله من أساتذتنا وعلمائنا ، وأهل الاختصاص في ربوعنا ، ألاّ يتركوا الساحة ، ويعرضوا عن النقد ، فإن ذلك جهاد مبرور في سبيل الله ، ورباط مأجور على ثغور الأمة ، وإلى الله المشتكى ، وهو وحده المستعان .

مقدّمة المؤلف

ما هكذا يكتب الشعر ، عنوان لمقالات قمتُ بنشر جُلّها فى جريدة (الرياض) الغراء ، ومنها مقالتان نُشِرتْ إحداهما فى جريدة (الندوة) ، والأخرى فى ملحق الأربعاء من جريدة (المدينة) ، وهذه المقالات أقوم بكتابتها ، كلما سنح الخاطر لي بها ، وقد أغْضبتْ بعض من نقدتُ شعره ، وليس لي عن هذه الكتابة منتدح ، إلاَّ أن أترحم على الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي ، الذي جعلني أتتبع خطاه ، وأسعى سعيه ، وأتزود من علمه ، وأنهج نهجه ، والخليل بن أحمد (رحمه الله) قد وضع علم العروض ، بعدما أخذه من الموسيقى ، وكان عالماً بها ، ولد في عُمان ، وعاش ومات فى مدينة البصرة ، وكانت البصرة مدينة العلم والعلماء - عاش فيها الخليل بن أحمد متخوفاً على اللغة العربية ، وعلى الشعر من المولدين والأعاجم ، وقد كثروا فى زمانه ، فألف أول معجم للغة العربية (معجم العين) ، وأول علم لموسيقى الشعر (علم العروض) ، فوضع قواعد هذين العلمين للناس ، وهذه القواعد ستبقى ،

وسيموت من يريد أن يتجاوزها ، ولا أقول يهدمها ، لأنها قواعد ثابتة شامخة صامدة ، مثل صمود اسم هذا العالم الجليل الذى بهر الناس بعلمه ، وسيموت من لم يستمع لصوت الشعر ، كما وضعه الخليل بن أحمد ، وكما أتم تلميذه البار أبو الحسن الأخفش (سعيد بن مسعدة) ما بدأ به شيخه الخليل ، حتى قال مؤرخو عصره :ـ إنه استدرك على شيخه الخليل ، (البحر الخبب) الذى يُعرف بالمتدارك ، تداركه الأخفش بعد أن أهمله الخليل ، ولا أقول كمن قال :ـ بعد أن غاب عن علم الخليل ، والبحر المتدارك هو البحر السادس عشر من بحور الشعر المعروفة ...

وكيف يغيب عن علم الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وعن فهمه وإدراكه ، وهو الذى كتب شعراً من البحر المتدارك ، كما أشار إلى ذلك الدكتور أحمد محمد عبد الدائم ، فى مقدمته على كتاب (العروض) للإمام سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط ، فى الصفحتين ٩٨ـ ٩٩ من الكتاب ، وقد سبق الدكتور أحمد بن محمد عبد الدائم إلى هذا القول علماء آخرون ، كتبوا فى هذا الموضوع ، وكشفوا عنه ما يواريه ...

وقد لاقى الخليل بن أحمد عنتاً من بعض معاصريه ، فذكر أبو الفرج الأصفهاني فى كتابه (الأغاني) [1] مادار بين الخليل بن أحمد ، والشاعر محمد بن مناذر ، قال الخليل بن أحمد لابن مناذر :ـ ((إنمّاً أنتم معشر الشعراء تبع لي ، وأنا سُكّان [2] السفينة ، إنْ قرّظْتكم ورضيتُ قولكم ، نفقتم و إلاّ كسدتم)) .

فقال ابن مناذر :ـ ((والله لأقولنَّ فى الخليفة قصيدة ، أمتدحه بها ، ولا أحتاج فيها إليك عنده ولا إلى غيرك)) ..

فقال فى الرشيد قصيدته التى أولها :ـ

ما هيّجَ الشوْقَ من مطوَّقةٍ   باتَتْ على بانةٍ تُغنّينا

يقول فيها :ـ

ولو سألنا بحُسْنِ وجْهك يا   هارونُ صوْبَ الغَمامِ أُسْقينا

والقصة كاملة لمن يريدها فى كتاب (الأغاني) ، الجزء الثامن عشر ، من طبعة دار الثقافة ببيروت ، وقصيدة ابن مناذر من البحر المنسرح ، الضرب فيه مقطوع ، ووزن البيت : ماهيَّج .. هكذا :ـ

---

[1] الجزء الثامن عشر ـ طبعة دار الثقافة ببيروت سنة ١٩٦٢م ص (١١٧) ج (١٨) ..

[2] السّكّان من السفينة : الدفَّة ج سُكَّانات .

ماهييجش	شوقمنم	طووقتن	ـ	باتتْ علا	بأَنتنْتُ	غننينا
مسْتفْعلنْ	فاعلاتُ	مفْتعلنْ	ـ	مسْتفْعلنْ	فاعلاتُ	مفعولنْ
سالم	مطوي	مطوي		سالم	مطوي	مقطوع

فضرب هذا البيت (مفْعولنْ) مقطوع ، وهو ضرب لم يشر إليه الخليل بن أحمد (رحمه الله) ، ولم يذكره في ضرب (البحر المنسرح)[1] ....

وأقول : إن ابن مناذر في تحديه للخليل بن أحمد ، لم يأت بجديد ، لأن أبا العتاهية وهو من معاصري ابن مناذر ، قد قال شعراً من الوزن نفسه ، يقول أبو العتاهية :ـ

ومَهْمهٍ قد قطعتُ طامِسَهُ   قَفْرٍ على الهوْلِ والمحَامَـاةِ
يقولُ للريحِ كلّما عصَفَتْ   هلْ لَكِ ياريحُ فى مباراتي

والشعراء لا يحبون وصاية علماء العروض التى يفرضونها على شعرهم ، ولكبار الشعراء محاولات على الخروج عن المألوف ، فى علم العروض الذى وضعه الخليل بن أحمد (رحمه الله) ....

---

[1] وهذه القصة ، وقد ذكرها الأصفهاني في كتابه (الأغاني) ، إلاّ أنه لم يشر إلى المخالفة التي ارتكبها ابن مناذر في ضرب (البحر المنسرح) ، ولم يشر إليها أحد من محققي كتاب الأغاني ، في طبعاته المتعددة ، لأنهم لم يُلمّوا بهذا العلم الجليل ، ورأيتُ أن أبينّ هذه المخالفة العروضية للقراء الذين يهتُمون بعلم العروض ، وقطّعتُ البيت عروضياً لتكتمل الفائدة . .

فهذا ابن الرومي يقول فى قصيدة له :ـ

أبا عثْمانَ أنْتَ قَريعُ قَوْمِكْ ... وجُودُكَ للعشيرة دونَ لوْمِكْ

تمَتَّعْ من أخيك فما أُراهُ ... يَراكَ ولاتَراهُ بعْد يوْمِكْ

فيعيبُ عليه أبو العلاء المعري خروجه عن المألوف فى (رسالة الغفران) ، لأن وزن (البحر الوافر) ، لم يجئ عند القدماء مقيداً ، أي ساكن القافية ، إلاَّ حين يكون في القافية ألف التأسيس ، كقول الشاعر :ـ

كأنَّ القوْمَ عُشُّوا لحْمَ ضأنٍ ... فهُمْ نَعِجُونَ قد مالتْ طُلاَهُمْ

والبيت لذي الرمة الشاعر المعروف ، وانظر (رسالة الغفران) ص ٤٨٣ ، من الطبعة الرابعة ، لدار المعارف بمصر ، بتحقيق الدكتورة بنت الشاطئ (رحمها الله) ، ويكاد يكون معلوماً لدى النقاد كلهم :ـ ((أن المطبوع مستغْنٍ بطبعه عن معرفة الأوزان وأسمائها وعللها ، لنبو ذوقه عن المزاحف والمستكره ، والضعيف الطبع ، محتاج الى معرفة شيء من ذلك ، يعينه على ما يحاول فى هذا الشأن)) [1] ، والشاعر الكبير إذا خالف العروض ، لايريد بمخالفته تحطيم تراثنا الشعري ، لأنه يغار

---

[1] العمدة لابن رشيق القيرواني ص ١٢٨ طبعة المكتبة التجارية بمصر الصادرة في سنة ١٣٥٣هـ .

على تراث أمته ، وهو بمخالفته يريد أن يضيف شيئاً يرى استحسانه ، فيعرضه على قرائه ومحبّي شعره ، وهو معجب مرتاح لصنيعه ...

أما الشاعر القرزام [1] الذى يزعم أنه مجدد إذا ماكسر بيتاً فى قصيدته ، فإن ما يفعله هو العجز والجهل ، وإن ادّعى التجديد ، فالتجديد منه براء ... وروى أحدهم أنه قال :ـ ((سألت الخليل بن أحمد عن علم العروض ، فقلت :ـ هل عرفت له أصلاً ، قال :ـ نعمْ ، مررت بالمدينة حاجاً ، فبينما أنا فى مسالكها ، إذ نظرتُ لشِيخ على باب دار ، وهو يعلّم غلاماً ويقول :ـ

نعمْ لا نعمْ لا لا نعمْ لا نعمْ للا   نعمْ لا نعمْ لا لا نعم لا نعمْ للا

فدنوت منه وسلمت عليه ، وقلت :ـ أيها الشيخ ما تقول لهذا الصبي ؟

فقال :ـ هذا علم يتوارثه هؤلاء عن سلفهم ، وهو عندهم يسمَّى التنعيم ، فقلت له :ـ لم سمّوْه بذلك ؟ قال :ـ لقولهم :ـ نعم نعم ، قال الخليل :ـ فقضيت الحج ، ثم رجعت فأحكمتُه)) ...

---

[1] هو يقرزم شعره : يجىء به رديئاً ، والقرزام : بكسر القاف ، الشاعر الدون ، وانظر القاموس المحيط مادة : قُرْزوم .

وهناك رواية أخرى عن التنعيم ، أوردها أبو بكر القضاعي ، لا تخرج عما روته الرواية السابقة ، ونضم إليها رواية أخرى للباقلاّني فى كتابه (إعجاز القرآن)[1] إذْ حكَى عن أبى عمر غلام ثعلب ، عن ثعلب[2] ، أن العرب تعلم أولادها قول الشعر بوضع كلام غير معقول ، يوضع على بعض أوزان الشعر ، كأنه على وزن (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) ، ويسمون ذلك الوضع المتير ، واشتقاقه من المتر وهو الجذب والقطع ...

فهذه ثلاثة نصوص تطرقتْ إلى تسمية الوزن الشعري ، قبل أن يطلق عليه الخليل بن أحمد اسم (العروض) ...

والذى أريد أن أبينه أن العرب كانت لهم وسيلتهم المتوارثة ، يستدلون بها على صحة وزن شعرهم الذى قد توارثوه ، وكانت هذه الوسيلة تسمح لهم بمبادرات فردية ، جعلت الخليل بن أحمد لا يرتاح لها ، فوضع علمه الجليل (العروض) الذي حدد كل شيء ، ولم يسمح بالتجاوزات ، ومن هذه التجاوزات ، تفشّي الزحافات فى

---

(1) انظر الصفحة ١٠٧ من كتاب (إعجاز القرآن) للإمام أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاّني ، الطبعة الصادرة من دار إحياء العلوم ببيروت في عام ١٤١٥هـ .

(2) هو الإمام الجليل شيخ العربية ، أبو العباس ثعلب المتوفى في عام ٢٩١هـ .

شعر الجاهليين ، وقلّتها في شعر الإسلاميين ، قال ابن رشيق القيرواني [1] :ـ ((لسنا نرى الزحاف الظاهر فى شعر محدث إلاّ القليل لمن لا يتَّهم كا لبحتري ، وما أظنه كان يتعمد ذلك ، بل على سجيته ، لأنه كان بدوياً من قرى منبج ، ولذلك أعجب الناس به ، وكثر الغناء فى شعره استطرافاً ، لما فيه من الحلاوة على طبع البداوة)) .

وكما قال ابن سلاّم [2] عن الإقواء :ــ ((إنه كثير فى شعر الأعراب دون الفحول ، وأرى أن البدوي لايأبه له ، ولا يجوز لمولد لأنه قد عرفه)) فالخليل بن أحمد (رحمه الله) هو الذى وضع الانضباط للشعراء ، وألزمهم به ، بقوله :ـ ((فقضيتُ الحج فأحكَمتُه)) وما فعله الخليل من إحكام لعلم العروض ، هو بمنزلة (النوتة الموسيقية) للشعر العربي ، فقد تعامل مع الشعر العربي بروح عصرية ، وتقدم بعلمه على كل الآداب العالمية بعدة قرون ....

وهذا كتابى (ما هكذا يكتب الشعر) ذكرت فيه من علم العروض ما سنحتْ لي القصائد التى انتقدتها ، وتركتُ من هذا العلم

---

[1] العمدة لابن رشيق القيرواني ص ١٢٨ .

[2] طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام الجمحي ، طبعة المدني بمصر صفحة ٧١ الجزء الأول .

أبواباً كثيرة تحتاج إلى دراسة وتوضيح ، فإن وهب الله لي ملاءً من العمر يؤنسني بنشاط وهمَّة ، وأنا رجل فى العقد الثامن من عمري ، فسأوفي هذا العلم حقه ، وسأكتب عنه مفصلاً ، حتى تقرَّ به عيون طلاب هذا العلم ، وينعم بالُهم ، ويرتاح له المنصفون من أهله ، وعسى الله أن يمن بذلك إنه سميع مجيب .

وأهْتبلُ هذه الفرصة ، فأبْتهلُ إلى الله تعالى أن يتغمّد برحمته أستاذي العلامة السيد علوي عباس المالكي الحسني [1] ، الذي حثّني على تلقّي هذا العلم ، فجعلتُ طلبي له أبْلَغَ وُكْدي ، وأقْصى غايتي ، وأجْمَل ليالٍ سهرتُ فيها لتحصيله . . .

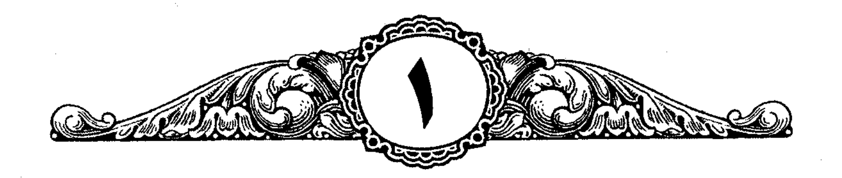
مدينة الطائف في ٢٦ / ٣ / ١٤٢٥هـ

١٥ / ٥ / ٢٠٠٤م **علي بن حسن العبّادي**

رئيس النادي الأدبي بالطائف

---

(١) العلامة السيد / علوي عباس المالكي ، من أشهر علماء مكة المكرمة ، وأحبهم إلى قلوب الناس ، ولد بمكة المكرمة في سنة ١٣٢٨هـ ، وتلقى تعليمه على يد والده العلاّمة السيد عباس بن عبد العزيز المالكي الحسني ، مدير المعارف بمكة ، وتلقى تعليمه أيضاً بمدرسة دار الفلاح ، ونال شهادتها العالية في سنة ١٣٤٦هـ ، وحصل على إجازة التدريس في المسجد الحرام في سنة ١٣٤٧هـ ، بالإضافة إلى عمله مدرساً بمدرسة الفلاح ، وكان له تأثير كبير على سامعيه ، وهو من علماء الحديث والتفسير واللغة والنحو والصرف والعروض ، ويجيد كتابة الشعر ، وله قصائد رائعة ، ويرتجل البيت والبيتين ، فيأتي بالسحر الحلال ، وتوفي (رحمه الله) ، ليلة الأربعاء من شهر صفر ، في سنة ١٣٩١هـ .



لا نستطيع أن نقول إن جرائدنا اليومية أصبحت منبراً لكل ما ضعف لفظه ، واختل وزنه ، واضطرب معناه من الشعر العمودي التقليدي ، أو الشعر الحر ، لأننا ـ والحق يقال ـ نقرأ في بعضها بعد الفينة والفينة ، قصائد رصينة ، أبدع قائلوها وأتوا بالسحر الحلال ، فنالوا منا الإعجاب ، واستحقوا كل تقدير ، فلا غرو من أن نردد ما كتبوه وسطروه . . ولو سلمت هذه الجرائد من المجاملات الشخصية ، لما طفا الغث والضحل فوق جداولها ، ولما طار الهشيم إلى حقولها فتأذينا منه ..

وإني لأتساءل عن إصرارنا نحن العرب على قول الشعر ! ! ألأن الشعر ديوان العرب ؟ ألأنه فن العربية الأول ؟ وهل يليق بنا أن نشوّه هذا الفن ، مرة بشعر تقليدي موزون ، ليس له من خصائص الشعر إلا الوزن فقط ، ومرة بشعر يعتقد قائلوه بصحة وزنه ، وقد

خانتهم آذانهم ، ونَبَا بهم طبعهم ، ومرة بشعر حر ، ليس له أي معنى جميل يحمل الجدّة والإبداع ، شعر كله طلاسم وأحاج ورموز ، وإنني لا أدري ما الذي حدا صديقنا ، والمسئول عن ثقافتنا وأدبنا ، الأستاذ الصديق / محمد عبد الله الحميِّد ، على نشر قصيدة له ضمن مقالة منشورة باسمه في جريدة (الندوة) ، الصادرة في يوم الأحد ٢٢ ربيع الأول ، من عام ١٤١٣ هـ ، ولم تسلم هذه القصيدة من الأخطاء العروضية ، والنحوية ، واللغوية ، على قصر القصيدة وعفويتها ، وذكرتني هذه القصيدة بما يكتبه طلاب المدارس الشداة والناشئون ، ممن يقرزمون شعرهم .

لقد بدأ ابن حميِّد قصيدته بقوله : (ومع أنني لا أتعمد قول الشعر إلا نادراً ، حينما تستفزني بعض الخطرات ، من أمثال أبيات أبي طه التي عارضتها) ولكن قوله هذا لا يغفر له خطأه ، لأن الأستاذ الحميد شاعر غير مطبوع ، (والمطبوع مستغن بطبعه عن معرفة الأوزان وأسمائها وعللها ، لنبو ذوقه عن الزحاف منها والمستكره ، والضعيف الطبع محتاج إلى معرفة شيء من ذلك ، يعينه على ما يحاوله من هذا الشأن) ، كما قال ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة [1] .

---

[1] العمدة لابن رشيق القيرواني ص ١٢٨ .

والقصيدتان من البحر السريع ، قصيدة أبي طه ، وقصيدة الحميّد ، عروضه مطوية مكشوفة (فاعلنْ) ، وضربه مطوي مكشوف (فاعلنْ) ، ووزنه هكذا :

مسْتفعلنْ / مسْتفْعلنْ / فاعلنْ ـ مسْتفْعلنْ / مسْتفْعلنْ / فاعلنْ .

ويدخل حشوه من الزحاف : الخبْن ، فتصير مسْتفْعلنْ : متفْعلنْ ، والطيّ ، فتصير مسْتفْعلنْ :ـ مسْتعلنْ ، والْخَبْل ، فتصير مسْتفْعلنْ : فَعَلَتُنْ ، وقد تطرَّق الخطأ العروضي إلى ستة أبيات من قصيدة شاعرنا الأستاذ الحميِّد ، ووقع الخطأ في أشطرها الأولى ، والأبيات هي :

أطْربْتَ سُمَّارك والمعجبين   بسامر المعزف في (تمنيهْ)

أتحفتنا هذا القصيد الدفين   ما ينبغي والله أن تخفيهْ

جماله الفاضح صدق الشعور   لا يستحق القبر في الأقْبيَهْ

لخدمة الدين وعز المليك   ورفعة الموطن والتنميَهْ

ونال من أبها ولم يرْعوي   وضلّ في أحقاده المعميَهْ

ويقتدي أمثالك الطيبين   يستلهم الإخلاص أو يهديَهْ

وليسمح لي أخي الشاعر بأن أعينه على الخروج من هذه الأخطاء ، التي نتجت بأسباب هذه المقولة : الشعر ديوان العرب ، وأما أسلوبها وفيه ما فيه ، فنمر عليه مرور الكرام إكراماً لشاعرنا الصديق .

فقوله : (أطربت سمارك والمعجبين) ، يصح له أن يقول :

أطربت سمّارك ياشاعراً بسامر المعْزف في (تمنيَهْ)

وقوله : (أتحفتنا هذا القصيد الدفين) ، يصح له أن يقول :

أتحفتنا هذا القصيد الذي ما ينْبغي والله أن تخفيَهْ

وقوله : (جماله الفاضح صدق الشعور) ، له أن يقول :

شعورك الصادق ما قلته لا يستحقُّ القبرَ في الأقبيهْ

ونقف هنا عند (الأقبية) ، فهي ليست جمعاً لقبو ، فجمع القبو أقباء ، وأما الأقبية ، فجمع لقباء نوع من الثياب كما جاء في القاموس المحيط للفيروز ابادي .

وأما قوله : (لخدمة الدين وعز المليك) ، فله أن يقول :-

لعز حامينا أبي فيصلٍ ورفعة الموطن والتنميَهْ

وقوله : (ونال من أبها ولم يرعوى) ، فله أن يقول :

ونال من أبها وما يرعوي وضلَّ في أحقاده المعميهْ

ونقف عند كلمة (المعمية) التي لا ترد كثيراً في معاجم اللغة العربية ، ولكنْ يرد :ـ عمَّاه : صيَّره أعمى ، ويقال : عمَّى معنى البيت والكلام : أيْ لبَّسه وأخفاه ، وأعمى الأبصار عن رؤيته فهو معمّى ، وهناك المعمَّى : اللغز ، وجمعه : معمّيات .

وأما قوله :

ويقتـــدي أمثالـــك الطيبـــين   يستلهم الإخلاص أو يهديهْ

فله أن يقول :

كم يقتدي بــك مــن طيّــبٍ   يستلهم الإخلاص كي يهديهْ

فيقتدي فعل يتعدى بحرف الباء .. يقال : اقْتدَى به : فعل مثل فِعْلِهِ ، قال الله تعالى في سورة الأنعام ﴿ فبهُداهمُ اقْتدِهْ ﴾ ، وإن كان الشاعر يريد أمثاله الطيبين أن يقتدوا بممدوحه ، فعليه أن يقول :ـ ويقتدي أمثالُك الطّيبون .. فيكون شطر البيت الأول مضطرب العروض ، وتكون الجملة في شطر البيت الثاني غير مفيدة ، وأما الإقواء في بيت شاعرنا وهو عيب من عيوب (القوافي) ، فقد تخلصنا منه بوضع (كي) الناصبة بدلاً من (أو) ، وهناك بيت في القصيدة وهو :

في ساحة الشهم حليف الندى   من لم يهم بالمال بل يعطيه

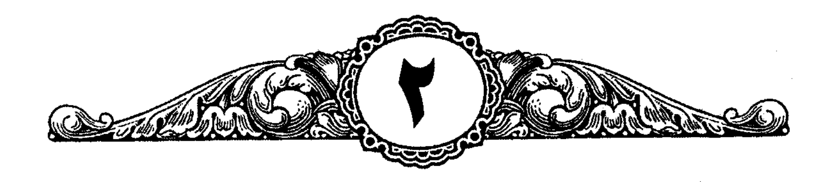
والصواب أن يقول :-

في ساحة الشهم حليف الندى ما همُّه السـائل أنْ يُعْطيَـهْ

لنتجنب الإقواء في آخر البيت ، بوضع (أنْ) الناصبة بدلاً من (بـل) ، الـتي تجزم هنـا الفعـل المضـارع (يعطـي) في الشـطر الثـاني بعطفه على الفعل المجزوم (يهم) من البيـت ، والقصيدة كلـها يائيـة منصوبة .

وهنـاك كلمـات : أغنيـة وأمسية وأمنيـة ، وردت في القصـيدة على وزن أفعلة وهي لغة ضعيفة ، والصواب تشديد الياء ، ويضاف إليها كلمـة (أُثْفيَّـة) ، ولعلّـي بـذلك وضـعت الحـق في نصـابه ، وإن غضب عليَّ أخي الكريم الأستاذ محمد عبد الله الحميِّـد ، ولا إخالـه غاضباً ، فلولا مكانته العلمية والأدبية لما تكلّفْـتُ هـذا الأمـر ، ومـا يُنشر من غـيره في بعـض جرائـدنا اليوميـة ، والمجـلات الشـهرية ، مـن هراء يسمونه شعراً ،لا نعبأ به ولا نلتفـت إليـه ، ولعلـه بعـد ذلـك لا تستفزّه بعض الأبيات ، فيأخذ في معارضتها ، فيقع في أخطاء تحسب عليه ، وهو الرجل المسئول عن أدبنا وثقافتنا .

وإني لأسأله ؟ مـا الـذي أعجبـه في قصـيدة أبـي طـه : الأسـتاذ محمد هاشم رشيد ، وهي ليستْ بالقصيدة الحذاء ـ بتشديد الـذال ـ ، ولأبي طه قصائد تستحق الإعجاب والمعارضة .



((أخذ الملحق منذ فترة في مناوشة الأستاذ القدير على العبَّادي ، في محاولة لإخراجه من صمته ، لأننا نعرف من هو (العبَّادى) ، ونعرف مقدار علمه ومكانته الأدبية ، كأديب ضليع في علم العروض ، ويعد من أبرز النقاد في هذا المجال ، مع قدرته على استجلاء النصوص ، وتمييزه بين الجيد والرديء ، ولقد نجح الملحق في ذلك ، لأن ابتعاد مثله خسارة فادحة ، وحيث أتاح هذا الغياب ، ظهور أدعياء وباحثين عن الأضواء والشهرة ، مع ماهم عليه من الجهل والضحْل . . .

فاقرءوا هذا البحث المتكامل ، وانظروا أيّ " رجل عنينا " ، ونأمل أن يكون هذا التواصل بداية إشراقة جديدة ، لأن الساحة في حاجة إلى أمثاله من القادرين)) ، جريدة الندوة العدد ١٠٨٢٣ الصادر في ١٤١٥/٢/٢هـ .

الدكتور جريدي المنصوري من رجالات الطائف الشبّان الذين أجلهم وأحترمهم ، وقد طلع علينا وهو أستاذ الأدب العربي والنقد بجامعة أم القرى حرسها الله ، بقصيدة عنوانها : (عروق الهوى) ، نشرتْها له جريدة (الندوة) في العدد ١٠٧٥٦ الصادر في يوم الأحد ١٣ ذي القعدة من عام ١٤١٤ هـ . والقصيدة من عنوانها ووزنها ، تدل على أنّ الحداثة في الشعر العربي قد تنوّعتْ ، وتعددّتْ أشكالها وألْوانها ، فالخروج على اللغة الفصحى حداثة ، والخروج على الوزن والعروض حداثة ، والذين يتعالَوْن على الموروث حداثيون ، والذين ينادون بالغموض في قصصهم وشعرهم ، والبعد عن الوضوح والبيان ، وهما سمة القرآن الكريم ، حداثيون .

ودعوة الحداثيين وأنصارهم إلى الحداثة ، هذه الدعوة التي يرددها الكثيرون بغير فهم ولا إدراك ، أدت إلى اختلاط الحابل بالنابل ، وأخذ الكثيرون منهم يهرفون بما لا يعرفون ..

ورحم الله الخليل بن أحمد الفراهيدى ، فكأنني أنظر إليه وهو يقول : (كثيراً ما خشيت على الشعر العربي ، فقد وجدت الأعاجم يقدمون عليه ، ورأيتُ من الشعراء المولّدين من يدعو إلى الخروج على منهاجه ، فعرفت أنهم سينتهون إلى وزنه ، فينتقدونه ويطلبون

تعديله ، ويدّعون أنه لا يقوم على أصْل ، ولا يرجع إلى ميدان ، وقد يقولون : ـ إنه رغبة قوم بدْو لا أذن موسيقية لهم ، خشيت ذلك وكنت مؤمناً ، لأن الشعر العربي كالنحو له قواعده وضوابطه ، بل لعلّه أقوى فى ذلك من النحو ، فصرت أعمل الفكرة لإ يجادها ، وعكفت على ذلك حيناً طويلاً ، حتى وفقني الله لهذا العلم الجديد الذي سميته العَروض ، لأنه يُعرضُ عليه الشعر ، فإن كان صحيحاً تبينتْ صحته ، وإنْ كان مكسوراً ظهرتْ علته .) .

فكأنني أنظر إلى الخليل بن أحمد يقول هذا القول في القرن الثاني للهجرة ، واللغة العربية وأهلها بخير .

وقد وجد الخليل ـ رحمه الله ـ أن ما نظمه العرب من أشعار ، تندرج تحت ست عشرة طريقة ، ولا نقول :ـ خمس عشرة طريقة ، لأن الطريقة السادسة عشرة ، لم يضفها تلميذ سيبويه البار ، أبو الحسن الأخفش وهي (البحر المتدارك) ، وإنْ أهمله الخليل بن أحمد ، لندرة هذا البحر في الشعر القديم ، ولكنه قد شاع وكثر استعماله في العصر الحديث ، وكثر نظمه عند الشعراء بعد قصيدة (ياليل الصبّ) لأبي الحسن القيرواني ، ولاننسى قصيدة نزار قباني (قارئة الفنجان) ومطلعها :ـ

جلستْ والخوفُ بعينيهـا   تتأملُ فنجـاني المقلـوبْ

ثم إن الخليل بن أحمد الفراهيدى ، له أبيات من الشعر من البحر (المتدارك) ، جاءت في كتاب (إنباه الرواة للقفطي) ، يقول القفطي :- وللخليل بن أحمد قصيدة على وزن (فَعَلُنْ فَعَلُنْ) ثلاث متحركات وساكن ، وله قصيدة على (فَعْلُنْ - فَعْلُنْ) متحرك وساكن . . فالتي على ثلاث متحركات وساكن ، قصيدته التي منها :-

أبكيتَ على طلـل طربـاً   فشجاك وأحزنـك الطلـلُ

سُئلو فأَبَوْا فلقـدْ بخِلُـوا   فلبئْسَ لعمْـرُكَ مـافعَلوا

والتي على (فعْلنْ) ساكنة العين ، قوله من قصيدة :-

هذا عَمْرٌو يسـتعفي مـنْ   زيْدٍ عند الفْضِل القاضِى [1]

وقد تطّرقت في حديثى إلى (البحر المتدارك) ، لأن قصيدة (عروق الهوى) للدكتور جريدي المنصوري من البحر المتدارك ، وسمّاه العروضيون أيضاً :- قطر الميزاب ، وصوت الناقوس ، وركض الخيل ، والمخترع والمحدث ، والغريب والمنسق . . . [2] .

---

[1] انظر : (إنباه الرواة) للقفطي ج . ١ . ص ٣٤٢ - ٣٤٣ طبعة دار الكتب المصرية ، سنة ١٣٦٩ من الهجرة .

[2] وانظر ص ٣٨٨ من كتاب (الدر النضيد في شرح القصيد) لابن واصل الحموي ، طبعة جامعة المنيا ، وكتاب (العيون الغامزة على خبايا الرامزة) للدماميني ، طبعة الخانجي بمصر ص ٦٠.

وقد ذكر علماء العروض أنّ وزن الشطر من هذا البحر هو : فاعلن + فاعلن + فاعلن + فاعلن ، ويجمعون أن (فاعلنْ) تجيء دائماً إمَّا (فَعَلُنْ) بثلاث متحركات وساكن ، وإمَّا (فَعْلُنْ) بمتحرك وساكن . . . قال الدمنهوري في حاشيته :ـ ((حكَمَ كثير بشذوذ هذا البحر سالماً ، وأن المطّرد استعماله مخبوناً)) ، والخَبْن كما هو معروف زحاف يدخل (فاعلنْ) ، فيحذف الحرف الثاني وهو الألف ، فتصبح التفعيلة (فاعلنْ) :ـ (فَعَلُنْ) بتحريك العين .

ويدخل هذا البحر أيضاً (التشعيث) ، وهو حذف العين من (فاعلنْ) ، فتصبح (فالنْ) ، وتُنقل إلى (فعْلُنْ) بسكون العين ..

قال الدماميني في كتابه (العيون الغامزة) : ((ولم يستعملْ إلاّمخبوناً ، وحكوا له عروضاً وضرباً مخبونين ، كقوله :ـ

كُرةٌ طُرِحَتْ بصوالجةٍ فتلقَّفها رجُلٌ رجُلُ

وشذّت له عروض مجزوءة ذات أضرب ثلاثة مجزوءة ،الأول :ـ مرفّل كقوله :ـ

دار سُعْدى بشحْر عُمانِ قد كساها البِلى الملَوانِ

والثاني : مذيّل ، كقوله :ـ

هذه دارُهم أقفْرتْ أمْ زَبورٌ محتْها الدهورْ

وله ضرب ثالث مجزوء سالم ، كقوله :ـ

قِفْ على دارهمْ وابْكِــيَنْ بين أَطلالها والــدّمَنْ)) ..

انتهى ما قاله الدماميني .. . وقال ابن واصل الحموي في كتابه (الدر النضيد) :ـ

(ويأتى على عروض مقطوعة ، كقوله : ـ

أشجاك تشتّتُ شــعْب الحــيّ فأنــت لــه أرقٌ وصَــبُ

ومثله :

أبكيْــتَ علــى طلَــلٍ طرَبــاً فشــجاك وأطْربــك الطّلَــلُ

وشذّ منه التام على وزن (فاعلنْ) ، وبيته :ـ

يا بنى عامرٍ قــدْ تجمّعتمــو ثمّ لم تمنعوا الضيْمَ إذْ جئتمو

ووزنه :ـ فاعلنْ/فاعلنْ/فاعلنْ/فاعلنْ ـــ فاعلنْ/ فاعلنْ / فاعلنْ/فاعلنْ. ومثله :ـ

جاءنا عامرٌ ســالماً غانمــاً بعْد ما كانَ ماكانَ منْ عامرِ

ومثله :ـ

لم يَدعْ مَنْ مضى للذي قد غَبَرْ فضْلَ علْم سِوى أخْذِهِ بالأثَرْ

ويجوز في أجزاء المجزوء القطع ، فتصير الزنة (فعْلُنْ) بسكون العين وبيته :-

مـــالي مـــالٌ إلاَّ درْهَـــمْ   أوْ برْذوني ذاك الأدْهـــمْ)

انتهى ، ما قاله ابن واصل الحموي . ..

والذي يلفت النظر في هذا البحر ، أنّ شواهده من الشعر أبيات لا يعرف قائلها ، وهي الشواهد الوحيدة التي لا نجد غيرها ، فيما خلّف لنا الشعراء من شعر .

وقد هجر الشعراء هذا البحر ، حتى جاء الحُصْري بقصيدته التي مطلعها :-

يا ليْلُ الصَبُّ متَـــى غَـدُهُ   أَقِيـــامُ الســـاعةِ موْعِـدُهُ

فنظم على نهجه شعراء معاصرون كثيرون .. . وقصيدة (يا ليْلُ الصبُّ) ، مدح بها الحُصْري القيرواني :- الأمير أبا عبد الرحمن محمد بن طاهر صاحب (مرسية) ، وتشتمل القصيدة على تسعة وتسعين بيتاً ، منها ثلاثة وعشرون بيتاً في النسيب . . ..

وممّنْ نظم على نهْجه من الشعراء المعاصرين :- أحمد شوقي ، أمير الشعراء ، وأبو القاسم الشابّي ، الشاعر التونسي ، وأحمد عبيد ، الشاعر السوري ، وإسماعيل صبري ، الشاعر

المصـري ، وبشـارة الخـوري ، الشـاعر اللبنـاني ، وجميـل صـدقي الزهـاوي ، الشـاعر العراقـي ، وخـير الـدين الزِرِكْلـي ، الشـاعر السعودي ، والأمير نسيب أرسلان [1] ، وعاتكة الخزرجي ، الشاعرة العراقيـة ، وفـوزي المعلـوف ، الشـاعر المهجـري ، ومحمـود بـيرم التونسـي ، الشـاعر المصري ، والملـك عبـد الله بـن الحسـين ، ملـك الأردن [2] ، وغيرهم من الشعراء ...

---

[1] الأمير نسيب بن حمـود أرِسْلان ، ولـد في بـيروت في سـنة ١٢٨٤هـ وتعلَّـم في المـدارس المحليـة والتركية ، وشغل مناصب في الدولة ، وتوفي في سنة ١٣٤٦هـ وهو شاعر كبير ، جْزل الشعر ، سريع الخاطر ، له ديوان شعر ، نشره أخوه الأمير شكيب أرسلان . .

[2] هوالملك : عبد الله بن الحسين الأول ، جد والد الملك الحالي عبد الله الثاني بن الحسين بن طـلال ، وانظر كتاب (الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين) ، الطبعة الأولى ، طبعة الدار المتحدة للنشر ببيروت ، الصادرة في سنة ١٩٧٣م ، وقد بدأ الملك عبد الله بن الحسين قصيدته بقوله :

حبٌّ يعنيك تجدّدُهُ   وهوىً يُغْريك تعدُّدُهُ
ومثير الحبّ تُدلّلهُ   وقوامٌ يخطرُ أمْلدُهُ

والقصيدة مكوّنة من اثنين وأربعين بيتاً . . والملك عبـد الله بـن الحسـين الأول ، لـه قصـائد بديعـة ، سمعتُ بعضها من الشاعر السعودي الكبير ، حسين عبد الله سراج ، أطال الله بقاءه .

ولأحمد شوقى أناشيد قومية نظمها من (البحر المتدارك) ، تراجع في ديوانه المطبوع .

والبحر المتدارك له وقع جميل في الأذن ، يَنْشَطُ له السامع إذا سمعه ، ويطرب له ، ولكنني لا أدري ما الذي حدا شاعرنا الدكتور جريدي على نظم شعره من (البحر المتدارك) ، أوْ ركض الخيل ، وهو شاعر غير مطبوع ، والمطبوع مستغن بطبعه عن معرفة الأوزان وأسمائها وعللها ، لنبوّ ذوْقه عن الزحاف منها والمستكْره . . . .

وقصيدة الدكتور جريدي ، مكوَّنة من خمسة عشر بيتاً ، بدأها بقوله :-

هزّها الشوق تلك التي أطْفأتْ

شمْعةَ الفجْرِ واسْتسْلمتْ للسُهادْ

ووزنه هكذا :-

فاعلْن / فاعلنْ / فاعلنْ / فاعلنْ

فاعلنْ / فاعلنْ / فاعلنْ / فاعلانْ

فاستعمل (فاعلنْ) في الحشو والعروض صحيحة ، مع أنه لم يُستَعملْ هذا البحر إلاّ مخبوناً أو مشعّثاً ، كما ذكرنا سابقاً .. . واستعمل

الـدكتور جريـدي (فـاعلانْ) ضـرباً لقصيدته ، وهـو ضـرب دخلـه التذييل بزيادة نون ساكنة على (فاعلنْ) ، فأصبحتْ (فاعلانْ) ، وهذا الضرب لايُستَعْملُ إلاّ في مجزوء المتدارك ، وهو مابقي على ست تفعيلات ، كل ثلاث في شطر :ـ

فاعلنْ / فاعلنْ / فاعلنْ ـــــ فاعلنْ / فاعلنْ / فاعلانْ

كقول الشاعر :

هـــــذه دارهُـــــمْ أقْفـــــرتْ　　　　أمْ زبـــورٌ محتْهـــا الـــدُّهورْ

فقصيدة الدكتور جريدي ، غريبة وعجيبة ، ليس لها شبيه فيما جاءنا من الشعر العربي قديماً وحديثاً ، ولعـلّ الـدكتور جريـدي يـرى غير ذلك ، فيوضحه لنا مشكوراً .. .

وقصيدة الدكتور جريدي ، فيها أبيات جاءتْ على وزن البيت الأول ، لم يـدخلْ حشـوها وعروضـها خـبْن ، أو تشـعيث ، كالأبيات : الثامن ، والتاسع ، والحادي عشر ، والرابع عشر . ..

وفيهـا أبيـات دخـل حشـوها وعروضـها الخبْن (فَعَلُـنْ) بتحريـك العين، كالأبيات :ـ الثاني ، والرابع ، والخامس ، والسادس ، والسابع ، والثاني عشر ، والثالث عشر .. ، ونلاحظ أنه أدخل الخبْن والتذييل على ضرب البيتين :ـ الثـاني عشـر ، والثالـث عشـر ، ولم نـر هـذا وارداً عنـد

العروضيين .. . والدكتور جريدي بعمله هذا قد عدل عن جهة الشعر المعروفة ، فمجّتْ قصيدته الأسماع ، وفسدت على الذوق ، والذوق كما قال الخفاجي في (سر الفصاحة [1]) :- ((أمر يرجع إلى الحس ، وهو الأصل الذي عملت العرب الشعر عليه)) .. .. .

فقصيدة الدكتور جريدي المنصوري ، فقدتْ حدودها ، ومعناها ، واعتدى بها على (البحر المتدارك) ، وأزعج الخليل بن أحمد ، وصنْوه أبا الحسن الأخفش ، وبدلاً من أنْ يسكنَ معهما في بيت واحد ، هدم البيت عليهما .. وقدأكْبرتُ في الدكتور جريدي (يعلم الله) قدرته العجيبة ، على أن يخضع قصيدته كلّها لوزن اختاره لنفسه ، بغض النظر عن فقدان الحس والإيقاع ، مما يدل على علمه بالعروض ، فهل يريد أنْ يحطم القوالب القديمة ، واللغة العربية الثابتة ، وأن يثور في العروض بالعروض ، ليفرغها من شحنتها الموروثة ، فاستخدم هذا البحر بشكْل لا نعلمه ، وليته يشرح لنا ما أراد ، وإنيّ أربأ بالدكتور جريدي أنْ يكون هذا هدفه وغايته .. ..

---

[1] انظر الصفحة ٢٨٧ من كتاب (سر الفصاحة) الطبعة الصادرة من دار الكتب العلمية ببيروت في عام ١٤٠٢هـ .

ثم ما معنى (عروق الهوى) ، و (رحيق القتاد) ، و (يعلنُ الطيْر موت الرقاد) ، و (أورقَتْ بلظىً وجهاد) ، و (عرْقها في الثرى كعروق الهوى) .. .. إن التجديد شيء ، والغموض شيء آخر ، والشعر قبل كل شيء بيان ووضوح .



لقد قرأت للشاعر الكبير نزار قباني في جريدة الحياة الصادرة في يوم الجمعة ٢٨ / شعبان من عام ١٤١٦ هـ ، مقالته الأسبوعية ، وقد جاء فيها : " إن مشكلة - شعراء (الرموت كونترول) أنهم مستعجلون جداً ، ويريدون أن يطبخوا أعمالهم الشعرية الكاملة بخمس دقائق ، دون أن تكون لديهم المواد الأولية اللازمة ، من سمن وزيت ، ولحم ، وطحين ، وبهارات ، وعبثاً نحاول أن نقنعهم ، أن الطعام العربي دقيق جداً ، ومعقد جداً ، ويتطلب الصبر الطويل ، والخبرة المهنية ، والكرم الحاتمي . ... ولكنهم لا يسمعون النصيحة ، ويظلون على قناعتهم ، بأن أبا الطيب المتنبي تعلم الطبخ في مطعم (ماكدونالد) .. .."

ويقول أيضاً في مقالته هذه :- " فلم يعد الشاعر الحديث بحاجة إلى أن يعرف شيئاً من علم العروض ، ومن البحور ، والأوزان ،

ولاهو بحاجة إلى أن يعرف قواعد اللغة العربية ، حتى تسعى إليه إمارة الشعر . .. فالفاعل والمفعول به ، والمبتدأ والخبر ، وحروف العلة ونون النسوة ، وتاءات التأنيث ، والبحر الطويل ، والبحر السريع ، والبحر الأحمر ، والبحر الأبيض المتوسط ، هذه كلها أشياء هامشية يحلها (الرموت كنترول) بفركة أذن .. ..» .

ويقول أيضاً في مقالته هذه : ـ « وليس على الشاعر الحديث سوى أن يرتدي (الروب ده شامبر) ، وبيجامته الحريرية ، ويستدعي القصيدة من بيت أبيها ، فتأتي إليه مكحلة ، معطرة ، معصفرة ، تضع الحناء في يديها ، والخلاخيل في قدميها ، وتقول له :ـ (أمرك سيِّدي) . . .» .

انتهى ما قاله نزار قباني باختصار ، في مقالته الأسبوعية آنفة الذكر ، وقد قال أحمد شوقي رحمه الله ، منذ خمسين سنة تقريباً :ـ

الشعرُ صنفانِ فباقٍ على قائله أوْ ذاهبٌ يوم قيلْ
ما فيه عصْريٌّ ولا دارسٌ الدهر عُمْرٌ للقريض الأصيلْ

وقال شاعر آخر :ـ

الشعراء فاعلمنَّ أربعهْ فشاعرٌ يجري ولا يُجْرىٰ معهْ

ولا داعي لذكر الأبيات الأخرى لئلاَّ يُظن بنا الظن ، .. .. .

وقد دعاني إلى ما قلته آنفاً ما قرأته في مجلة اليمامة ، في العدد الصادر في يوم السبت ٢٢ / شعبان من عام ١٤١٦ هـ ، بقلم الدكتور الحبيب : معجب الزهراني ، تحت عنوان (خواطر) ، وقد ضمَّن مقالته قصيدة من نظمه ، وما عرفتُ معجباً شاعراً ، ولكنه أراد أن يطبق ما قاله الشاعر نزار قباني ... . ونسي هؤلاء الشعراء أن الزمان لن يسكت عنهم ، وإن سكت النقّاد مجاملة ، كما قال شاعر الهند طاغور :ـ (الزمن هو أشرف النقاد جميعاً ، والناقد الوحيد الذي يتعامل مع الجميع بحياد تام ، ولا يستطيع أحد أن يزوِّر عليه شيئاً)

يقول الدكتور معجب :ـ

علّاني فهـا هنـا مطلبـانِ كلّما دانَ واحدٌ تناءى الثـانى[1]

ومن الشطر الأول من البيت ، علمنا أن الدكتور (معجب) يريد أن يقول شعراً من (البحر الخفيف) ، لأن الشطر الأول مستقيم ، ووزنه هكذا : (فاعلاتن متفْع لن فاعلاتنْ) ، وقد دخل الخبن على (مسْتفع لنْ) ، فأصبحت بعد حذف السين (متفْع لنْ) .. وأما الشطر الثاني فغير مستقيم ، ويستقيم لو قال الشاعر :ـ

(إنْ دنا واحدٌ تناءى الثاني) ، وتحذف كلمة (دان) التي ليس لها معنى هنا . ..

[1] أين هذا البيت من مطلع قصيدة لأبي العلاء المعري ، حيث يقول :

علّلاني فإنَّ بيضَ الأماني فَنِيَتْ والظلامُ ليْس بفاني

وانظر شروح سقط الزند ١ / ٤٢٥ .

وقصيدة الدكتور معجب ، مكونة من ثمانية أبيات ، لم يستقم سوى الشطر الأول منها ، والبيتين التاليين :-

بدرُ ما أنت موقعٌ في مكـــانِ   لا ولا أنت وقعةٌ في زمـــانِ

أنت وهْجٌ من الرؤى تتجلَّـــى   من قصيِّ الأبعاد حتَّى كيانى

ووقع الخطأ العروضي في الأبيات الستة من القصيدة ، وهي على قصرها وعفويتها ، ذكّرتْنى بما كان يكتبه طلاب المدارس الابتدائية من الشداة والناشئين ، الذين كانوا يقرزمون الشعر ، ويقدمونه إلينا (نحن المعلمين) ، منذ خمسين سنة ، وكان التعليم الابتدائي يضاهي التعليم الثانوي في وقتنا الحاضر .

وأرى من واجبي أن أعين أخى الحبيب الدكتور معجب ، على الخروج من هذه الأخطاء العروضية ، أومن هذه العقبة الكؤود ، وهو خريج جامعة السوربون في اللغة العربية ، يقول الدكتور معجب :-

أنـــت ســـر التكـــوين لتـــاريخي

وأنت نشيد الإنسان فـــي وجـــدانى

والصواب أن يقول :-

أنت سر التكوين فـــى تـــاريخى

ونشـــيد الإنســـان فـــي وجـــدانى

فيكون وزنه :ـ

فاعلاتن مسْتفْع لن فالاتنْ فعلاتن مُسْتفْع لن فالاتُنْ

وبهذا التعديل يستقيم وزن البيت ، ونوضح أكثر فنقول :ـ إن التشعيث قد دخل عروض هذا البيت وضربه ، بعد تعديله من قبلي ، وهذا الزحاف لا يدخل إلاّ تفعيلة الضْرب ، ويقل دخوله في غيرها من (فاعلاتنْ) ، التي تأتي في ثنايا البيت ، أي في حشوه وعروضه ، كما دخل الخبْن :ـ (فاعلاتنْ) في أول الشطر الثانى ، فأصبحتْ (فعِلاتنْ) ، ويقول الدكتور معجب :ـ

أيُّ نصٍّ يُلمْلمُ[1] هذا الفيض وأيّ قولٍ يحدّ كلَّ المعـــاني

والصواب أن يقول :ـ

أيُّ نصٍّ يلُـــمُّ فيضـــك هــذا أيُّ قولٍ يحدُّ كـــلَّ المعـــانى

ووزنه هكذا :ـ

---

[1] يُلمْلمُ ويَلُمُّ : بمعنى واحد ، ولْلَم الشيء ، ولمّ : جمعه ، وقد اخترت الفعل (لمَّ) وقلت : (أيّ نصٍّ يلُمُّ فيضَك هذا) ليستقيم وزن الشطر .

فاعلاتنْ / متفْع لنْ / فَعِلاتنْ   فاعلاتنْ / متفْع لنْ / فاعلاتنْ

ويقول الدكتور معجب :ـ

لا .. . سأرضَى بالصمت يا بدْرُ   فالصمتُ هاهنــا ترجمــانى

والصواب أن يقول :ـ

لا سأرضى بالصمت يا بدْرُ يوْماً   إنَّ صمْتي يابدْرنا ترجمانى

أو يقول :

سوف أرضى بالصَمت فيــك جــلالاً

وكفى الصــمتُ هاهنــا ترجمــانى

ووزنه هكذا :ـ

فاعلاتنْ / مسْتفْع لنْ / فاعلاتنْ   فاعلاتُنْ / مسْتفْع لن / فاعلاتُنْ

وأترك للدكتور معجب :ـ هذين البيتين من قصيدته ، ليجرب حظه فيهما ، ويُجري التعديل المطلوب عروضياً :ـ

الخيالاتُ تتْرى فتغْرِى بيــانى   والتواريخُ تنثالُ فوقَ لساني

هذهِ تطلُبُ الشْعر فتطْلــقُ بــوْحي

وتلك ترومُ النْثرَ فتلْوي عنــاني

ولعلّه يستطيع أنْ يُجْري التعديل ، حتى يستقيم وزن البيتين ، ولا إخاله إلاّ قادراً إن شاء الله .. . وأخيراً أريد أن أهمس فى أذن حبيبنا الدكتور معجب ، بأن يطلّق الشعر إلى غير رجعة ، لأنه شاعر ضعيف الطبع ، محتاج إلى معرفة شيء من تلك الأوزان وعللها ، ليستعين به على ما يحاوله في هذا الشأن . . . كما قال ابن رشيق القيروانى في كتابه (العمدة [1]) ..

ثم قرأت قصيدة في الرثاء ، قالها الأستاذ الصديق حمد زيد الزيد ، يرثي فيها والدة صديقنا الحبيب الوفي الكريم الأستاذ موسى محمد السليم ، أسكنها الله فسيح جناته وغفر لها .. . وكم تمنيتُ أن يكون رثاء الأستاذ حمد الزيد ، في السيدة الفاضلة أم موسى نثراً وليس شعراً ، والنثر مجاله واسع ، وأعرف إجادة الأستاذ حمد للكلام المنثور .. . وقد نُشرتْ قصيدة الأستاذ الزيد في جريدة (الجزيرة) الصادرة ، في يوم السبت ٢٩ / شعبان من عام ١٤١٦هـ ، وقصيدة الأستاذ حمد ، مكونة من ستة عشر بيتاً ، جاءت أبياتها من (البحر المتقارب) ، ووزنه هكذا :-

فَعُولُنْ / فعولُنْ / فَعُولُنْ / فَعَلْ ـــــ فَعُولُنْ / فَعُولُنْ / فَعُولُنْ / فَعَلْ

(١) العمدة لابن رشيق القيرواني ص ١١٢ .

وللمتقارب عروض واحدة صحيحة (فعولنْ) ، مع جواز قبضها فتصير (فَعُولُ) ، أوجواز حذفها فتصير (فعَلْ) ، كما جاءت عليه قصيدة الأستاذ حمد الزيد .. .. وللمتقارب :ـ أربعة أضرب ، وقد جاء ضرب قصيدة الزيد (محذوفاً) :ـ (فَعَلْ) بفتح العين وسكون اللام ، والضرب هو التفعيلة الأخيرة من الشطر الثاني من البيت .. وللمتقارب ضرب صحيح (فعُولنْ) ، ومقصور (فعَولْ) بسكون اللام ، وأبتر (فَعْ) بسكون العين ، يقول الأستاذ الزيد :ـ

أأرثيكِ يـا أُمّـيَ الثانيـهْ وأبكيـكِ أيتُهـا الغاليـةْ

وهذا البيت مستقيم الوزن ، ووزنه :ـ

فعولنْ / فعولنْ / فعولنْ / فَعَلْ فعولنْ / فعولُ / فعولنْ / فَعَلْ

ونلاحظ أن البيت في شطره الثاني قد دخل القبض حشْوَهَ ، فصارت (فعولنْ) (فعولُ) .. والقبض هو حذف الخامس الساكن ، أي النون من (فعولنْ) ، فتصبح (فعولُ) بضم اللام .. ثم يقول الزيد :ـ

وماذا يفيدُ رثـائي وقـدْ صعدتْ روحُـك الساميهْ

والبيت مكسور ، ويستقيم هكذا :ـ

وماذا يفيدُ رثـائي لأمّـي وقد صعدتْ روحُها الساميهْ

ووزنه :ـ

فعولنْ / فعولُ / فعولنْ / فعولنْ فعولُ / فعولنْ / فعولنْ / فعَلْ

ثم يأتي الزيد ببيتين مستقيمين ، ثم يأتي بأربعة أبيات مستقيمة الوزن ، منها بيتان حرف الرويّ فيهما الراء (الجوهرة) ، و (مبهرة) ، وبيتان آخران ، رويهما تاء التأنيث ، نُطقتْ هاء ، وهي لا تصلح روياً ، بل تكون وصلاً ، وهذا شيء معروف في علمي العروض والقوافي ، ثم يأتي الزيد بأربعة أبيات همزية مستقيمة الوزن ، إلاّ أن الضرب فيها (فعولْ) بسكون اللام ، ويسمَّى هذا الضرب مقصوراً ، وكان على الزيد ألاّ تخرج قصيدته عن الضرب المحذوف (فَعَلْ) ، كما اشترط ذلك علماء العروض (رحمهم الله) في القصيدة الواحدة .. .. وإنْ تجاوزنا هذه الأبيات ، فلا نتجاوز البيت الثاني من أربعة أبيات ، جاءت قوافيها رائية ، يقول الزيد :-

سيبكيك الأهْلُ والأقربــونَ ويبكيكِ النجْمُ ويبكيكِ القمَرْ

والبيت مكسور ، ولا يستقيم إلاّ إذا قال الزيد :-

سيبكيك أهْلُــكِ والأقربــونَ ويْبكيكِ نجْمٌ ويبكي القمــرْ

ووزنه هكذا :-

فَعولُنْ / فَعولُ / فَعولُن / فَعُولُ ــ فَعُولُنْ / فعُولُن / فعُولُن / فَعَلْ

إذنْ قضية الشعر عندنا أيها القراء الكرام قراء الشعر ، قضية يجب أن نقف عندها طويلاً .. . وعلى إخواننا المسئولين في جرائدنا

اليومية ومجلاتنا الأسبوعية والشهرية ، أن يتحروا عند النشر الشعر الجيد ، والقصيدة (الحذاء [١]) بتشديد الذال ، ويرحمونا ـ رحمهم الله ـ من خزعبلات تسمَّى باسم الشعر المقَّفى الموزون ، ومرة باسم الشعر الحر ، ومرة باسم قصيدة النثر ، ومرة باسم القصيدة الشعبية .. انشروا أيها الإخوة ماكان قميناً بالنشر .

وأسمعونا جُزيتم خيراً مثل هذا الرثاء [٢] :ـ

فلوْ أنّني إذ حانَ وقــتُ حِمامِهــا

أُحكّمُ في أمْري لشــاطرتُها عُمْــري

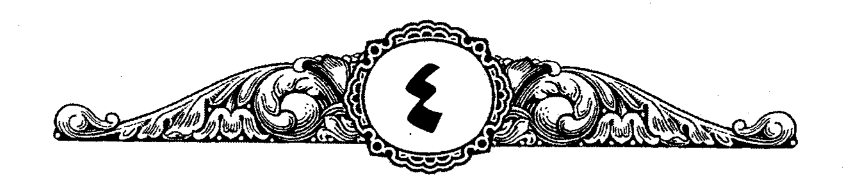
فحلَّ بنا المقْدارُ في ســاعةٍ معــاً

فماتتْ ولا أدْري ومتُّ ولا تَــدْري

---

[١] القصيدة الحذّاء : السيّارة لجوْدتها .

[٢] البيتان قالهما يعقوب بن الربيع المتوفى في سنة ١٩٠ من الهجرة ، وهو أخو الفضل بن الربيع ، حاجب المنصور ، شاعر ظريف استنفد شعره في رثاء جارية اسمها (مُلْك) ، وكان هارون الرشيد يأنس به من قَبْل الخلافة .



نشرت لي جريدة الرياض الغراء في عددها الصادر في يوم الخميس ١٣ / رمضان من عام ١٤١٦ هـ ، مقالةً بعنوان (ما هكذا يكتب الشعر) ، ولم يكن في نيتي أن ألحقها بمقالة أخرى ، إلا أنّ الكثيرين من إخواني الفضلاء ، طلبوا مني أنْ أشرح بعض ما خفي عليهم ، وهم ممن يحبون الشعر المقفّى الموزون ، وتصغي آذانهم إليه وتألفه ، ويشتركون مع الشاعر في عاطفته ووجدانه ، ويستمتعون بفنه .

وأوزان الشعر العربي لها إيقاع محبّب إلى النفس ، تتذوقه وترتاح إليه . .. والشعر كما قال ابن خلدون[1] :- (هو الكلام المبني على الاستعارة والأوصاف ، المفصّل بأجزاء متفقة في الوزن والرويّ ، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده ،

[1] وانظر تاريخ ابن خلدون ، المقدمة ، الصفحة ٧٨٩ الطبعة الصادرة من دار الفكر ببيروت في سنة ١٤٠١هـ .

الجاري على أساليب العرب المخصوصة به . .) و(هو شيء تجيش به صدورنا ، فتقذفه على ألسنتنا) ، كما قال أحدهم ..

والعَروض علم لما يعرض عليه الشعر ، فما وافقه صحيح ، وما خالفه فاسد ، وفي هذا العلم تعقيد وصعوبة ، فقد رُوي أن رجلاً أخذ يطلب هذا العلم (علم العروض) على الخليل بن أحمد ، فأقام مدة من الزمان يختلف إليه ، وهو لم يبرح مكانه ، وقد أعيا الخليل أمْرُه ، فقال له يوماً :ـ زِنْ قول الشاعر :ـ

إذا لم تستطعْ شيئاً فدعْــهُ   وجاوزْهُ إلى مــا تســتطيعُ

ففهم الرجل وانصرف عن طلب هذا العلم .. .وفي الخبر دليل على مشقّة هذا العلم ، وصعوبته في الدراسة على كثير ممن يتلقّونها .

وقد وُضِع علم العروض ، (ليعافى به الشعر من خلل الوزن ، ولولاه لا ختلطتْ الأوزانُ واختلفتْ الألحان ، وانحرفت الطباع عن الصواب ، انحراف الألسنة عن الإعراب) ، كما قال الدماميني [(١)] .

وقد مدح الجاحظ هذا العلم فقال :ـ (هو علم الشعر ومعياره ، وقطبه الذي عليه مداره ، به يعرف الصحيح من السقيم ، والعليل من السليم ، وعليه تبنى قواعد الشعر ، وبه يسلم من الأَوَد

---

(١) انظر (العيون الغامزة) للدماميني ، ص ٢٣٣ — ٢٣٤ طبعة مكتبة الخانجي بمصر .

والكسْر . .. وإنّما يضع من هذا العلم ، من نبا طبعه البليد عن قبوله ، ونأى به فهمه البعيد عن وصوله) [1] .

وحكى الأصمعي أنّ أعرابياً مبتدئاً كان يجلس إلى بعض الأدباء ، وكلمَّا أخذوا في الشعر ، أقبل بسمعه عليهم ، حتى أخذوا في العَروض ، وتقطيع الأبيات ، فولىَّ عنهم ، وهو يقول :-

قد كان إنشادُهمْ في الشعْرِ يُعجبُني
حتّى تعاطَوْا كلاَمَ الزنْجِ والرومِ
ولّيْتُ منْقلِباً والله يَعصِمُني
من التقحّمِ في تلْكَ الجراثيمِ

وأعود إلى ما كنت بصدده فأقول :-

إن إخواني الفضلاء ممن يُحبون هذا العلم ، علم العَروض قد لاحظوا أنني قد أصلحتُ بيتاً مكسوراً للأخ الدكتور معجب الزهراني ، وهو :-

أنتَ سر التكوين لتاريخي وأنت نشيد الإنسانِ في وجداني

فقلت مصحّحاً :-

أنتَ سرٌّ التكوين في تاريخي ونَشيدُ الإنسانِ في وجْداني

[1] انظر (العيون الغامزة) للدماميني ، ص ٢٣٥ طبعة مكتبة الخانجي بمصر المطبوعة في سنة ١٣٨٣هـ.

فقالوا لي : لقد أدْخلْتَ زحاف التشعيث مرتين في بيتك المصحّح ، مرةً في العَروض ، ومرةً في الضرب ، وهذا كما نعلم غير جائز ، فهل تأتينا بشاهد مما حفظته من شواهد علم العروض .. . وليس لي من الشواهد إلاَّ ما جاء في كتب العَروض الخالدة ، التي تركها لنا علماء فضلاء ، رحمهم الله وأسكنهم فسيح جنّاته . .

فعندما صحّحْتُ بيت أخي الدكتور معجب بقولي :ـ

أنتَ سرُّ التكوينِ في تاريخي ونشيدُ الإنسانِ في وجْداني

ووزنه هكذا :ـ

فاعلاتنْ / مسْتفْع لنْ / فالاتُنْ فَعِلا تنْ / مسْتفْع لنْ / فالاتنْ

كنْتُ مقتدياً بما قاله صاحب (الدر النضيد في شرح القصيد) ، لابن واصل الحموي ، حينما قال :ـ « وقال : ابن القطّاع :ـ ويجوز التشعيث في العَروض التامة ، وبيته :ـ

دُمْيةٌ عنْدَ راهبٍ قسّيسٍ صوَّروها في جانبِ المحْرابِ

ووزنه هكذا :ـ

فاعلاتنْ / متفْع لنْ / فالاتنْ ـــ فاعلاتنْ / مسْتفْع لنْ / فالاتنْ »[1]

والبيت من شعر عمر بن أبي ربيعة ، وإذا نظْرتَ إلى بيت ابن أبي ربيعة رأيت تقطيعه هكذا :ـ

---

[1] (الدر النضيد) لابن واصل الحموي ص ٣٥٣ .

الشطر الأول :ـ

سالم ، مخبون / مشعّث ، والشطر الثاني : سالم ، سالم ، مشعّث ، فدخل التشعيث عروض البيت وضربه ، وهذا جائز ، وإن كان لا يأتي إلاّ نادراً في شعرنا العربي ، والبيت الذي صححته ، تقطيعه هكذا :ـ

الشطر الأول ، سالم ، سالم ، مشعّث ، والشطر الثاني ، مخبون ، سالم ، مشعّث .

وأمّا سؤال إخواني الكرام عن هذا البيت الذي صححتُه وزْناً ، لا معنًى ، لأخي الأستاذ حمد الزيد .

وماذا يُفيدُ رثائي لأمّـي وقد صعدتْ روحُها الساميَهْ

ووزنه هكذا : ـ

فعولنْ / فعولُ / فعولنْ / فعولنْ فعولُ / فعولنْ / فعولنْ / فعَلْ

سألوني : كيف أتيت بالعَروض صحيحة " فعولنْ " ، وقصيدة الزيد أعاريضها مختلفة ، ففي قصيدة الزيد عروض محذوفة ، كقوله : " فيا حسْرتي للتي فارقَتْ " ، وكقوله : " عجبْتُ لحال الزمانِ الذي " ، وفيها عروض صحيحة ـ فعولنْ ـ ، كقوله " تشعُّ ضياءً وتضوي بهاءً " ، وكقوله " فيا قبرَها في سفوح كميْتٍ " ، وفيها عروض مقبوضة

(فعولُ) بضم اللام ، كقوله " ستبقين في القلب نوراً يشعُّ " ، فلماذا لا يلتزم الشاعر وزن العروض للبحر " المتقارب " ويكون الالتزام شرطاً في نظمه .. فأقول لإخواني الكرام :ـ إنّ المتقارب له عَروض واحدة صحيحة " فعولنْ " ، ويجوز قبضها ، فتصير (فعولُ) بضم اللام ، أو حذفها ، فتصير (فعلْ) بسكون اللام ، ويدخل زحاف القبض ، وزحاف الحذف ، على العروض في القصيدة الواحدة ، وهناك شواهد في الشعر العربي كثيرة ، منها قول الشاعر :ـ

وَوَالِ الكريمَ ودارِ السفيهَ   وصِلْ منْ أطاعَ وخُذْ من عَصا
ونقّبْ لتعلمَ غَيْبَ الأمُورِ   فإنّ منِ الحزمِ أنْ تفْحَصا
ولا تُبْقينَّ على فاجرٍ   فإنّ اللئامَ عبيدُ العَصا

ففي هذه الأبيات الثلاثة ، نرى أن العروض في البيتين :ـ الأول ، والثاني ، مقبوضة (فعولُ) بضم اللام ، وفي البيت الثالث ، محذوفة (فعلْ) بسكون اللام ..

والمتقارب يكثر في عروضه الحذف (فعَلْ) ، مع صرف النظر عن نوع الضرْب ، ويكثر في عروضه القبض أيضا (فعولُ) ، وهو فيها جميل الوقع ، خفيف الظلّ ، لذلك قلّما نجدُ هذه العَروض سالمةً ، غير محذوفةٍ ، أو مقبوضةٍ ، في غير تصريع ..

انْظرْ إلى قول الشريف الرضي :-

ويومَ تخرّقْتُ فيه السـيوفَ وخُضْتُ إليْه الدماءَ الغِزارا

أثرتُ العَجَاجَ عليْهِ دُخانـاً وأضرمْتُ من مائِرِ الطعْنِ نارا

ثم يقول :-

وليْلةِ خوْفٍ شـعارُ الفتـي يصافِحُ بالسمْعِ فيها السرِارا

تجِدُ مـا قلنـاه ، فعـروض البيـت الأول مقبوضـة (فعـولُ) ، وعروض البيت الثاني صحيحة (فعـولنْ) ، وعـروض البيـت الثالـث محذوفة (فعلْ) ، وقصيدة الشريف الرضي المكونة من أكثر من أربعين بيتـاً ، ضـرْب أبياتهـا كلـها تـام صـحيح (فعـولنْ) ، ولكنّهـا مختلفـة العروض ، ففي عروضها (فعولُ) ، و (فعولنْ) ، و (فعلْ) ..

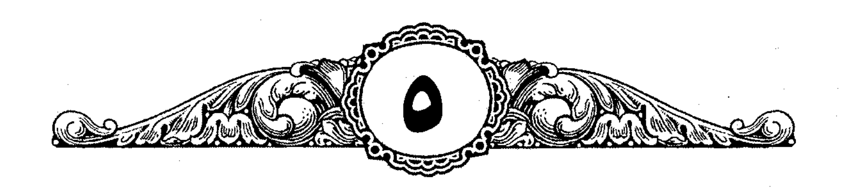
وإن سلامة الضرب في البحر (المتقـارِب) يخفـف مـن ثقَـل هـذه العرَوض على السامع ، ويقْضي علـى الـنغَم الناشـز فيهـا ، فالمتقـاربُ بحرٌ لا تستسيغه الأذن ، وتقتحمه عين القارئ ، ولكنه بحـر مطـروق ، نظمه الشعراء كثيراً ، والسامع لا يرتاح إليه بسبب تفعيلـة العـروض ، التي كثيراً مـا تحْـذف أو تقـبض ، فتجعـل السـامع في حيْـرة مـن أمـره ، وأحسن وأجمل المتقـارب وقْعـاً علـى الأذن ، مـا كـان " تـام الضـرب فعولنْ ، " أو محذوفه " فعلْ " ، ثم يأتي ما كان ضربه " مقْصوراً " فعولْ

بسكون اللام ، وأثقله على الأذن ما كان ضربه أبتر " فعْ " بسكون العين ، وهذا الضرب (فعْ) ، لم نره في الشعر العربي إلاَّ نادراً ، ومثاله قول السيد الحمْيريّ :ـ

أتتْنا تُزفُّ على بغْلةٍ   وفوْقَ رحالتِها قُبَّهْ

وقول ابن عبد ربه :ـ

وبكا الصبَا إذْ طوَى ثوبهُ   فلا أحدٌ ناشرٌ طيّهْ



لقد اطلعت على ماكُتب في جريدة الجزيرة الصادرة في يوم الأربعاء ٢٥ من رمضان المبارك من عام ١٤١٦ هـ ، وقد أخذ الكاتب ـ هداه الله ـ يتطاول على شيخ (يفَن) ، يشرف على السبعين من عمره ، [١] أمضى منها ثلاثاً وأربعين سنة ، معلماً يُلْقي دروسه على طلابه ، حتى أحيل إلى التقاعد منذ سنوات مضتْ .. ..

وقد عزمت ألاّ أرد على من تطاول عليَّ بكلمات نابية ، لم أعهدها في أبنائنا الكرام ، إلاّ أن الكثيرين من إخواني الفضلاء ، وأبنائي البررة ، رغبوا مني أن أظهر وأبيّن الحقيقة لذوي المعرفة ، وأهل الدراية ، وما كتب الكاتب كان رجْماً بالغيب ، واستعمالاً

---

[١] وقد جاوزت بعد مقالتي هذه السبعين من عمري ، وكأن البهاء زهيراً نظر إليَّ فقال :ـ

أتُـريـدُ في السبعين ما ... قد كنْتَ في العشرين فاعِلْ
قد كنْتَ تُعذَرُ في الصِّبا ... واليـــوْمَ ذاكَ العُذْرُ زائـلْ
مَنَّيْتَ نفْسَـــكَ باطِـلاً ... وإلى مـتــى ترْضى بباطِـلْ

للوهم ، وأخْذاً بالتخريص ، قد وهَتْ أسبابه ، وانحلّتْ أطنابه ، وامْتلأ بالمغالطات والأباطيل . . وأنا ولله الحمد قد تلقّيت علم العروض منذ خمسين سنة ، على يد علماء أفاضل كبار ، رحمهم الله ، وجزاهم عني خيراً ، وها أنذا أرد على المقالة رداً علمياً ، ألتزم فيه أدب الحديث ، وأبتعد عن المهاترات ، وما منعني من التصريح باسم كاتب المقالة ، إلاّ تجرؤه بالتخطئة على فحول الشعراء ، وكبار علماء العَروض ، وتطاوله بالألفاظ النابية ، والعُجْب بالنفس على نحْوٍ لم نألفه في أساتذتنا وأبنائنا . . .

فأقول وبالله التوفيق ، وبه أعتصم وأعوذ ، وإليه ألتجئ وأستند . . .

قال هداه الله :ـ" أراد العبَّادي أن يزن نص الدكتور معجب الزهراني في المقالة ، فقال في أحد أبياته المكسورة :ـ

أنت سرُّ التكوين في تاريخي ونشيدُ الإنْسان في وجْداني

فجعل عَروض البيت كلمة (تاريخي) على وزن (فالاتنْ) ، وهذا خطأ فادح وكبير ، والمفترض أن يكون بهذا الشكل حتى يستقيم وزنه :ـ

أنت سرّ التكوين من بدء تاريخي (م)

وعــزفُ الإنســان فــي وجْــداني

وبهذا التغيير الطفيف ، يستقيم وزن البيت ويأتلق المعنى .. .."

فأقول رداً عليه :ـ عندما أردتُ أن أصحح هذا البيت وزْناً لا معنًى ، ما أردتُ من تصحيحي أنْ يأتلق المعنى ، لأن ما كتبه الدكتور معجب لم يكن فيه معنى حتى يأتَلقَ ، وما هو إلاّ نظْم بارد اتخذ شكْل البحر الخفيف ، فما الجديد الذي أضافه (أحدهم) إلى بيت الدكتور معجب حتى يأتلق المعنى .

وعندما أردت تصحيح وزن هذا البيت ، كنت أحتفظ بكلمات الدكتور معجب ، وأحاول ما استطعتُ ألاّ أخرج عنها ، والبيت المذكور يستقيم وزنه بأشكالٍ أخْرى ، كمثل هذا البيت :ـ

أنْتَ سرٌّ تكوَّنَ المجْدُ منــه ونشيدُ الإنْسان في وجْداني

فيكون وزن الشطر الأول هذا :ـ " فاعلاتنْ / متفْع لنَ / فاعلاتنْ " ، فيسلم الشطر الأول من التشعيث ، الذي هو حذف العين من (فاعلاتنْ) ، أي حذف أول الوتد المجموع فيها ، فتصبح (فالاتنْ) بثلاثة أسباب خفيفة ..

ولكنني أحترم آراء علماء العَروض ، فهم يقولـون (رحمهـم الله) :ـ (إنّ التشعيث " فالاتنْ " ، زحاف يحدث في تفعيلة الضْرب ، في الشطر الثاني من البيت ، ويقلّ حدوثه في غيرها من (فاعلاتنْ) ، التي تأتي في حشوه وعروضه) . مما جعلني أصححه بقولي :ـ

أنت سرٌّ التكـوين فـي تـاريخي

ونشـيدُ الإنْسـان فـي وجْـداني

فإذا نظرْتَ أيها القاريء الكريم ، إلى قول علماء العـروض : (إنَّ التشعيث يقـلُّ حدوثه في غير تفعيلة الضرب ، فاعلاتنْ) ، يقرّرون بذلك أنّ التشعيث يقلّ حدوثه ولا يكثر ، ولم يقولـوا : لا يحدث ، لأنه جاء في شعر القدامى ، كبيت عمر بن أبي ربيعة : ـ

دُمْيةٌ عنْد راهـبٍ قِسّـيسٍ صوَّروها في جانِبِ المحْرابِ

ووزنه هكذا :ـ

فاعلاتنْ / متفْع لنْ / فالاتُنْ فاعلاتنْ / مستفْع لنْ / فالاتُنْ

وقـد علَّمنـا معلّمونـا غفـر الله لهـم ، أن نحترم آراء علمائنـا الكبار ، ولو علم علماء العرَوض وعلى رأسهم : أبو القاسـم علـى ابن جعفر بن القطّاع ، المتوفى في سنة ٥١٥ من الهجرة ، ومحمد بـن واصل الحموي ، المتوفى في سنة ٦٩٧ من الهجرة ، ومن جاء بعدهما

من علماء العروض المعاصرين ، كالأستاذ الدكتور عبد العزيز عتيق (رحمه الله) ، والشيخ أحمد الهاشمي (رحمه الله) ، أقول لو علموا أن هذا البيت من شعر عمر بن أبي ربيعة سيأتي عليه زمن ، يأتي فيه (أحدهم) ليقول : (إنّ البيت السابق (دُمْية عند راهبٍ) ، ليس له مثال آخر يؤيده عبر تاريخنا الشعري الطويل ، ممّا يدل دلالة قاطعة على أنه من خطأ الشاعر) ، أقول لو علموا لأخذوا برواية أخْرى للبيت جاءت هكذا :ـ

دُميةٌ عنْد راهبٍ ذي اجْتهادٍ صورّوها في جانبِ المحْرابِ

ولكنّهم نظروا إلى جمال البيت السابق وحسنه ، فعبارة (راهب ذي اجتهاد) ، لا ترقى إلى (راهبٍ قسّيس) ، ولنسْألِ الشعراء عن ذلك ..أقول لو علموا لأخذوا بالرواية الثانية ، فسلموا من نقد المتَطاولين على رموزنا من العلماء والشعراء [1] ..

وأمَّا ما كتبه (أحدهم) عن البحر الطويل ، ففيه مغالطات واضحة ، وادعاء بمعرفة علم العروض ، وهو علم لا يحسنه البتة ، ولا يجيده ، وسأنقل إلى القراء ما كتبه حرفياً .

يقول ـ هداه الله ـ :ـ " إن معلّقة امرئ القيس وهو شاعر فحْل مطبوع ، امتلأت بخطأ أكبر ، وهو إدخال زحاف القبض ، والقبض

---

[1] وقد دخل التشعيث العروض ، في بيت الحارث بن حِلِّزة ، الذي افتتح به معلقته المشهورة ، وهي من البحر الخفيف :ـ آذنتْنا ببيْنها أسْماءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّوَاءُ

هو حذف الخامس الساكن مثل (مفاعيلنْ) ، تصير (مفاعلنْ) ، أوْ (فعولنْ) ، تصير (فعولُ) ، على التفعيلة الثانية في بعض الأبيإت .

يقول امرؤ القيس :-

إذا قامتا تضــوَّع المسْــكُ منهمــا

نسيُم الصَّبا جاءتْ بريَّــا القرنْفُــلِ

ويقول :-

ويوم عقــرتُ للعَــذارَى مطيّتــي

فيا عجباً مــن كُورهــا المَتحمّــلِ

ففي البيتين الأول والثاني ، وردت التفعيلة الثانية من الشطر الأول فيهما مقبوضة على وزن (مفاعلنْ) ، والصحيح أن تأتي على وزن (مفاعيلنْ) ، ولا يجوز أنْ يدخلَ على بحر الطويل زحافُ القبْض ، إلاّ على التفعيلة الرابعة من كل شطر فقط .

ولو قال امرؤ القيس :-

إذا قامتا يضّوع المسك منهمــا

نسيُم الصَّبا جاءتْ بريَّــا القرنْفُــلِ

لاستقام الوزنُ وصحَّ بتعديل طفيف . وإذا راجعتَ المعلقة أخي القارىء ، فستجد أنّها تمتلىء بكثير من الأمثلة التي تأتي على مثل هذا الخطأ الفادح ، " هذا ما قاله (هداه الله) . . وأقول والله المستعان على ما رمانا به هذا الزمان :ـ " لقد قرأتُ معلقة امرئ القيس وقرأتُ شروحها منذ خمسين سنة تقريباً ، قرأتُ شرح الأعلم الشنْتمري ، والإمام الخطيب التبريزي من القدامى ، وقرأتُ شرْح الشيخ مصطفى السقّا (رحمه الله) ، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي (رحمه الله) من المعاصرين ، فلم أجْد في هذه الشروح ما جاء به صاحب المقالة المذكورة .. . " وعلماؤنا يعرفون أنَّ البحر الطويل يد خله من الزحافات والعلل : ـ

الكف ، والقبض ، والخرْم ، (الثلْم والثرْم) ، فيجوز دخول الكف أو القبض على كل (مفاعيلنْ) ، فتصير بالكف (مفاعيلُ) ، وبالقبْض (مفاعلنْ) ، ولا يجتمع في حشوه الزحافان معاً ، وقد جمعهما أبو تمام حين قال :ـ

يقولُ فيسْمِعُ ويمْشي فَيُسْرِعُ

ويضْرِبُ في ذاتِ الإلهِ فيُوجِعُ

ووزنه هكذا : ـ

فعولُ / مفاعلُ / فعولُنْ / مفاعلُنْ   فعولُ / مفاعيلنْ / فعولُ / مفاعلُنْ

فقوله :ـ (فيسمع) ، على وزن (مفاعلُ) بضم اللام ، اجتمع في التفعيلة القبض والكفّ ، ويدخل الكفُّ (مفاعيلنْ) ، كقول امرئ القيس :ـ

ألا رُبَّ يوْمٍ لك منهُنَّ صالحٍ   ولا سيّما يوْمٌ بدارةِ جُلْجُلِ

ووزنه هكذا : ـ

فعولنْ / مفاعيلُ / فعولنْ / مفاعلنْ ــ فعولنْ / مفاعيلنْ / فعولُ / مفاعلنْ

فصارت (مفاعيلنْ) ، بالكف (مفاعيلُ) بضم اللام .

ويدخل القبض (مفاعيلُنْ) ، و (فعولُنْ) ، كقول البحتري :ـ

نزورُ أميرَ المؤمنينَ ودونَهُ   سُهوبُ البلادِ رحْبُها ووسيعُها

ووزنه هكذا :ـ

فعولُ / مفاعيلنْ / فعولُ / مفاعلُنْ ــ فَعولُنْ / مفاعلُنْ / فعولُ / مفاعِلنْ

فدخل القبض التفعيلة السادسة ، فصارت (مفاعلنْ) بدلاً من (مفاعيلُنْ) ، كما دخل القبض التفعيلات : ـ الأولى ، والثالثة ، والسابعة .

ومثاله أيضاً قول امرئ القيس :ـ

إذا قامتا تضوَّعَ المسْكُ منهما نسيمُ الصَّبا جاءتْ بريَّا القرنْفُلِ

ووزنه هكذا :ـ

فعولنْ / مفاعلنْ / فعولنْ / مفاعلنْ ـــــ فعولنْ / مفاعيُلنْ / فعولنْ / مفاعلنْ

فدخل القبض التفعيلة الثانية ، فصارت (مفاعيلنْ) (مفاعلنْ) ، وهذه رواية البيت الصحيحة ، ولم نر أحداً من علماء العَروض قال مثلما قال (أحدهم) في مقالته عن امرئ القيس ، أو البحر الطويل ، لأنّ علماء العروض يدركون أن هذا العلم ، قد استنبطه الإمام الخليل بن أحمد الفراهيدي ، من شعر شعرائنا الرموز ، ولا سيّما شعراء العصر الجاهلي ، فكيف يخطئونهم ، وشعر القدامى من شعرائنا ، تُستقى منه القواعد العروضية وغيرها ، ولا يكيّف ويعدّل وفْقَ ما تأخّر عنها من القواعد .. وما جاء في بيت امرئ القيس ، تكرّر مجيئُه بضْعَ مرّات في معلقته ، كما جاء أيضاً في معلقة زهير بن أبي سُلْمى ، وهي من البحر الطويل أيضا ، كقوله : ـ

جعلْنَ القَنانَ عن يَمينٍ وحَزْنَهُ وكمْ بالقَنانِ من مُحِلٍّ ومُحْرِمِ

ووزنه هكذا :ـ

فعولنْ / مفاعلنْ / فعولنْ / مفاعلنْ

فعولنْ / مفاعلنْ / فعولنْ / مفاعلنْ

فدخل القبض التفعيلتين الثانية والسادسة ، فتحوّلتْ (مفاعيلنْ) إلى (مفاعلنْ) ، وتكرّر هذا الزحاف بضْعَ مرّات في معلقة زهير بن أبي سُلْمى . وما جاء في معلقة زهير ، جاء أيضاً في معلقة طَرَفة بن العبد ، وهي من البحر الطويل ، كقوله : ـ

أمونٍ كألْواحِ الإرانِ نَصأْتُها[1]

على لاحِبٍ كأنّه ظهْرُ بُرْجُدِ

ووزنه هكذا : ـ

فعولنْ / مفاعيلنْ / فعولُ / مفاعلنْ   فعولنْ / مفاعلُنْ / فعولنْ / مفاعلنْ

فدخل القبض التفعيلة الثالثة والسادسة أيضاً ، فتحوّلَتْ (فعولنْ) إلى (فعولُ) ، و (مفاعيلنْ) إلى (مفاعلُنْ) ، كذا رواية الديوان بشرح الأعلم ص١٢ ، وشرح القصائد السبع الطوال لابن النحاس ١/٢٢١ ، وتكرّر هذا الزحاف بضع مرات في معلقة طَرَفة بن العبد ..

وقد قام الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس (رحمه الله) باقتراح تعديل رواية بيت امرئ القيس ، الذي ادّعى تعديله (أحدهم) ، في مقالته العجيبة .

---

[1] نصأْتُها :ـ زجرتُها ، وبالسين ضربتها بالمنْسأة :ـ العصا بلهجة أهل حضر موت .

قـال الـدكتور العـالم الجليـل إبـراهيم أنـيس (رحمـه الله) ما نصه :ـ (ويمكن بتغيير طفيف في الرواية ، أن نصلح الوزن ونجعله مقبولاً في السمع ، فلا يضير المعنى ، أنْ نروي بيت امرئ القيس هكذا :ـ

إذا قامتا يضَوَّع المسكُ منهما   نسيمَ الصَّبا جاءتْ بريّاَ القرنْفُلِ

قال ذلك الدكتور إبراهيم أنيس ، وهو من عمداء دار العلوم بمصر ، لأنه يرى :ـ (أن من ينظم الشعر من هذا البحر ، يجب أن يتجنب استعمال (مفاعلنْ) في حشو البيت ، لأنّ موسيقى الأذن تأباه ، وإنْ قبله أهل العروض) ولكنه يقول أيضا :ـ (إنّ أهل العروض قد جوَّزوا في البحر الطويل صورتين هما :ـ

(مفـاعلنْ و مفاعيـلُ) واعتـبروا الصـورة الأولى صـالحة مقبولة) [1] .. فلم يتطاول (رحمه الله) على علماء العروض ، أو على شاعرنا الكبير امرئ القيس .. وعلى القارئ الكريم أنْ يراجع كتاب (موسيقى الشعر) ، للأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس (رحمه الله) ، ليعرف رأيه ، وهو رأيٌ انفرد به لنفسه ، ولم يلزمْ أحداً رأيه .. والغريبُ في الأمر ، أنَّ (أحدهم) (هداه الله) نقل هذا الرأي بحروفه

---

[1] (موسيقى الشعر) للدكتور إبراهيم أنيس ، ص٧٠ ـ ٧١ طبعة دار القلم ببيروت بدون تأريخ .

وجمله ، ونسبه إلى نفسه ، ونشره في جريدة الجزيرة في العدد المشار إليه ، ليستعرض أمامنا ، وينسب إلى نفسه رأياً لا يعرف كنْهه ومعناه .. وإلاّ كيف يصرّح في مقالته ويقول : (وإذا راجعت المعلقة أخي القارئ ، فستجد أنها تمتلئ بكثير من الأمثلة التي تأتي على مثل هذا الخطأ الفادح) وهذا كلام لم يقله أحدٌ من علمائنا الكبار .

ومن العلل الجارية مجرى الزحاف :ـ الخرْم بالخاء المعجمة ، والراء المهملة ، وهو إسقاط أوّل الوتَد المجموع في صدر الشطر الأول من بيت القصيدة ، ويكون في البحر الطويل وغيره ، ولكنني أخصُّ بمقالتي هذه البحر الطويل [1] ، فأقول : يأتي الخرْم في (فعولنْ) في البحر الطويل ، فتصير بالخرْم (عُولنْ) ، وتنقل إلى (فعْلُنْ) بسكون العين ، إذا كانت (فعولنْ) سالمة ، ويسمَّى ذلك (ثلْماً) ، وإنْ كانت مقبوضة ، تحوّلتْ إلى (عول) ، وتنقل إلى (فعْل) ، ويسمى ذلك (ثرْماً) ، مثال (الثلمْ) ، قول المرقِّش الأكبر :ـ

هلْ يرْجعَنْ لي لمّتي إنْ خَضَبْتُها

إلى عهْدِها قبلَ المشيبِ خِضابُها

فيكون وزنه :ـ

فعْلنْ / مفاعيلنْ / فعولنْ / مفاعلُنْ فعولُنْ / مفاعيلُنْ / فعولُ / مفاعلُنْ

---

[1] ويدخل الخرْم :ـ البحر المتقارب ، والبحر الوافر ، والبحر الهزج ، والبحر المضارع ، وله أسماء عديدة غير الثرْم والثلْم ، فليراجعها طلاب علم العروض في مظانها .

ومثاله أيضاً ، قول عمر بن أبي ربيعة :ـ

مِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمبْكِرُ   غداةَ غدٍ أمْ رائحٌ فمهجّـرُ

ووزنه هكذا : ـ

فعْلنْ / مفاعيلنْ / فعولُنْ / مفاعلنْ

فعولُ / مفاعيلُنْ / فعولُ / مفاعلُنْ

ومثاله أيضاً قول المتنبي :ـ

لا يُحْزِنُ اللهُ الأميرَ فـإنّني   لآخُذُ من حالاتِـه بنَصـيبِ

ووزنه هكذا :ـ

فعْلن / مفاعيلُنْ / فعولُ / مفاعلنْ   فعولُ / مفاعيلُنْ / فعولُ / فَعولنْ

وبيت المتنبي ، أول بيتٍ من قصيدته الجميلة الرائعة الحذاء ـ بتشديد الذال المعجمة ـ ، التي يقول فيها :ـ

ومنْ سرّ أهلَ الأرْضِ ثم بكى أسىً

بكـى بعيـونٍ سَـرَّها وقلُـوبِ

وإنّي وإنْ كـان الـدفينُ حبيبَـهُ

حبيبٌ إلى قلْبي حبيـبُ حَبيبِـي

ومثال الخرْم الذي يسمَّى (ثرْماً) ، قول أبي تمام :ـ

هُنَّ عوادي يوسفٍ وصــواحبُهْ
فعزْماً فقدْماً أَدْرَكَ الســؤْلَ طَالبُــهْ

ووزنه هكذا :ـ

فَعْلُ / مفاعيلنْ / فعولُ / مفاعلنْ فعولنْ / مفاعيلنْ / فعولنْ / مفاعلنْ

ولو زاد هؤلاء الشعراء حرفاً واحداً على الكلمة الأولى من الشطر الأول في البيت ، فقال المرقّش الأكبر : وهلْ يُرْجعَنْ .

وقال عمر بن أبي ربيعة : أمنْ آل نعْم ، وقال المتنبي :ـ ولا يُحْزِنُ اللهُ . . وقال أبو تمام :ـ وهنَّ عوادي .. لما جاء في الأبيات (خرْم) . .

وقد رحم الله هؤلاء الشعراء ، وأجارهم من المتطاولين على تراثنا ، لأنهم لو علموا بهذه النماذج التي سقْتُها عن الخْرم الذي يلحق البحر الطويل ، لقالوا إنّ هؤلاء شعراء جهلة ، لا يحسنون علم العَروض ، وقد جاءوا بشعْر واهٍ أوْهى من بيت العنكبوت ، وإنّ المتنبي قد خلط بين البحر الكامل ، والبحر الطويل في بيته :ـ

لا يُحْزِنُ اللهُ الأميرَ فــإنّني لآخُذُ من حالاتــهِ بنَصــيبِ

فيزنونه هكذا :ـ

متْفاعلنْ / متْفاعلنْ / متَفاعلنْ فعولُ / مفاعيلنْ / فعولُ / فَعولُنْ

فيكون الشطر الأول من البحر الكامل ، ويكون الشطر الثاني من البحر الطويل ، ويظهرون بذلك جهل المتنبي ، ولكنَّ الله قد ستر شاعرنا الكبير أبا الطيب المتنبي من هؤلاء المتطاولين ، فلم يكتشفوا حتى الآن هذا الخطأ العروضي ، وكان حظّه أقوى من حظّ امرئ القيس ، وإن كانا ينتسبان إلى كندة ، فقد رمى امرأ القيس حظُّه العاثِر أمام (أحدهم) ، فأخذ (أحدُهم) يرْميه بالخطأ الفادح ، والجهل المركّب ، في جريدة الجزيرة ، ولم يرحمه ، مع أنّ شعره تُستقَى منه الشواهد في النحو واللغة والعَروض ، وإن هؤلاء المتطاولين يجهلون أنّ (فعْلنْ) ، في بداية البحر الطويل ، تفعيلة مألوفة في الشعر العربي القديم ، فلم يُخَطِّئْ علماءُ العروض المتنبي وغيره من الشعراء الكبار ، الذين وردت هذه العلة الجارية مجرى الزحاف في شعرهم .

وإنّ قصائد كثيرة لجرير والفرزدق ، تبدأ مطالعها بوزن (فعْلنْ) من البحر الطويل .

وعلى القراء الكرام أن يراجعوا ديواني الشاعرين الكبيرين (جرير) و (الفرزدق) .. . فكيف يقرر (أحدهم) فيقول في مقالته العجيبة ما نصه :ـ (إنّ معلقة امرئ القيس امتلأتْ بخطأ أكبر فظاظة [1]

---

[1] امتلأتْ بخطأ أكبر فظاظة . . جملة ركيكة ، تستدعي الاهْتمام ، في زمن العجائب .

ـ هكذا ـ وهو إدخال زحاف القبض ، وهو حذف الخامس الساكن من (مفاعيلنْ) ، لتصير (مفاعلنْ) ، أو (فعولُنْ) ، لتصير (فعولُ) ، على التفعيلة الثانية في البحر الطويل) ، ثم يقول ويقرّر جازماً :ـ ((ولا يجوز أنْ يدخل على بحر الطويل زحاف القبْض إلاَّ على التفعيلة الرابعة من كل شطر فقط ..))

فيا عجبي من تطاول بعضهم على تراثنا الخالد ، من دون فهْم ولا درايةٍ ، بعدما شرحتُ للقراء الكرام ، كيف يدخل القبض البحر الطويل ، مع العلم بأن أبا الحسن الأخفش إمام اللغة العربية ، كان يجيز في قصيدة واحدة ، أن يكون بعض الأعاريض في البحر الطويل على (مفاعلنْ) ، وبعضُها الآخر على (فعولُنْ) ، على أيّ ضرب كانت القصيدة ، وكان يقول ـ رحمه الله ـ :ـ " (مفاعلنْ) من جنس (فعولُنْ) ، وهو فرع له ، وأوّله مضارع لأوله ، فقياسه به أولى ، وإذا كان كذلك ، فقد وجدنا (المتقارب) باتفاق منّا تجتمع فيه عروض محذوفة ، وعروض غير محذوفة ، ويكون ذلك في قصيدة واحدة ، فبنَيْنا عليه الطويل ، وأجزْنا فيه ما أجزنا في (المتقارب) ، وذلك كقول النابغة :ـ

جزَى اللهُ عَبْساً عَبْسَ آلِ بَغـيضٍ

جزاءَ الكلابِ العاوياتِ وقــدْ فَعَــلْ

ووزنه هكذا :ــ

فعولُنْ / مفاعيلنْ / فعولُ / فعولُنْ فعولُنْ / مفاعيلنْ / فعولُ / مفاعِلنْ))

وانظر ما جاء في كتاب (الوافي في العروض والقوافي) للإمام الخطيب التبريزي ، عن البحر الطويل ففيه تفصيل وبيان ..

أمّا البحر (المتقارب) ، فباتفاق علماء العروض ، تجتمع في القصيدة الواحدة ، عروض محذوفة ، وعروض غير محذوفة ، ويكون ذلك في قصيدة واحدة ، كما صرّح بذلك الإمام الخطيب التبريزي ، في كتابه (الوافي) [1] .

وإذا نظرنا في دواوين كثيرة لشعراء معاصرين كبار ، ولشعراء قدامى ، كديوان خير الدين الزركلي ، وديوان محمد مصطفى حمام ، وديوان أحمد محرّم ، وديوان خليل مطران ، وديوان أبي فراس الحمْداني ، وديوان (صُرّدُر) ، وديوان الأرّجاني ، وغيرها من الدواوين ، لوجدنا أنّ جميع هؤلاء الشعراء ، أتوا بقصائد من البحر المتقارب ، واجتمعتْ في القصيدة الواحدة ، عَروض محذوفة ، وعروض غير محذوفة ..

---

(1) (الوافي في العروض والقوافي) للخطيب التبريزي ، ص ٤١ المطبوع في دار الفكر بدمشق في سنة ١٩٧٩م

وجاءنا في آخر الزمان ، من يعترض على ذلك بدون علم ، فيقول ما نصه :ـ ((أما بالنسبة لنص حمد الزيد من بحر المتقارب الذي قال في أحد أبياته :ـ

وماذاْ يُفيدُ رثائي وقدْ صَعدَتْ روحُك الساميهْ

وقام العبَّادي بتعديله إلى :ـ

وماذاْ يفيدُ رثائي لأُمّي وقد صَعدَتْ رُوحُها الساميهْ

فقد وقع في خطأ أعظم وأشنع من الخطأ السابق ، حيث جاءت العروض على وزن (فعولنْ) ، وهذا لايقع عروضياً إلاّ إذا جاء في الضرب شبيهٌ له ، أما في هذه القصيدة التي جاء ضربها محذوفاً ، فلا يصح أنْ تأتي العروض على وزن (فعولنْ) انْتهى ما قاله (أحدهم) ، زاده الله معرفة وصبْراً على قراءة التراث ،وسأكتفي فى ردّي عليه بشاعر قد رضي عنه هذا الصابر على قراءة التراث ، إذْ قال ـ هداه الله :ـ (وبإمكانك سيّدي القارئ النبيل ، أنْ تعود إلى كتب العروض والقافية ، وأنْ ترصد جميع دواوين الشعر الجيدة ، القديم منها والحديث) ثم ذكر قصيدة لأبي القاسم الشابي ، ضمن القصائد الجيدة ، فعلمتُ أنّه قد رضي عن أبي القاسم الشابي ، ولم يرض عن عمر بن أبي ربيعة ، وأبي فراس الحمْداني ، حيث رفض شعرهما ، واعتبره خطأ فادحاً ، لذلك أقدّم إليه قصيدة أبي القاسم

الشابي (إرادة الحياة) ، وهي من البحر المتقارب ، ولعله يرضى عنها .

يقول الشابي :ـ

إذا الشعْبُ يوماً أراد الحياةَ فلا بدّ أنْ يستجيبَ القدَرْ

ولا بدّ لليل أنْ ينْجلي ولا بدَّ للقيْدِ أنْ ينكسِرْ

إلى أنْ يقول :ـ

وتلهْو بها الريحُ في كلّ وادٍ ويدْفِنُها السيلُ أنَّى عبَرْ

ويفْنىٰ الجميعُ كحُلْمٍ بديعٍ تألّق في مهْجةٍ وانْدثرْ

وتبقىٰ البذورُ التى حُمّلتْ ذخيرة عُمْرٍ جميلٍ غَبَرْ

وذكْرىٰ فُصولٍ ورُؤيا حياةٍ وأشْباحَ دنيا تلاشتْ زُمَرْ

فأنت ترى أنَّ هذه القصيدة التزم الشاعر فيها الضرْب المحذوف (فعَلْ) ، كقصيدة حمد الزيد ، وهو واجب في البحر المتقارب ، ولم يلتزم الشاعر العروض المحذوفة ، إذْ جاءت عروضها في البيت الأول (فعولُ) مقبوضة بضم اللام ، وفي البيت الثاني محذوفة (فعَلْ) بسكونْ اللام ، وفي البيت الثالث (فعولنْ) صحيحة ، ثم في البيت الرابع (صحيحة) (فعولنْ) ، ثم في البيت الخامس محذوفة (فعَلْ) ، ثم في البيت السادس صحيحة (فعولنْ) ..

وهناك قصيدة جيدة للشاعر الكبير علي الجارم (رحمه الله) ، جاءتْ في ديوانه ، في الجزء الثاني من صفحه ١٥٣ طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٣٨ م ، وهي من البحر المتقارب ، وكان ضربُها محذوفاً كقصيدة الزيد ، وأمّا عروضها ، فقد جاءتْ على وزن (فعَلْ) ، و (فعولُ) ، و (فعولنْ) ، فلْيراجعها مَنْ يشاءُ في ديوانه ، ولولا الإطالة لذكرتُ الكثير من هذه القصائد .

وإنّي أسوق هذا الدليل ، وأنا لا أدري أين يقع علي الجارم من رضا (أحدهم) ، ولكنني قبل أنْ ينال شاعرنا الكبير منه سخْط ، أو غضب ، أوْ يلحقه منه أذىً أو تشهير ، أوَدُّ أنْ أذكِّرَه أنّ (علي الجارم) إمام في اللغة العربية ، وله مؤلفات فيها ، تعلّمنا منها في بدء نشأتنا الأولى .. ..

إذنْ فلا تثْريب عليَّ ، أنْ قمت بتعديل بيت الزيد ، إلى :-

وماذا يفيدُ رثـائي لأمّـي وقدْ صعدتْ روحُها الساميهْ

فإنّه يسعني ما يسع الشابّي ، وعلي الجارم ، وغيرهما من الشعراء ، الذين لم آتِ بقصائدهم ، اقْتضاباً واختصاراً للمقالة ... ولي إنْ شاء الله حديث مفصّل ، عن البحر الطويل ، وعن البحر الرجز ، وعن البحر المتقارب .. . وأرجو ألاّ أثقل على القراء الكرام ، لأنّ الحديث عن العروض ، حديث فيه من الجفاف العلْمي ، ما تتكاءده النفْس .



يجب على الشاعر أن يكون شعره نتاج السليقة ، وبجانبها اللغة الثّرة ، ورهافة الحس ، وسعة الخيال ، والقدرة العجيبة على حسن التعبير ، والتصوير ، وإجادة السَبْك ، وكلُّ أولئك أدوات ، يجب أنْ يمتلك ناصيتها الشاعر الموهوب . . . وما يُنشر في الصحف والمجلات من شعر ، أكثره كلام لا شعر فيه ..

تقرأ القصيدة كلّها ، فلا تقع عيناك على تعبير جديد ، أو معنىً يصحّ السكوت عنه .

ولقد قال ناقد عربي نسيتُ اسمَه :ـ (ما أَظُنُّ رأس واضع هذا العلْم ـ ويعني علم العروض ـ انشقّ إلاّ انتقاماً للشعر منه ، إذْ عبَّد طريقه للناس ، فسلكها الكسيح والمقعد) .

ولقد صدق الناقد فيما قاله ، لأنه لم يَر في زمانه أُناساً ينظمون الشعر ، ويأتون به مكسوراً يحملُ ألفاظاً جوفاءَ محنطة .

وإنْ كان الشاعر الكبير أمين نخلة قد رأى هذه الفئة من الناس فقال :ـ (ما بال كُتّاب ـ بضم الكاف وتشديد التاء ـ الرحلات لا يزعمون في باب العجائب والغرائب من كتبهم ، أنهّم رأوْا في بعض البلدان التي طرأوا عليها ، أناساً ينظمون الشعر بلا وزن ولا قافية ولا معنى) .

ولقد فوجئت بقصيدة كسيحة ، أذن لها أن ترى النور على صفحات ملف ثقافي أدبي ، من المفترض ألاّينشر فيه إلاّ الشعر الذي يختلب الأبصار ، وترتاح إليه النفس ، ويكون سليماً من الأخطاء العَروضية واللغوية والنحْوية ، احتراماً للنادي ومجلسه الموقر .

لقد نشر ملف نادي تبوك الأدبي في عدده الأول للسنة الأولى الصادر في شهر ذي القعدة من عام ١٤١٦ هـ ، واسم الملف (أفنان) .

لقد نشر الملف قصيدة للأخ الأستاذ مسلم فريج العطوي ، عضو مجلس إدارة النادي ، امتلأتْ بالأخطاء العروضية واللغوية ، ولا أدري كيف سُمح لهذه القصيدة أنْ ترى النور على صفحات (أفنان) ، وإنْ كان لا يخْلو عصرنا كغيره من العصور ، من النظّامين ذوي الشعر البارد ، ممن ملأوا الدنيا جعْجعةً بلا طحن . . . وذهب ما

ملأوا به الدنيا أدْراج الرياح ، ولم يبق لنا من الشعر إلاَّ شعر المبدعين الذي قد سجّله سفْر الخلود ، وحفظه لنا ، وأخذنا نردده جيلاً بعد جيل ، ونتغنَّى به ونتمثل به .

إنّ الشاعر القرْزام [1] فى عصرنا الحاضر وضعنى في أمْر حرج ، وأنا رجل طيب أحب الناس وأجاملهم ، ويشهدون لي بالذوْق وحسن الخلق ، وأكون في الخصومة مهذّباً ، لا أسيء إلى أحد مهْما كانتْ خصومتي معه ، وهذا ديْدني ونهْجي ، نشأت عليه منْذ الصغر ، ومع هذا كلّه فإنّي لا أستطيع أنْ أُطلق على القرْد غزالاً ، ولا على البومة بُلبلاً ، ولا على القبيحة حسناءَ جميلةً .

سمع الشاعر الكبير أمين نخْلة ، بدويّاً يرتجل شعراً (نبطيّاً) ولقد أنشد هذا الشاعر من جملة كلام له لفُرْقة أحبابه ، وطُول اغترابه ، ما هذا معناه :ـ يوم الرحيل والبعد عن الأوطان ، عرفتُ من حنين ناقتي في الطريق ، أنّ الديار قد بعدتْ عنّا كثيراً) ..

يقول أمين نخلة : ـ (ألا أيها البدوي الذي يقول الشعر ، من غير أنْ يهيئه ، لأنْت الذي حبّبَ إليَّ الارْتجال مرةً واحدة في عُمْري ، هى هذه المرة) .

---

[1] قرزْم الشاعر شعْره :ـ جاء به رديئاً فهو قِرْزام ..

وأقول إن الشعر (نبطياً) كان أوْ (عمودياً) أوْ (حرّاً) ، هِزّةٌ وطربٌ ، وما أصدق الشاعر الكبير أحمد شوقي حين قال : ـ (ياليت شعْريَ هلْ قلتُ الذي أجدُ) ..

فالطريق ما بين القلم والورق ، طويل صعب ، ولا يُلقّاهُ إلاّ كلُّ ذي حظ عظيم .

وأعودُ إلى ما كنتُ بصدده ، لقد كانتْ ما سمَّاها بقصيدة (الوفاء) ، الأخ الأستاذ مسلّم العطوي ، تتكوّن من أربعة وثلاثين بيتاً ، لم يأت منها صحيحاً معافىً سليماً ، إلا ثمانية أبيات فقط .

والقصيدة أو ما سمّاها الأخ العطوي قصيدة ، هي من البحر (البسيط) ، وأجزاؤه ثمانية مكونة من (مسْتفْعلنْ) ، (فاعِلنْ) ، المكررة أربعاً من التفعيلات ، وسمّيَ هذا البحر بسيطاً ، لأنّ الأسباب انبسطَتْ في أجزائه السباعية ، فحصل في أولّ كل جزْءٍ من أجزائه السباعية سببان ، وقيل : سمّيَ بسيطاً ، لانبساط الحركات في عَروضه وضربه ، وقيل :ـ سُمّيَ بسيطاً ، من البساطة التي هي السهولة . . والبحر البسيط ، من أسهل الأوزان للشاعر الناشئ ، وقصيدة صاحبنا الأستاذ العطوي من وزن البسيط ، الذي عروضه

الأولى مخبونة ووزنها (فَعَلُنْ) بتحريك العين ، وضربها الأول مخبون مثلها ، ووزنه هكذا :ـ

مسْتفْعلنْ / فاعلنْ / مسْتفْعلن / فَعَلُنْ

مسْتفْعلنْ / فاعِلنْ / مسْتفْعلنْ / فَعَلنْ

ونأخذ بيتاً صحيحاً من أبيات العطوي وهو :ـ

هذا الوفاء به أبياتكمْ نضحتْ اسلمْ فدْيتُك يا ابنْ الأكرمين أبـاَ

ووزنه هكذا :ـ

مسْتفْعلنْ / فَعَلنْ / مسْتفْعلنْ / فَعَلنْ / مسْتفْعلنْ / فَعَلنْ /مسْتفْعلنْ / فَعَلُنْ

سالم / مخبون / سالم / مخبونة / سالم / مخبون / سالم / مخبون

وهذا البيت قد دخل الخبْن حشْوه ، على التفعيلة الثانية من الشطر الأول ، وعلى التفعيلة الثانية من الشطر الثاني ، وهو زحاف يجوز أنْ يدخل حشو البسيط كغيره من الزحافات الجائزة في حشْو البسيط ، كالطيّ والخَبْل ، ففي كلّ (فاعلنْ) يجوز الخبْنُ ، فتصير به (فَعَلُنْ) ، وهو زحاف جميل حسن ، يقول عنه الصاحب بن عبّاد في كتابه (الإقناع فى العَروض وتخريج القوافي) :ـ (وربّما كان زحاف الخبْن في الذوق أطيب من الأصل) .. ويجوز الخبْن والطيُّ والخبْلُ في كلّ (مستفْعلنْ) ، فتصير بالخبن (مفاعلنْ) أو (مَتفْعِلنْ) ، وبالطيّ

(مفْتَعلُنْ) أو (مسْتَعِلنْ) ، وبالخبْل (فعلَتُنْ).. كما يدخل الخبْن والطيُّ والخبْل عَروضه وضرْبه ، وله مقاييسُ معروفة معلومة لأصحاب العروض ، لا داعي لذكرها في هذه المقالة المختصرة ، وأبيات الأستاذ العطوي المكسورة ، وعددها ستة وعشرون بيتاً ، تستقيم لو استطاع أخونا العطوي ، أن يجري عليها التعديلات المطلوبة ، ولكنّ العطوي غير ملمّ بفن الشعر ، كما يبدو لي من قصيدته ، فسامحه الله .. .

وإليك هذا البيت من كلام العطوي : -

إنْ كنْتَ تُيّمتَ في تَبوك حبًّا لها

فلسْتَ أوّلَ منْ في ربْعها رَغِبا

فالشطر الأول منه مكسور ، ويستقيم لو قال العطوي :-

إن تيّمتْك تَبوكٌ أوْ شَغِفْتَ بها ....

ويقول العطويّ :-

هذي تَبوكُ وهذا حالُ منْ أَمَّها

ما غرّدَ الطيْرُ في مروجها ورَبَا

وهـو بيـت لم يسـلَمْ شـطْراهُ ـ مـن الكسـر .. ... ويسـتقيم لـو قـال العطوي :ـ

هذي تبوكُ وهــذا حــالُ عاشِــقها

ما غرّد الطيْرُ في أفنْانهــا ورَبَــا

ويقول العطوي : ـ

في دَوْحة (الأربعاء) شذّنا عرفُها

معنًى ولفْظاً تراقصَتْ بنــا طَربَــا

والبيت قد كُسرَ شطْراه ، ويستقيم لو قال : ـ

فى دَوْحةِ (الأرْبعا) جاءتْ تعطّرنا

معنًى ولفْظاً وسبْكاً هزّنــا طَربَــا

ويقول العطوي :ــ

يُغْضي حياءً ويُغْضى من مهابتــه

كأنه الليثُ فــي عَرينــه انْتَصــبَا

والشطر الثاني من البيت مكسور ، ويستقيم لو قال العطوي :ـ

يُغْضي حياءً ويُغْضى منْ مهابَتِــهِ

كأنّه الليْثُ فــي غاباتِــه انْتصَــبَا

علماً بأنّ الشطر الأول من البيت ، ممّا يُنْسب إلى الفرزدقِ من قصيدته المشهورة [1] .

وأترك الأبيات الأخْرى المكسورة ، وهي ستةٌ وعشرون بيْتاً ، ولعلَّ أخانا العطوي ، يجرّب حظه ، ويقوم بإصلاحها حتى تستقيم ، فيحفظُ ماء وجْهنا نحن أعضاء مجالس إدارات الأندية الأدبية . .. أو يطلّق الشعْر إلى غير رجْعة .. .

وللفائدة أقول :ــ إنّ المتداول من البحر البسيط ثلاثُ أعاريض ، وستة أضرب :

الضرب الأول : ـ مخبون ، وعَروضه مخبونة ،(فَعَلُنْ) بتحريك العين .

والضرب الثاني : ـ مقطوع (فعْلُنْ) بسكون العين ، وعَروضه (فَعَلُنْ) بتحريك العين .. .

والعروض الثانية مجزوءة صحيحة (مسْتَفْعلنْ) ، ولها ثلاثة أضْرب : ـ

١)ـ الضرب الأول مجزوء مذيَّل (مسْتَفْعلانْ) ، وشاهده :ــ

---

[1] البيت بشطريه ، جاء هكذا :ـ

يُغْضي حياءً ويُغْضَى منْ مهابَتِهِ … فما يُكلَّمُ إلاَّ حينَ يَبْتَسِمُ

وهو من أبيات للحزين الكناني ، يمدح بها ، عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وقد ذكرها أبو تمام في حماسته ، ونسبها إلى الفرزدق في مدح زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ونفي ذلك الأصفهاني ، في كتابه (الأغاني) ، وقال :ـ(وهو غلط ممن رواه) وانظر (الأغاني) ج ١٤ ص ، ٧٤ — ٧٧ طبعة دار الكتب المصرية . .

إنَّا ذَممْنا على مــا خَيَّلَــتْ سعْدَ بْنُ زيْدٍ وعمْرٌو منْ تميمْ

ووزنه :

مسْتفْعلنْ / فاعلنْ / مسْتفْعلُنْ / مسْتفْعلنْ / فاعلُنْ / مسْتَفْعِلانْ

سالم / سَالم / سَالم سالم / سالم / مذيَّل

وهـذه العـروض والأضـرب مـن البحـر البسـيط ، وزنـه قبـيح لا ترتاح له أذن السامع ، وعـدّه قدامـة بـن جعفـر الكاتـب مـن أقـبح الشـعر وزنـاً ، واستشـهد بهـذا البيـت إنَّـا ذمْنـا علـى .... للأسـود بـن يعفر ، وما قاله قدامة :ـ مدون في كتابه (نقد الشعر) .

٢)ـ الضرب الثانى : مجزوء صحيح مثل العروض (مسْتفْعلنْ) ، وشاهده :ـ

ماذا وقُوفي على رَبْعٍ عفَــا مخْلَوْلِــقٍ دَارِسٍ مسْــتَعْجِمِ

ووزنه :ـ

مسْتفْعلنْ / فاعلنْ / مسْتفْعلنْ ــــــ مسْتَفْعلنْ / فاعلنْ / مستفْعلنْ

سالم / سالم / سالم سالم / سالم / سالم

٣) الضرب الثالث :ـ مجزوء مقطوع (مفْعولنْ) ، وشاهده :ـ

سُيروا معاً إنّمــا ميعــادُكمْ يومَ الثُلاثاءِ بَطْنُ الــوادي

ووزنه هكذا :ـ

مستفْعلنْ / فاعلنْ / مسْتفْعلنْ ـــــ مستفْعلنْ / فاعلنْ / مفعولنْ

سالم / سالم / سالم ــــــــ سالم / سالم / مقطوع

العروض الثالثة :ـ مَجزوءة مقطوعة (مفْعولنْ) ، ولها ضرب واحد ، مجزوء مقطوع مثلها ، وشاهده :ـ

ما هيّجَ الشوْقَ من أطْلالٍ   أضْحَتْ قفِاراً كَوَحْيِ الْواحِي

ووزنه هكذا : ـ

مسْتفْعلنْ / فاعِلنْ / مفْعولنْ ـــــ مستفعلنْ / فاعلُنْ / مفْعولُنْ

سالم / سالم / مقطوعة ـــــ سالم / سالم / مقطوع

وهذا هو المسمّى (مخلَّع البسيط) ، والتخْليع في باب العروض ، :ـ (قطْع ـ مسْتفْعلنْ) في عروض البسيط وضربه جميعاً ، فينقل إلى (مفْعولنْ) ، ويسمّى (البيت مخلّعاً) ، كما قاله صاحب الصحاح في مادة (خلع) ، ويجوز في (المخلّع) خبْن (مفعْولنْ) ، فتصير (فعولُنْ) ، ويكون في العروض والضرب ، وشاهده :ـ

أصبْحْتُ والشيبُ قد عَلاني   يدْعو حثيثاً إلى الخِضَابِ

ووزنه هكذا :ـ

مستفْعلنْ / فاعلنْ / فَعولُنْ ـــــ مستفْعلنْ / فاعِلنْ / فَعولنْ

سالم / سالم / مقطوعة مخبونة ـــــ سالم / سالم / مقطوع مخبون

وهـذا الـوزن مـن (مخلـعّ البسـيط) الـذي خُبنَـتْ عروضـه وضربه ، فبقي كل منهما على وزن (فَعولنْ) ، هو الـذي يحسن في الذوق ، وهو الذي استحسنه المحدثون من شعراء العصر العبّاسي ، ومن جاء بعدهم ، وأكثروا من الـنظم فيـه ، وقـد ورد في أشعار ابـن الرومـي كـثيراً ، كقصـيدته المعروفـة ، الـتي يهجـو فيهـا رجـلاً اسمـه (عمرو) ، يقول ابن الرومي :ـ

وجْهُك يا عمْرُو فيه طُـولُ ... وفي وجوهِ الكـلابِ طُـولُ

ويجوز أنْ تجيء عروضه المجزوءة ، حذّاء مخبونَة على (فَعَلْ) ، ولهذه العروض ضربان :ـ

الضرب الأول :ـ مقطوع مخبون (فَعولُنْ) ، وشاهده :ـ

والبيضُ يـرفلْنَ كالـدُّمىٰ ... في الريْط والمُذْهَبِ المصوَنِ

ووزنه :ـ

مستفْعلنْ / فاعلنْ / فَعلْ ـــــ مستفْعلنْ / فاعلنْ / فعولنْ

سالم / سالم / حذاء مخبونة ـــــ سالم / سالم / مقطوع مخبون

والضرب الثاني : أحذّ مخبون ، مِثل العَروضِ (فَعَلْ) ، وشاهده :ـ

عجْبتُ مـا أقْـربَ الأجـلْ ... منَّـا ومـا أبعْـدَ الأمـلْ

ووزنه :ـ

مفاعلنْ / فاعلنْ / فَعَلْ ـــ مسْتفْعلنْ / فاعلنْ / فعلْ

مخبون / سالم / حذّاء مخبونة ـــ سالم / سالم / أحذّ مخبون

وقد نظم الأستاذ الكبير عباس محمودالعقاد / على الضرب الثاني من هذا الوزن ، قصيدة جاء فيها :ـ

أبصرْتُ بالموْتِ في الكرىْ ... عميـــانَ لايخطـــئُ العَـــدَدْ

عمْيانَ حتّـــى لِمـــا تَـــرىْ ... عيْنَاه مـــا اغْتـــال أورصَـــدْ

وهي طويلة .

ولمشْطور البسيط شواذ ، ومن هذا الشاذّ ما جاء في لزوميات أبي العلاء المعّري ، كقوله من قصيدة :ـ

دنْيـــــاكَ موْموقـــــةٌ ... أكْثَـــرُ مـــن أخْتِهـــــا

ووزنه :ـ

مسْتفْعلنْ / فاعلُنْ / ـــــ مفْتعلَنْ / فاعِلنْ

وما جاء في شعر أحمد شوقي ، كقوله من قصيدة :ـ

أهْـــــرقَ عُنقودَهـــــا ... تقْدمَـــــــةً للصـــــــنَمْ

ووزنه :ـ مفْتعلنْ / فاعلنْ ـ مفتعلنْ / فاعلنْ

وما جاء في شعر خليل مطران ، كقوله من قصيدة :ـ

يـــا ثـــاكلاً بعضَـــهُ ... مـــسَّ الـــرّدى أجْمَعَـــكْ

ووزنه :ـ

مسْتفْعلن / فاعلنْ ـــــ مسْتفْعلنْ / فاعلنْ

وما جاء في هذا الشاهد :ـ

صـــاح الغـــرابُ بنـــا ... فـــي ليْلـــةٍ شَـــبمَهْ

ووزنه :ـ

مستفْعلنْ / فعَلنْ ـــــ مستفْعلنْ / فعَلنْ

وقد رأيت للشاعر الكبير الصديق حسين سرحان ـ رحمه الله ـ قصيدة من (مخلّع البسيط) ، على وزن لم أره فيما قرأتُ حديثاً وقديماً ، إذ جاءت عروض قصيدته مقطوعة مخبونة (فَعولنْ) ، وضربُها أحذّ مخبون (فعَلْ) ، وهي قصيدة طويلة بديعة ، يقول فيها :ـ

أَثِمْتُ والإثْـمُ مـنْ طِبـاعي ... وأَنْـتَ مـنْ طبْعِـك الكـرَمْ

هَبطْتَ بي من ذُرا ارْتفـاعي ... يا مُوجدَ الروحِ مـن عَـدَمْ

الطـينُ مـازال يحْتـويني ... يـردُّ وثْبـي إلَـى الثّـرىْ

فشاهَتِ الأرْضُ مـن قَـرينِ ... وسـاءَتِ الأرْضُ عُنْصـرا

وهي مخطوطة بخط يده ، رأيتُها في أوراقه الخاصة مكونة من ستة عشر بيتاً ، وقد قلت للسرحان بعد قراءتها ، إن الإمام التبريزي قد قال عن الأبيات :ـ

إنّ شِــــواءً ونَشْـــــوَةً وخَبَـــبَ البـــازِلِ الأمُـــونِ

من لَـــذَّةِ العـــيْش والفتَـــى للدهْرِ والـــدَهْرُ ذو فُنـــونِ

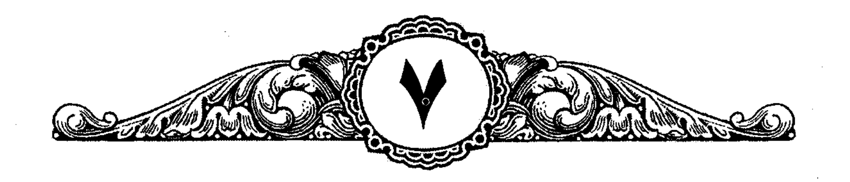
وهذه الأبياتَ تُشبهُ أبياتك في الإيقاع والوزن ، مع التغيير في العروض ، فقصيدتك عَروضُهَا مقطوعة مخبونة (فَعولنْ) ، وضربُها مجزوء أحذّ مخبون (فَعَلْ) ، وعروض هذين البيتين (فعلْ) ، وضربهما (فعولنْ) .

فقال لي (رحمه الله) :ـ وماذا قال التبريزي .. قلتُ : قال التبريزي : هذه الأبيات خارجة عن العَروض التي وضعها الخليل بن أحمد ، وعمّا وضعه الأخفش الأوسط ، سعيد بن مسعدة ، قال السرحان (رحمه الله) : لقد صدق التبريزي ، ولكن لو قرأ التبريزي قصيدتي أوْ سمعها ، لطرب لها وأجازها وأقرّها .

ويعلم الله أنّ قصيدة السرحان بديعة ، تستسيغها الأذن وتستخفها ، ويرتاح إليها السامع ، مع أنّ السرحان لا يعرف شيئاً من علم العروض ، ولكنَّ الشاعر الأصيل كالسرحان ، يؤلف النغم

بحس وإدراك ، فيأتي وقعه في السمع خفيفاً منساباً ، يحمل الجرْسَ والموسيقى .

وفي ملف (أفنان) قصائد أُخَر ، وموضوعات تحتاج إلى نظر ، فيا إخواننا الفضلاء ، ارحمونا من هذا الهراء ، وحافظوا على مكانتنا العلمية ، والذي لا يحسن الصهيل من شعرائنا ، فليرْحَمْنا من أي صوت آخر ، واعْلموا أيها الإخوان أن الشاعر المقلّد ، ثقيل الظل ، ميت الروح والأحاسيس ، يقول القصيدة فتموت في الحال .



قال أبو تمام (رحمه الله) :-

أَلا إنّ نفْسَ الشعْرِ ماتتْ وإنْ يكنْ عَداها حِمامُ الموْتِ فهْي تَنَازَعُ

قال ذلك أبو تمام من مئات السنين ، والشعر شعر ، والشعراء لا يقولون إلا الشعر الجيد الذي يشنف الآذان ، ويأخذ بمجامع القلوب ، ثم جاء هذا الزمان الذي أتحفنا بالعجيب ، ورأينا فيه شعراء يفرضون شعرهم على السامعين ، فإذا انتقدناهم ، رمونا بعُجَرهم وبُجَرهم .

ورحم الله أبا تمام هذا الشاعر العملاق الذي قال عنه أبو العلاء المعّرِي :ـ « لو تمثّلتْ بائيات أبي تمام وداليات أشخاصاً ، وخرجتْ خلف نفسه ، لضاق بها الفضاء » ولقد صدق أبو العلاء المعرّي ، لأن قصائد أبي تمام حوتْ كل حسن نادر ، ومن الملائح كل عجيبة غريبة ، ولايعيب بعض شعره إلاّ غموضه ، لمن لايعرف هذا

الغموض ولا يستحسنه ، ولا يميل إليه .. . مع أنّ ابن الأثير قد قال في شعره الغامض ، وشعر بعض الشعراء :ـ " أفخر الشعر ما غمض ، فلم يعطك غرضه ، إلاّ بعد مماطلة منه "

وعندما تصدّيت لبعض الشعراء ، ممن ينظمون شعراً عمودياً مضطرباً ، لا تستريح إليه الآذان ، ولا تطمئن إلى سماعه النفوس ، وهؤلاء الشعراء (غفر الله لهم) يلاقون عنتاً وجهداً في نظم شعرهم ، ويتكبدون مشقة وعناءً في قوله ...

عابني أصحاب هذا الشعر البارد ولاموني ، وعدّوْني متصيّداً أخطاءهم ، واضعاً من شأنهم ، متهكّماً بشهاداتهم ، معرّضاً بعلمهم ، وأنا يشهد الله بريء مما يقولون .. . وكل ما أنادي به وأطلبه :ـ أنّ من كتب شعراً عمودياً ، أو حرّا ذا تفعيلة معروفة ، فُرضَتْ عليه الأصول والقواعد ، من عروض ، ونحو ، ولغة ، وصرف ، وعليه ألاّ ينتهك حرمة هذه القواعد ؛ لأن الضرورة السائغة للشعراء ، لا تعطيه الحق في انتهاك هذه الحُرمة ، ولم يجز أحد من علمائنا الأوائل هذا الانتهاك ، .. وأعود إلى ما أنا بصدده ..

لقد نشرت جريدة الشرق الأوسط الغرّاء ، في عددها الصادر في يوم الجمعة ، الموافق ١٥ / ٥ / ١٤١٧ هـ ، قصيدة عصماء للشاعر

العراقي الكبير ، عبد الوهاب البيَّاتي ، يهنئ فيها الشاعر الكبير ، محمد مهدي الجواهري بعيد ميلاده .. وقد جاء في مقدمة القصيدة : أن الشاعر البيَّاتي ، لم يكتب الشعر العمودي منذ زمن طويل ، ومع هذا فإني أقول :ـ قد جاءت قصيدته موزونة مستقيمة ، خالية من الاضطراب ، الذى ابتلانا الله به في آخر هذا الزمان .. .

وكانت قصيدة الشاعر عبد الوهاب البيَّاتي ، من البحر السريع ، وهو بحر من أقدم بحور الشعر ، على قلة ما جاء منه في الشعر العربي القديم ، حتى هابه شعراء العصر الحديث ، فلم يركبوه خشية أمواجه المتلاطمة ، وعمق مياهه الصاخبة .. . وأذن الشاعر بطبعها تميل إلى ما ألفَتْ سماعه ، من الشعر ذي الموسيقى الهادئة ، بنغماته الحلوة ، وإيقاعاته الجميلة ، التي يخلو منها البحر السريع ، الذي هو أقرب إلى طبيعة النثر من الشعر .. . ولكنّ شاعراً مثل البياتي ، لا يعجز عن خوض البحر السريع واقتحامه ، وقد أعْطى هذا الشاعر بعمله هذا تلامذته من الشعراء الذين يحبونه ، ويعجبون بشعره الذي كتبه قصائد تفعيلة ، ومدوّرة ، أعطاهم درساً ، وأبْدى لهم قدرته على تنويع شعره، حتى ولو جاء شعره من البحر السريع ، البحر الذي يهابه الشعراء ، ويخطئ في قراءته الكثيرون من طلبة العلم .. ولقد قرأت في كتاب

(العروض) [1] لأبي الحسن أحمد بن محمد العروضي ، من علماء القرن الرابع الهجري ، قوله :ـ (ورأيت بخط رجل ممن له رغبة في العلم ، كثير الكتب جداً ، ويأخذ نفسه بالضبط والتصحيح ، والشكل الكثير ، وقد شكّل بيتاً من السريع موقوف الآخر ، فخفضه ونونه ، وهو قوله : " مادام مخ في سُلامى أو عيْنْ " ، وهذا لا يجوز تحريكه البتّة ، وهو الذي يسمى المترادف ، لاجتماع الساكنين في آخره .

ثم يقول الشيخ أبو الحسن العروضي رحمه الله :ـ (ورأيت بخط هذا الرجل :ـ

مقابل الأعْراقِ في الطاب الطـــابِ

بين أبي العاصـــي وآل الخطّـــابِ

وهو موقوف الآخر ، لأنه من البحر السريع [2] ، ولو أن متتبعاً لكتب هَذا الرجل ، لوجد فيها أطرف مما وجدنا ، وأعجب مما حكيْنا ، هذا مع تحرزه وضبطه ، وكثرة سماعه وكتبه ، فلو لم يكن في علم العروض من المنفعة إلاّ الخروج عن هذه الجملة من الناس ، والدخول في جملة أهل الفهم والفحص ، فعند ذلك يسود به مَنْ

---

[1] الكتاب مازال مخطوطاً ، ولعل الأستاذ الدكتور عياد عيد الثبيتي يقوم بتحقيقه ونشره ، وقد رأيت نسخته الخطية في مكتبته العامرة .

[2] فحّرك آخر عَروضه وهي الضرب ، وعَروضه :ـ مشطورة موقوفة (مفْعولانْ) . وشاهده :ـ (ياصاحِ ما هاجَك من ربْعٍ خالْ) ...

فَهِمَهُ ، ويشرف به من علمه ، فلا ينشد من الشعر إلاّ ما علم كيف أصله ومتصرفه ، ولا يكتب بيده إلاّ ما قتله علماً وفهماً) انتهى ما قاله العروضي (رحمه الله) .... ولقد صليت فريضة الجمعة في أحد مساجد الطائف ، وفي أثناء استماعي إلى خطبة الجمعة ، استشهد إمام المسجد بأبيات من الشعر ، بدأها بقول الشاعر :-

رَبٌّ يبول الثعلبُانُ برأسهِ لقد ذلَّ من بالتْ عليه الثعالبُ

فقال إمام المسجد : " ربٌّ " ولم يقل " أربٌّ " كما جاءت به الرواية الصحيحة لهذا البيت ، وهنا تذكرت قول أبي الحسن العروضي :- (فلو لم يكن في علم العروض من المنفعة إلاّ الخروج عن هذه الجملة من الناس ، والدخول في جملة أهل الفهم والفحص ، فعند ذلك يسود به من فهمه ، ويشرف به من علمه ، فلا ينشد من الشعر إلاّ ما قتله علماً وفهماً) "

فكأنَّ أبا الحسن العروضي (رحمه الله) نظر إلى إمامنا " إمام المسجد " حينما قرأ هذا البيت خطأ ، فقد ذكر رحمه الله قصة مشابهة لما وقع فيه إمامنا من خطأ ، قال أبو الحسن العروضي رحمه الله :- (وخُبّرتُ عن شيخ من مشايخ أهل العلم والرواية ، وكانت له حلقة في المسجد بالرصافة ، أنه ينشد بيت امرئ القيس :-

ألاَ إننـــي بـــاكٍ علـــى جمـــلٍ بـــاكِ

يقود بنا باكٍ ويتبعنا باكٍ ويحدو بنا بـــاكِ

فجعل البحر الطويل على عشرة أجزاء ، وهـذا شيء ما قاله عربيٌّ قط ، ولا أنشده عجمي ، فأي هُجْنة أقبح على الإنسان من هذه الهجنة ، وبُكْم الخرْس أحسن من مثل هذا) .

ومن المصادفة أن يقع هذان الشيخان :ـ إمام أحد مساجد الطائف ، في عصرنا الحاضر ، وشيخ المسجد الجامع بالرصافة ، في القرن الرابع الهجري ، في خطأ واحد ، فكلاهما يخطئ في قراءة بيت من البحر الطويل ، إمامنا ينقص حرفاً من التفعيلة الأولى من البيت ، وشيخ جامع الرصافة ، يزيد تفعيلتين على البيت ، وهذا مرده إلى الجهل بعلم العروض ، هذا العلم الذي قال عنه أحد المتشاعرين المعاصرين :ـ (إنه علم نضج واحترق) .

ولكنَّ هناك بوناً شاسعاً بين خطأ إمام مسجدنا ، وخطأ شيخ المسجد الجامع بالرصافة ، لأنَّ خطأ إمام مسجدنا نجد له مخْرجاً إذا افترضنا أن البيت :ـ أربٌّ يبول الخ .. بيت يتصدر أول القصيدة ، وقد جرت عادة بعض الشعراء ، كعمر بن أبي ربيعة ، وجرير ، والفرزدق ، وأبي تمام ، والمتنبي ، وغيرهم من الشعراء ، أنْ يفتتح

القصيدة من البحر الطويل بـ (فَعْلنْ) بسكون العين ، أو (فَعْلُ) بسكون العين وضم اللام ، ويسمّي علماء العروض هذا خرْماً ، بالخاء المعجمة المفتوحة والراء الساكنة ، والخَرْم من العلل الجارية مجرى الزحاف ، وهو إسقاط أول الوتد المجموع ، في صدر الشطر الأول من بيت القصيدة ، ويكون في البحر الطويل وغيره ، فتصير (فعولنْ) في الطويل بالخرْم (عولنْ) ، وتنقل إلى (فعْلنْ) بسكون العين ، إذا كانت (فعولنْ) سالمة ، ويسمّى ذلك (ثلْماً) ، وإنْ كانت (فعولنْ) مقبوضة ، تحوّلتْ (عول) إلى (فعْلُ) بسكون العين وضم اللام ، ويسمى ذلك (ثرْماً) ، فيكون تقطيع البيت الذي استشهد به إمام مسجدنا هكذا :-

ربٌّ يبول الثعلبُانُ برأسهِ   لقد ذلَّ من بالتْ عليه الثعالبُ

فعْلنْ / مفاعيلنْ / فعولُ / مفاعيلنْ   فعولنْ / مفاعيلنْ / فعولنْ / مفَاعلنْ

فنجعل بذلك مخرجاً لإمام مسجدنا من هذا الخطأ العروضي.. .

وأماَّ خطأ شيخ مسجد الجامع بالرصافة ، فلا حيلة لنا فيه ، ونقف أمامه حيارى متعجبين ، كما وقف من قبلنا متعجباً أبو الحسن أحمد بن محمد العروضي (رحمه الله) ... وأعود إلى قصيدة الشاعر الكبير عبد الوهاب البياتي ، التي هي من البحر السريع ، من الضرب الثالث :-

أصْلم (فعْلنْ) بسكون العين ، والعروض (فاعلنْ) مطويّة مكشوفة ، وشاهده في كتب العروض :-

قالتْ ولم تقصدْ لقيل الخَنَا مهْلاً لقدْ أبْلغْتَ أسْماعي

وهذا النوع من وزن السريع ، هو الشائع في الشعر العربي الذى ترتاح إليه الأذن ، ثم يأتي بعده ماجاءت عروضه على وزن (فاعلنْ) ، وضربه على وزن (فاعلنْ) أيضاً ، أيْ أنّ العروض والضرب مطويّان مكشوفان .. وللبحر السريع بيت عروضه (فاعلنْ) ، وضربه (فاعلانْ) ، وهو أقل استعمالاً لدى الشعراء من سابقيه ، ثم يأتي بعد ذلك ـ وهو من النادرجداً ـ ما جاءت عروضه وضربه على وزن (فَعُلُنْ) بتحريك العين ... وقد قرأ قصيدة الشاعر عبد الوهاب البياتي ، عدد من الإخوة الفضلاء ، وسألني بعضهم عن هذه القصيدة ، وقرءوا عليَّ بعض أبياتها التي ظنّوها مضطربة الوزن ، لأنّها لم تألفها آذانهم ، فرأوها ناشزة ، خارجة على الأصول في شعرنا العربي ، قديمه وحديثه .

وسبب ذلك يعود إلى (الخبْل) بالخاء المعجمة ، وسكون الباء الموحدة ، الذي لحق شطرين من قصيدة البياتي الرائعة ، الشطر الثاني من البيت الثامن ، والشطر الثاني من البيت السادس عشر . والخبْل

• كما هو معروف من الزحافات المستثقلة ، إذا ما لحقت بيتاً من أبيات البحر السريع ، حتى إنّ بعض علماء العروض قد أنكره ، والشطران هما :ـ (محصّناً بمدن البؤْسِ) ، و (بمرض النسْيان والمسّ) ، وأمّا سائر أبيات القصيدة فهي منسابة سلسة ، على ما دخلَها من الخبْن والطيّ وهما :ـ (مفاعلنْ) التي جاءت بعد الخبْن من (مسْتفْعلنْ) ، و (مفْتعلنْ) التي جاءت بعد الطيّ من (مسْتفْعلنْ) ، وللشريف الرضي قصيدة بديعة ، جاءت من وزن قصيدة الشاعر الكبير عبد الوهاب البياتي .. . جاءت عروضها مطوّية مكشوفة (فاعلنْ) ، وضربها أصْلم (فعْلنْ) بسكون العين ، يقول الشريف الرضى :ـ

هلْ ناشدٌ لي بعقيقِ الحِمى غُزيّلاً مرَّ على الركْبِ
أفلْتَ من قانصهِ غِرَّةً وعاد بالقلْبِ إلى السِّرْبِ

إلى أنْ يقول في ختامها :ـ

يا ماطِلاً لي بديُون الهوَى منْ دلَّ عينيْكَ على قلْبي

وإذا تصفحنا ديوان مهيار الديلمي تلميذ الشريف الرضي ، وجدْنا أنَّ مهياراً مغرم بالبحر السريع ، فقد خاض جميع أنواعه ، واحْتوى ديوانه على قصائد طويلات ، من هذا البحر المتدفق

الصاخب .. استمعْ معي إلى قوله من قصيدة أربتْ أبياتها على الستين :.

جاءَ بها والخيرُ مجْلوبُ ... طيْفٌ على الوحدة مصْحوبُ
طوى الفَلا يركبُ أشْواقَهُ ... والشوقُ في الأخْطارِ مرْكوبُ
يرغبُ في الظلماْء مستأنساً ... وجانبُ الظلْماءِ مرْهوبُ
أحْسنَ بي حتّى تخيلْتُهُ ... أصْدقَ شيءٍ وهو مكْذوبُ

إلى أن يقول :.

بِتُّ ورحْلي بك ريْحانةٌ ... نَمَّ عليها الحسْنُ والطيبُ
كأنمّا ذيْلُ الصَّبا فوقَها ... بالقطْرِ أوْ ذيلُك مسْحوبُ
يا ابنةَ قوْمٍ وجدوا ثأرَهمْ ... عنْدي بها والثأرُ مطْلوبُ

إلى أن يقول :.

وأنكِر الصبْوةَ من شائبٍ ... حتّى كأنْ ما صبَتِ الشِّيبُ
وهل عدتْني شيْبةٌ في الحشَا ... إذْ مفرقي أسْودُ غِرْبيبُ
لا لاقِطٌ فيها ولاخاضِبٌ ... والشيْبُ ملْقوطٌ ومخْضُوبُ
يغْلبُ فيها الحبُّ أمْرَ النُّهي ... والحزْم بالأهْواءِ مغْلوبُ
أمَا تقنّعْتَ بها رثَّةً ... لابسُها عُرْيانُ مسْلوبُ

تلاقَتِ الأوْجُهُ مقْتاً لها عنِّي فمَزْورٌ ومقْطوبُ

وهي قصيدة طويلة بديعة ، أثبتت لهذا الشاعر الكبير تطويعه للمعاني ، وقدرته على تجنب الخلل الموسيقي ، الذي نراه يلحق البحر السريع عند كثير من الشعراء ، والذي تتضرّر الأذن من سماعه.

وقصيدة مهيار الديلمي من وزن قصيدة الشاعر الكبير عبد الوهاب البياتي ، وكلاهما في الميدان فرسا رهان ، ورضيعا لبان ، وقصيدة البياتي على قصرها ، إذْ بلغت أبياتها واحداً وعشرين بيتاً ، لكنّها حملتْ إلينا من المعاني البديعة التي لانجدها إلاّ عند الشعراء الكبار ، كقوله :ـ (لأحمل الشمس إلى الشمْسِ) ، (يولد برْق العشقِ في النفْسِ) و (يعتنق السهْمان في القوْسِ) وقد أعطى الشاعر الكبير عبد الوهاب البياتي ، شعراء التفعيلة من الشبّان ، درساً في فن الشعر ، وبخاصّةٍ من سلكوا هذا الطريق ، وزادهم قليل ، ومؤونتهم شحيحة ، ودربهم وعْر ، ومحجتهم مظْلمة ، فتأتي قصائدهم التى يحبّرونها محصْرمة ، تضرّس السامعين عند سماعها ، ولعلّهم بعد نشر هذه القصيدة العمودية ، لرائد من رواد قصيدة التفعيلة والمدوّرة ، يهتدون إلى الصواب ، ويرحموننا من غثائهم ، ويدركون معنا ، أن الشعر بأنواعه الثلاثة " العمودي وشعر التفعيلة والنبطي " لا يذاع

ويشتهر بين الناس ، إلاّ بعد أن تستمتع الأذن بموسيقاه ، ويرتاح السامع إلى نغمته وإيقاعه ، لأن للشعر خصائص وموسيقى ، إنْ خلتْ منهما القصائد ، ماتَتْ هذه القصائد في مهدها ، وذهبت أدْراج الرياح ، ونسي الناس أصحابها .

وما دمتُ أتكلّم عن البحر السريع ، فإني قرأتُ للشاعر المُفْلق أبي تمّام ، قصيدة في وصف الربيع ، جاءت من هذا البحر ، من العروض المشطورة المكشوفة (مفْعولنْ) ، و هي الضرْب أيضاً ، وهذا النوع في الشعر العربي القديم ، نادر جداً ، بلْهَ الشعر الحديث ...

ولم يكن أبو تمام أول من نظم هذا الوزن من البحر السريع ، بل سبقه شاعر أو شاعران .. وأبو تمام معروف بإلمامه بعلم العروض ، وله قصائد خرجتْ عن المألوف ، ودلّتْ على تجديده في الوزن .. وقصيدة أبي تمام في وصف الربيع ، قصيدة رائعة لها دلالات ومعاني ، أخرجها أبو تمام في صورة خلاّبة ، ورسمها بالكلمات الشاعرة ، وأحاطها بإطار من ذهب خالص .. يقول أبو تمّام (رحمه الله) :-

إنّ الربيعَ أَثَرُ الزمانِ   لو كان ذا رُوحٍ وذا جثْمانِ
مصوَّراً في صُورةِ الإنْسانِ   لكانَ بسَّاماً من الفتْيانِ

بوركْتَ من وقْتٍ ومن أوانِ فالأرْضُ نشْوى من ثَرى نَشْوانِ
تختالُ في مفــوّف الألــوْانِ في زَهــرٍ كالحــدَقِ الرّوانـــي
رأى جُفونَ زهَــرِ الألْــوانِ فشَـــكَّ أنّ كـــلّ شـــيءٍ فـــانِ

أرأيتم أيها الشعراء مثل هذا الربيع ، الذي قال عنه أبو العلاء المعري :-

(لو تمثل أشخاصاً ، وخرجتْ خلْف نفس أبي تمام ، لضاق بها الفضاء) .

وهذه المقطَّعة من شعر أبي تمام ، من العروض المشطورة المكشوفة (مفْعولنْ) ، وهى الضرْب أيضاً .. وفي هذه الأعاريض والضروب ، يجوز الخبْن فتصير (مفْعولنْ) بالخبْن (فَعولنْ) .

وقصيدة أبي تمام قد دخل الخبن بعض عروضها ، وهي الضرْب أيضاً ، فصارت (مفْعولنْ) (فَعولنْ) ، :- كالزمان ، وأوان ، والرواني ، وقان ، وبقيت الكلمات : جثْمان ، والإنسان ، والفتيْان ، ونشوْان ، والألْوان ، وفان ، ويقْظان ، على وزن (مفعولنْ) مشطورة مكشوفة .. وهذه المقطوعة من شعر أبي تمام ، منسابة لها إيقاع جميل ، ولم يؤثر في إيقاعها (الخبْل) الذي لحق بعض تفعيلاتها ، مثل :-

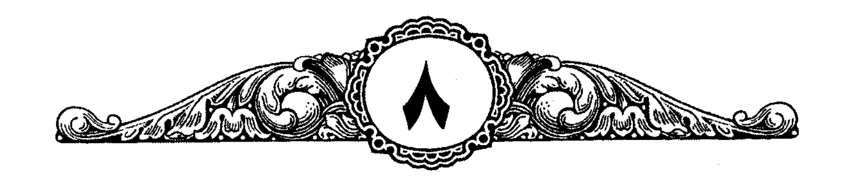
(ع أثرزْ) ووزنها (فعلتُنْ) ومثل :ـ

(ن زَهـرلْ) ووزنهـا أيضـاً (فَعَلـتنْ) ، لأنّ أبـا تمـام بعلمـه وثقافته ، وهي من المكونات الرئيسة في شعره ، جعلنا لا نحس بهـذا الزحاف المستثقل .. وأبو تمام هو الشاعر الذي يقولـون عنـه :ـ (بأنـه يحفظ أربعة آلاف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقطّعات) كما حكى ذلك ابن العماد الحنبلي ، في كتابه (شـذرات الـذهب) ... ويقولـون عنه أيضا :ـ (بأنـه لم يقـل الشـعر قبـل أنْ يحفـظ سـبعة عشـر ديوانـاً للنساء) كما روى ذلك ابن المعتز في طبقاته .

فإذا أردنا أن نتحدث عن ثقافة أبـي تمـام وعلمـه ، احتجنـا إلى مئات الصفحات ، لنملأها عنه بالأحاديـث والأخبـار الـتي تجعلـه في مقدّمـة شـعراء عصـره .. إذنْ فـلا غـرْوَ إن اختـار أبـو تمـام هـذا الـوزن النادر ، وجاء بـه في شـعره ، وأحسـن استعماله ، وأثبْـتَ لنـا قدرتـه على تطويعه ، فهو الشاعر والناقـد والعـالم بخصـائص الشـعر ، ومـا اختاره لنا في كتابه الكـبير (الحماسـة) ، يشـهد لـه علـى مـر الأزمـان بتفوقه وعلمه .. وحيث الشيء بالشيء يذكر .. فإنّي نظمت قصيدة من البحر السريع الذي عروضه مطوية مكشوفه (فاعلنْ) ، وضربه مثلها مطويٌّ مكشوف (فاعلنْ) .. نظمتها بمناسبة بلوغ حفيدتي (بوران) ،

أربعة أشهر من عمرها المديد إن شاء الله ، وسأذكر للقراء بعض أبياتها .. . وقد جنّبتُ هذه القصيدة زحاف (الخبْل) ، لأني لا أستحسنه في البحر السريع ، وقد قلت في هذه القصيدة :-

جدٌّ لها بالسعْدِ يدْعو لها ... ليلاً معَ الساجدِ والرَّاكعِ
يدْعُو لها منْ قلْبهِ دائماً ... بكُلِّ خيرٍ حافلٍ واسعِ
وأنْ يَراها فى غدٍ كاعباً ... تعلُو عى الأتراْب بالنافِعِ
منْ هذهِ ؟ لا تسألوا إنّها ... مَنْ قد نَمتْ للشرَفِ اليافعِ
ومنْ أبوها ؟ خالدٌ في الورَى ... بالطيبِ للناظرِ والسامعِ
سجيّةٌ في النّاسِ معْروفةٌ ... تُعْرَفُ للداني وللشاسعِ
وأمُّها فاضلةٌ تنْتَمِي ... للمجْدِ من والدِها السابعِ
فاهنأْ (ببورانَ) أيا جدَّها ... فإنّها من نَسَبٍ فارعِ



قال الشاعر [1] :

يهوى الثناءَ مبرّزٌ ومقصّرٌ   حبُّ الثناءِ طبيعـةُ الإنسـانِ

نعم كلنا نحب الثناء ، وكلنا يكره الذم ، ولكن للناقد النزيه كلمة يجب عليه أن يقولها ، وعلى المنقود أنْ يقبلها بروح عالية ، ونفس أبية ، وسيقبلها شاء أم لم يشأ ، لأن الناقد النزيه لا يبالي بالشاعر حينما يُدلي برأيه في شعره .. .

وقد قال الأخفش الأصغر :ـ علي بن سليمان ، رأيه الصادق في شعر ابن الرومي ، فعرّض نفسه لهجائه .. . وقد ذكر السيوطي أنَّ من سمّوا بالأخفش أحد عشر رجلاً ، أشهرهم :ـ الأخفش الأكبر :ـ عبد الحميد بن عبد المجيد ، والأخفش الأوسط : سعيد بن مسعدة ، والأخفش الأصغر :ـ علي بن سليمان ..

---

[1] البيت للشاعر عبد العزيز بن عمر بن نباتة السعدي ، وانظر (نهاية الأرب في فنون الأدب) للنويري صفحة ١٠٩ ج ٣ طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٨م .

وقد هجا ابن الرومي الأخفش الأصغر :ـ علي بن سليمان بن الفضل النحوي البغدادي ، بقصيدة طويلة ، عدد أبياتها ثلاثة وستون بيتاً ، حمل عليه ابن الرومي فيها ، وهجاه بأقذع الهجاء ، وختم القصيدة بقوله :ـ

سأُسْمِعُ الناسَ ذمَّه أبداً ما سَمِعَ اللهُ حمْدَ منْ حَمِدَهْ [1]

فلم يبال الأخفش الأصغر بهجاء ابن الرومي ، لأنه كان على حق ، واستمر ابن الرومي في هجائه بقصائد أخريات ، لم تؤثّر في الأخفش الصغير ، ولم تجعله يتراجع عن نقد ابن الرومي ، حتى اضطر ابن الرومي أنْ يصالح الأخفش ، فقال فيه بعد المصالحة قصيدة بديعة ، عدد أبياتها سبعة وعشرون بيتاً ، ابتدأها بقوله :ـ

ذُكرَ الأخفشُ القديمُ فقلْنا إنّ للأخفشِ الحديثِ لفَضْلا

ثم قال :

لا تسائلْ به سِواهُ من النا

سِ تجدْه بحضْرةِ الحفْلِ حفْلا

---

[1] هذا البيت فيه مخالفة عقَديَّة ، وهذه المخالفات نقرؤها في شعر أبي نواس ، والمتنبي ، وابن الرومي ، وغيرهم من الشعراء ، وننقلها من شعرهم ولا نقرّها ، ولم يحذفها القدامَى ، غفر الله لهم أجمعين.

قـــائلاً بالصـــوابِ يقْـــرعُ فصّـــاً

بجواباتــــه وينْطـــقُ فَصْــــلا

كلما شذّتِ الفُروعُ عـن الأصـلِ

ثناهـــا فـــألْحقَ الفـــرع أصْــلا

وتـــراهُ تدينُـــه كـــلُّ عوْصـــا

ء كمـــا دانَـــتِ الحليلـــةُ بعْـــلا

يـــا ظِمـــاءً إلـــى الصـــوابِ ردُوهُ

يُسْـــقِكمْ بالصـــواب عَـــلاّ ونَهْـــلا

وهنا تظهر عظمة الشعراء الكبار الذين يرجعون إلى صوابهم ، وإلى كلمة الحق ، والعرب تعجبها الكلمة الساحرة .

ولقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام :ـ (إنّ من البيان لسحْراً)[1] ، وإنّ سوق عكاظ عندما اختارتها العرب سوقاً لها ، جعلوا في جهة منها قُبّةً من أدم ، وأجلسوا النابغة الذبياني الشاعر الجاهلي المعروف فيها ، ليتقدم إليه الشعراء ، ينشدون له شعرهم ، فيسمعه ، ويقول فيه رأيه ، غير مبالٍ ولا هيّاب ، ولقد قال للخنساء بعدما سمع شعْرها :ـ ((لو لم يأتني قبلك أبو بصير (الأعشى) لكنت قضيت لك))

[1] حديث صحيح رواه البخاري في صحيحه ، في باب (الخطبة) .

فالعرب [1] تجيد نقد الكلمة بطبعها ، تنتقدها خوفاً عليها من أن يلحقها الأذى من أبنائها الجهلاء ، فينتشر على وجْهها انتشار النمَش في وجْه المليحة الحسناء ..

وقد قرأتُ قصيدةً عمودية من ستة وعشرين بيتاً ، للدكتور / عبد الله بن محمد الحميّد ، منشورة في جريدة الندوة في العدد ١١٤٢٨ الصادر في يوم الثلاثاء ٢٥ محرم من عام ١٤١٧ هـ ، قالها في مدْح الشاعر الأمير الجليل خالد الفيصل بن عبد العزيز آل سعود ، أطال الله عمره ، وحفظه ورعاه ...

وقد ساءني ما لحق القصيدة من أخطاء عروضية ، كان من الأجدر للشاعر أنْ يعرضها على العارفين ، قبل أنْ يهديها إلى الأمير الجليل ، الشاعر الكبير ، العارف بفن الشعر ، والعالم بخصائصه ونقده ، ونحن محبي الشعر الجيد ، الذي يطربنا ويهزّ وجداننا ، ويَهَبُ لنا الأرْيحيّة في نفوسنا ، إذا قرأنا أو استمعنا إلى شعر الأمير الجليل خالد الفيصل ، وجدناه قويّ التركيب ، بديع المعاني ، حسن الألفاظ ، له رنين وايقاع ، وصوتٌ موسيقيٌّ ، يهزّ الوجْدانَ ، ويشنفّ الآذان ...

---

[1] العَرَب والعُرْب : مؤنث ، كما جاءت الكلمة في المعاجم العربية .

والأمير خالد ، يُجيد كلَّ فنون الشعر ، من نسيب ووصْفٍ ورثاءٍ ومديح ، وإنّ قصيدته النبطية في رثاء والده ، والدنا جميعاً جلالة الملك فيصل (رحمه الله) وأسكنه فيسح جنّاته ، التي ابتدأها بقوله :ـ

لا هنْتْ ياراس الرجاجيلْ لاهنْـــتْ

لاهان راس في ثرى العودْ مدفونْ

والله ما حُطّكْ بالقبرْ لكن آمنــــتْ

باللي جعلْ دفْن المسلمين مسْــنونْ

واخْتتمها بهذين البيتين الرائعين :ـ

لو شفْتْ حال الناسْ عقْبكْ تبيّنتْ

مقدارْ حبّ النــاسْ للّـــي يــودّونْ

ممّا بقلْبي قلتْ يا بُــويْ لاهنــتْ

ولاّ انْتْ فوق القولْ مهْما يقولـــونْ

وهي قصيدة عصماء ، لم نقرأ مثلها في الشعر العربي قديماً وحديثاً في رثاء أب لابنه ، أو ابن لأبيه ، ولم يأت شاعر بقصيدة رثاء ، ترقى إلى جودتها وحسنها ، إلاّ قصيدة ابن الرومي في رثائه ابنه

(محمد) ، وقصيدة حسين سرحان في رثاء ابنته (مزْنة) .. . وابن الرومي هذا الشاعر الكبير ، كان يتهيب الأمراء إذا أراد مدحهم ، لأنه يعرف أنهم كما يقول في شعره :-

قد أقاموا نفوسَهمْ لذوي الشعْرِ

مقامَ الأنْدادِ والنُّظَراءِ

وهي الهيْبة التي رأيناها عند شعرائنا الكبار ، الذين حظُوا بالوقوف أمام جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود طيّب الله ثراه ، وأمام منْ جاء بعده من ملوكنا العظام .. .

كنت في بداية حياتي الأدبية ، وأنا فتىً يافعٌ ، أطْلب من خالي (عمر بن سعيد البرنجي) رحمه الله ، خادم الملوك والأمراء من آل سعود العظماء ، أنْ يسمح لي بصحبته لحفلات التكريم لكبار حجّاج بيت الله الحرام ، التي يقيمها جلالة الملك عبد العزيز (رحمه الله) في موسم الحج ، في قصر جلالته العامر ، بحيّ المعابدة بمكة المكرمة .

(وآل البرنجي) ، عائلة مكية معروفة ، وكان لهذه الأسرة قصر ، يضاهي قصر (الشيبية) في المعابدة من أحياء مكة ، يسمىّ (البرنجية) ، وهو أول قصر في مكة ، تُدهنُ أبوابه وشبابيكه بالدهان (البوية)

وكانت الرواشين والمشربيات والأبواب يُنقش عليها بالحفْر فقط ، ولا تُدْهَنُ بالدهان ... وانظُرْ كتاب (ذكريات) ، لأستاذنا الفاضل الشيخ أحمد علي أسد الله الكاظمي (رحمه الله) ، ص ٣٧ طبعة سنة ١٣٧٩ هـ ، فقد أشار إلى هذا القصر وروعته .

وهذا القصر قد بناه الشيخ حسين بن على البرنْجي في عام ١٣٠٠ هـ .

ومن أبناء الشيخ حسين هذا :ـ محمد علي البرنْجي ، القائد العسكري لقوة (ضِبا) ، في بدء العهد السعودي الزاهر ، وقائد منطقة المدينة المنورة العسكرية ، حتى عام ١٣٦٩ هـ ، وقائد فوج الحرس الملكي بالمنطقة الغربية ، حتى عام ١٣٧٤ هـ ، وقد ذهبت مع خالي (عمر البرنجي) كثيراً ، فشدهَني ما يُلْقي الشعراء من شعر يخلبُ الألباب ، استمعتُ إلى شعراء كبار ، ينشدون شعرهم أمام الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله وأسكنه فسيح جناته ..

استمعت إلى الشاعر أحمد بن إبراهيم الغزاوي ، والشاعر : فؤاد شاكر ، والشاعر توفيق أبي المحاسن اليعقوبي شاعر فلسطين ، الملقب بحسان فلسطين ـ رحمهم الله أجمعين ، كما استمعت إلى

معالي الشيخ عبد الله عمر بلخير[1] أطال الله عمره ، وغيرهم من الشعراء وكانوا شعراء كباراً ، ومع علمهم بفن الشعر ، واتقانهم له يقفون هيّابين ، لأنّ للشعر هيبة واحتراماً بعامّة ، وأمام الملوك والأمراء بخاصة ..

وعندما ألقى الشاعر الكبير أحمد بن إبراهيم الغزاوي (رحمه الله) ، قصيدته في توديع جلالة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه ، عند سفره إلى مصر ، وكانت قصيدة عصماء ، نظمها الغزاوي (رحمه الله) خلال ساعة من الزمن ، وألقاها أمام جلالة الملك عبد العزيز (رحمه الله) ، بحضور سفراء الدول العربية والإسلامية والأجنبية ، وكان من بين بعثة الشرف المصريّة وأعضائها ، الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد (رحمه الله) ، الذي لم يكتم إعجابه بهذه الأبيات من القصيدة الرائعة ، التي يقول فيها الغزاوى :-

هنالك أشْياعٌ أباحُوك حُبَّهم وكلُّ امرئٍ منهم إليك نزوعُ

هنالك أرواحٌ إليك مشوقةٌ مرفْرِفَةٌ تَشْرِي الهوَى وتبيعُ

---

[1] وقد توفي (رحمه الله) في ٤ /١٠ /١٤٢٣ هـ بعد كتابة هذه المقالة .

وكان إعجاب العقاد بقصيدة الغزاوي ، شهادةً له بتفوّقه في ارتجال الشعر ، وقد أدخلتْ جودة هذه القصيدة على قلبه الطمأنينة والرضى ، ورفعتْ عنه الهيْبة التي كان يخفيها في نفسه .

والشعر البديع الرائع لا تحديد له ، ومن يحاول تحديده كمن يحاول تحديد الفَراشة ، إذْ ما أسهلَ القَبْضَ عليها ، ولكنّها لا تترك في أيدينا إلاّ الغُبار الذي يؤلف ألوانها .. أوْ كما قال أحد الأدباء المشهورين ..

وأعود إلى أحبّائي من أبنائنا الشبّان لأقول لهم :-

لا تتعجّلوا قول الشعر ، واجعلوا من شهاداتكم العلمية منطلقاً إلى الثقافة الحيّة والعلم الصحيح ، ولْتكنْ شهاداتكم حائلة بينكم وبين الجرأة على العلم ، وانظروا إلى من سبقكم من الشعراء الروّاد ، وانهْجوا نهْجَهم ، واصْبروا صبْرهم ، وانْهلوا مما نهلوا حتى الصُّبابة ، وابتعدوا عن قول الشعر الذي لا يكون إلاّ غُباراً تذرْوه الرياح ، غُباراً من قبْض الفراشات ..

وأعود إلى قصيدة الدكتور / عبد الله بن محمد الحميّد ، التي أهداها إلى الشاعر الكبير الأمير خالد الفيصل ، التي جاءت من البحر الخفيف ، ووزنها :-

فاعلاتنْ / مسْتفْع لنْ / فاعلاتنْ   فاعلاتُنْ / مسْتفْع لنْ/ فاعلاتنْ

قال الحمّيد :ـ

شنّفِ السمْعَ يا أميري المحبَّـبْ

وأعِدْ ذكْرَ فيْصـلٍ قُـلْ وأَسْـهِبْ

ووزنه :ـ

فاعلاتنْ / متفْع لنْ / فاعلاتنْ ـــــ فَعِلاتنْ / متفْع لنْ / فاعلاتنْ

سالم / مخبون / سالم ـــــ مخبون / مخبون / سالم

وقد دخل الخبن (مسْتفْع لنْ) ، فتحوّلتْ إلى (متفْع لـنْ) في التفعيلة الثانية من الشطر الأول ، وفي التفعيلة الثانية من الشطر الثاني ، والخَبْن هنا زحاف جميل حسن ، يقول عنه علماء العروض : ـ « وربّما كان زحاف الخبن في الذوق أطيب من الأصل » ، وقال الأخفش سعيد بن مسعدة :ـ « وما أرى أصل (مستفْع لنْ) فيه إلاّ (مفَاعِلنْ) ، أيْ (متفْع لنْ) ، والسين زيادة» ويقول :ـ « وذهاب ألف (فاعلاتنْ) أحسن ، لأنّها تعتمد على وتد » .

كما دخلَ الخَبْن التفعيلة الأولى من الشطر الثاني ، فتحوّلتْ (فاعلاتنْ) إلى (فَعِلاتنْ) ، وهو حسن أيضاً ، كما ذكر الأخفش (رحمه الله).

وقصيدة الحميّد فيها لمسات شاعر ، لو أنها سلمتْ من تكسير بعض أبياتها ، فقد تفشّى الكسر في أحد عشر بيْتاً منها ، وكان على الدكتور الحميّد أنْ يتجنّب الكسر ، وهو يخاطب أميراً شاعراً عالماً بفنّ الشعر .. يقول الحميّد : ـ

وبيانٌ يجيشُ في كلِّ قلْبٍ ـــ فيْضُهُ مّمّا يَروقُ ويعْجبْ

وهو بيت لحق الكسر شطره الثاني ، ويستقيم لو قال : ـ

وبيانٌ يجيشُ في كلِّ قلْبٍ فيضُه في الورىٰ يَروقُ ويعْجبْ

ويقول الحميّد : ـ

حينما قلت في جميل خطاب مفعم بالوفا لكل ما هو طيّبْ

والبيت قد كسر شطره الثاني ، والصواب أن يقول :ـ

حينما قُلْتَ في خطابٍ جميلٍ مفْعمٍ بالوفا لما هو طيّبْ

وقد قدّمتُ كما يرى القارىء الموصوف على الصفة ، في الشطر الأول من البيت ، فقلتُ (في خطاب جميل) ، وهذا ما تعلمناه وعلّمناه أبناءنا ، في المرحلة الابتدائية بلْهَ المتوسطة والثانوية .

ويقول الدكتور الحميّد .

من به الشعرُ زانتْ قَوافيه ولـه النثْرُ حيَّا ورحَّبْ

وهو بيت مكسور شطراه ، والصواب أنْ يقول :ـ إنْ جاريناه في نثْرية لا ترقى إلى الشعر ـ : ـ

منْ به زانَتِ القوافي إذا ما قال شعْراً والنثْرُ حيًّا ورحَّبْ

ثم تتوالى الأبيات المكسورة ، ونحصر الكسر في ثمانية أبيات أخْريات .. تبدأ أبياتها بالكلمات ١ـ الأمير الأديب . ٢ـ هو خالد . ٣ ـ لم يزلْ منه . ٤ ـ كان برّاً . ٥ ـ إيه يا فيصل العظيم . ٦ ـ إن فقدْنا فيصلاً . ٧ ـ فاحفظ اللهم . ٨ ـ والكرام الأبرار .

وأترك تعديلها للدكتور الحميّد ، لأنّ الكسر قد طغَى وسرَى في كل بيت ، سَرَيان الداء في الجسم السليم . .

وأما بيت الدكتور الحميّد : ـ

صفَحاتٌ نقيّةٌ بمدادِ النّورِ في ضُروبِ المفاخرِ تُكْتبْ [1] .

ووزنه : ـ

فعلاتنْ / متفْع لنْ / فعلاتنْ ـــــ فاعلاتُ / مسْتفْع لنْ / فعلاتنْ

مخبون / مخبون / مخبون ـــــ مكفوف / سالم / مخبون

فنجيزه للدكتور الحميّد ، كما أجازه الأخفش لغيره حيث قال : ـ

---

(١) ولأحمد شوقي ، بيت من الشعر ، يقول فيه :ـ

صفَحاتٌ نقيّةٌ كقلوب الرُّسْلِ مغْسولةٍ من الأحْقادِ

وقد تجنب أحمد شوقي زحاف (الكف) ، لثقله على السامع في البحر الخفيف ، ولأن العَروضيين يعدُّونه شاذاً إذا دخل هذا البحر . ..

(وذهاب نون فاعلاتنْ قبيح لا يكاد يوجد) يعني أنه يقبح حذف نون (فاعلاتنْ) ، التي بعدها (مستفع لنْ) ، وهو ما يسمّى بالكف ، أجازه الأخفش ، واستشهد ببيت للمهلهل حين قال : ـ

إنْ تنلْني من باعثِ بْـنِ صُـريَمٍ

نعْمـةٌ تجـدْني لـذاك شَـكورُ

ووزنه : ـ

فاعلاتنْ / مسْتفْع لنْ / فِعلاتنْ ـــ فاعلاتُ / مسْتفْع لنْ / فَعلاتنْ

سا لم / سا لم / مخبون ـــ مكفوف / سا لم / مخبون

وأعود إلى سيرة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (عليه رحمة الله ورضوانه) ، فقد كان ذوّاقاً للشعر ، عارفاً ببيانه وبديعه ومعانيه .. . قرأ مرة الأديب الكبير أمين الريحاني في حضرة الملك عبد العزيز (رحمه الله) ، ما كان مكتوباً في لوحة معلقة : ـ

لسْنا وإنْ أحسابُنا كرمَتْ يوماً على الأحساب نتَّكلُ

نَبنْي كما كانَتْ أوائلُنا تبنْي ونفْعلُ مثْلما فعَلوا

وعندما أراد أمين الريحاني أنْ يشرَح البيتين ، ويحلّل وجْهةَ نظَرِهِ ، قاطعه جلالة الملك عبد العزيز (رحمه الله) ، قائلاً : ـ نحن نبني كما كانت

تبني أوائلنا ، ولكننا نفعل فوق ما فعلوا ، فطرب الريحاني من تعديل جلالة الملك عبد العزيز للبيت .

ثم يقول الريحاني :ـ والحق يقال أن الملك عبد العزيز آل سعود ، استعاد في دوره الأول ، دور الفتوحات ملك أجداده ، وعزّز هذا الملك بالعدْل والأمْن والدين ، فلا يخطئ أو يموّه إذا قال نبْني كما كانتْ تبني أوائلنا ، ولكنه في تحضيره البدو ، وفي تأسيس الجديد من المدن والقرُى التي تُدعى الهجَر ، وفي استخْدامه من يحسن الخدمة مهما كان ، وفي إرساله أبناء بلاده إلى مصر ليتلقّوا فيها العلوم الحديثة ، و استحضاره إلى الرياض الأطباء والمهندسين ، في كل هذه التي ذكرنا ومالم نذكر ، يثبت قوله أنه يفعل فوق ما فعل أجداده .. . وانظر كتاب (ملوك العرب) لأمين الريحاني ـ الجزء الثاني ص ٩٨ ـ ٩٩ ـ الطبعة الثالثة الصادرة في سنة ١٣٧١ هـ .

وعندما قال الأستاذ الكبير حسين سرحان (رحمه الله) قصيدته (لا أبتغي إلاّ التْفاتا) ، في مدح جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز (رحمه الله) ، ومطلعها : ـ

يا منْ أودُّ لو انّنِي ... سوْطٌ تحرّكُهُ يمينُهْ
وأودُّ لوأني عقيدتـ ... ـهُ المكينةُ أوْ يقينُهْ

وأودُّ لـــو أنّـــي هُـــد   اهُ إذا رســا فيـــه ســـفينُهْ
وأودُّ أنّـــــي ظلُّـــــهُ   أحْمـــي خُطـــاهُ ولا أَدينُـــهْ
وأودُّ أنّـــــي سَـــيْفُهُ   أُرْدي عِـــداهُ ولا أخُونُـــهْ

وهي قصيدة عصماء طويلة ، قرأها شيخنا أبو عبد الرحمن بن عقيل ، فظنّها شعْراً غزليّاً ، وقال عنها : ـ هي أروع ميثاق حبّ ، يقدمه متّيم مشغوف .. إلاّ أنه وقف أمام هذا البيت من القصيدة : ـ

أدركْتَهَـــا وحويْتَهـــا   كالليْـــثِ حَـــفّ بـــهِ عرينُـــهْ

وقال :ـ إن التشبيه بالليْث هنا قلق جدّاً ، لأن المشبّه هنا محبوب . ثم قال : ـ وهذه القصيدة دليل على أن شاعرنا لم يستأسر لبداوة الشعر العربي ، بل جدّد في المضمون والمحتوى ، فكان هذا نوعاً جديداً في الغزل العربي ، ولغته هنا سهلة يفهمها العادي .. . وانْظر ص ٥٦ و٥٧ من كتابه (الشعر في البلاد السعودية) .... إلاّ أنّ شيخنا أبا عبد الرحمن بن عقيل ، كتب حاشية على صفحة (٥٧)، من كتابه هذا فقال :ـ هذا على أساس أنّ القصيدة غزل ، بيْد أن الأستاذ علي بن حسن العبَّادي ، اتصل بي بعد نشر هذه المقالة بمجلة الفيصل ، وأفادني بأن القصيدة فى مدح الملك فيصل بن عبد العزيز ـ

رحمه الله ـ وبهذا يسقط بعض اعتراضاتي ، وبهذا يكون شاعرنا جدّد في أسلوب المدائح ..

هكذا يكون الشعر ، وهكذا يكون المديح في الملوك والأمراء ، ورحم الله شعراءنا الذين يحترمون أنفسهم ، ولم يقولوا شعْراً إلاّ ما كان جديداً ورائعاً ، يخلب اللب والسمع ، وكانوا هيّابين أمام الملوك والأمراء ، ولم يجعلوا الشعر غرضاً يرْمى ، ولم يستهينوا به ..

والبحر الخفيف ، ووزنه : ـ

فاعلاتنْ / مسْتفع لنْ / فاعلاتنْ ــــ فاعلاتُنْ / مسْتفْع لنْ / فاعلاتنْ

له ثلاث أعاريض ، وخمسة أضرب .. فالضرب الأول تام ، وعروضه مثله ، وشاهده : ـ

حلَّ أهْلي مــابيْنَ دَرْنــا فبــادوا

لـــي وحلّــتْ عُلْويـــةٌ بالسّـــخالِ

وتقطيعه :ـ

فاعلاتنْ / مسْتفْع لنْ / فاعلاتنْ ــــ فاعلاتُنْ / مسْتفْع لنْ / فاعلاتنْ

سالم / سالم / سالم ــــ سالم / سالم / سالم

والضرب الثاني من العروض الأولى محذوف ، ووزنه (فاعلنْ) ، وشاهده :

ليت شعري هل ثُمَّ هــل آتيــنْهُمْ

أمْ يحــولَنْ مــن دونِ ذاك الــرَّدى

وتقطيعه :-

فاعلاتنْ / مسْتفْع لنْ / فاعلاتنْ ـــ فاعلاتنْ / مسْتفْع لنْ / فاعلنْ

سالم / سالم / سالم ـــ سالم / سالم / محذوف

وأكثر ما يكون هذا الضرْب مخبوناً ، أي (فعَلنْ) بتحريك العين

وشاهده : -

ليسْ منْ عاشَ ساعياً في اجتْهادٍ

كالــذي عــاشَ دائــمَ الكَسَــلِ

وتقطيعه : -

فاعلاتنْ / متَفْع لنْ / فاعلاتنْ ـــ فاعلاتنْ / متفْع لنْ / فَعَلُنْ

سا لم / مخبون / سا لم ـــ سا لم / مخبون / مخبون

ومنه قول جميل بن معمر ، وقد التزم الخبْن في العَروض والضْرب جميعاً : -

رسْمُ دارٍ وقَفْتُ في طَللــهْ كِدُتَ أقْضِي الحياةَ من جَلِلــهْ

موحِشاً ما ترىٰ به أحَــداً تنسجُ الريحُ تُــرْبَ معتدِلــهْ

تقطيعه : ـ

فاعلاتنْ / متفْع لنْ / فَعَلُنْ ـــــ فاعلاتنْ / متفْع لنْ / فَعَلُنْ

ومنه قول عباس محمود العَقاد ، وقد التزم أيضا (فعَلُنْ) بتحريك العين في العروض والضرب جميعاً :ـ

وردْتي فيمَ أنتِ ضـاحكةٌ   يلمَحُ البشْرَ منْكِ منْ لَمحَـا
فيمَ هذا الجمالُ يُحْزنُني   روْنَقٌ فيه كان لـي فرَحَـا

تقطيعه : ـ

فاعلاتنْ / متفْع لنْ / فَعَلُنْ ـــــ فاعلاتنْ / متفْع لنْ / فَعَلنْ

ومنه قول الشاعر العراقى الكبير علي الشْرقي ، يذكر طفلين له يلعبان ، وقد التزم (فعَلُنْ) بتحريك العيْن في العَروض والضرْب جميعا : ـ

يتبـارَى وأختُـهُ وأنـا   ذُبْتُ خَوْفاً من زَلَّـة القَـدَمِ
لا احتفاظاً يدي على كبِدي   بل أشارتْ لمَوْضِـع الأَلـمِ
كَجناحيْ طيْرٍ ضَـممتُهما   كلّمـا رفْرفَـا مـن السـأمِ
نَحنُ من سـادةٍ تظُنهُّمـو   حوْل أطفـالهمْ مـن الخَـدَمِ

وإنّ الضـرب المحـذوف مـن غـير خبْن أي (فـاعلنْ) ، نـادرٌ استعماله في الشعر العربي .

والضرب الثالث محذوف ، وعروضه محذوفة ، وشاهده : ـ

إنْ قدرْنا يوماً على عامرٍ نمتثِلْ منــهُ أوْ ندعْــهُ لكُــمْ

وتقطيعه : ـ

فاعلاتنْ / مسْتفْع لنْ / فاعلنْ ـــــ فاعلاتُنْ / مستفْع لنْ / فاعلنْ

سا لم / سا لم / محذوفة ـــــ سا لم / سا لم / محذوف

وهذا الضرب المحذوف نادر جداً .

والضرب الرابع مجزوء ، وعروضه مثله ، وشاهده : ـ

ليتَ شعْري مــاذا تــرَى أُمُّ عمْــروٍ فــي أمْرِنــا

وتقطيعه : ـ

فاعلاتنْ / مسْتفْع لنْ / ـــــ فاعلاتنْ / مُسْتَفْع لنْ

سا لم / سا لم ـــــ سالم / سالم

والضرب الخامس مجزوء مقصور مخبون ، وعروضه مجزوءة ،

وشاهده : ـ

كــلُّ خطْــبٍ مــالمْ تكــو نُــوا غَضْــبتمْ يسَــيرُ

وتقطيعه : ـ

فاعلاتنْ / مستفْع لنْ ـــــ فاعلاتنْ / فعولُنْ

سالم / سالم ـــــــ سالم / مقصور مخبون

وهذا النوع ، نادر استعماله في الشعر العربي .

والمتداول في الشعر العربي ، ذو العروض المخبونة ، والضرب مثلها مخبون ، كقول الشاعر جميل صدقي الزهاوي : ـ

حدثَتْني عن الفِراق ومـــا فيـــه مـــن أَذىٰ

حبّـــذا ذلـــك الحـــديثُ لـــو امْتـــدَّ حبّـــذا

وتقطيعه ، أي تقطيع البيت الأخير : ـ

فاعلاتنْ / متفْع لنْ / ـــــــ فَعلاتنْ / متفْع لنْ

سالم ـ مخبون ـــــــ مخبون / مخبون

وقد تستعمل العَروض المحذوفة ، مع العروض التامة ، في قصيدة واحدة ، كما جاء في قصيدة لجميل بثينة ، وهو قوله : ـ

روضةٌ ذاتُ حَنوْةٍ وخُزامىٰ جاد فيها الربيعُ مـــن ســبَلِهْ

بينما هنَّ بالأراك ـ معـــاً إذْ أتَى راكبٌ علـــى جَمَلِـــهْ

فعروض البيت الأول (وخُزامى) ، ووزنها (فِعلاتُـنْ) ، وعَروض البيت الثاني (لك معنْ) ، (فعَلُـنْ).. وقد يجيء مجزوء الخفيف عند بعض الشعراء العبّاسيين على وزن : ـ

فاعلاتنْ / فعولنْ ـــــــ فاعلاتُنْ / فعولنْ

ولا بن المعتزّ قصيدة على هذا الوزن ، جاء فيها : ـ

قــلْ لمــنْ نــام عنّــى   صــفْ لعينــي المنامــا
مايضــرّ ـ خليًّــا   لــو شــفَى مسْــتهاما
مفــرداً بضــناهُ   يحســبُ الليــلَ عامــا

وأول من قال شعراً على هذا الوزن ، الشاعر إسماعيل بن القاسم المعروف بأبي العتاهية ، حين قال : ـ

عتْــبُ مــا للخيــالِ   خبّرينــي ومــالي

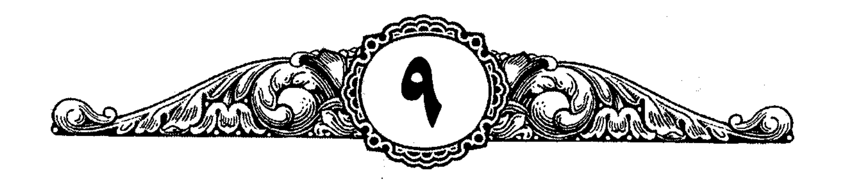
فقيل له قد خرجت عن العروض ، قال : ـ أنا سبقت العروض ، وكلام أبي العتاهية ليس بالحجّة .. .

ولكنّ للشعراء القُدامى أحاسيس وحذْقاً بصناعة الشعر .. .

والبحر الخفيف يدخله من الزحافات :ـ الخبْن ، والكفّ ، والشكْل ، فتصير (فاعلاتنْ) بالخبن (فعلاتن) ، وبالكفّ (فاعلاتُ) ، وبالشكْل (فَعِلاتُ) ، وتُصبح (مستَفْع لنْ) بالخبن (مفاعلنْ) ، أو (متفْع لنْ) وبالكفَ (مسْتفْع لُ) ، وبالشكْل (مفاعلُ) ، ويجوز التشعيث في (فاعلاتنْ) ، إذا وقعت (ضرباً) ، فتصير (فالاتنْ) أو (مفْعولنْ) ،

ويدخل التشعيث نادراً العروض والضرب في البيت الواحد ، وتدخل هذه الزحافات البحر الخفيف ، وفْق قاعدة معروفة لدى العروضيين ، نترك ذكرها تجنّباً للإطالة .

والبحر الخفيف ، صالح للحماسة والفخر والغزل والرثاء ، وكانت معلقة الحارث بن حلّزة ، وقصيدة البحتري (صنتُ نفْسي)، وقصيدة ابن الرومي في المغنية ، وقصَيدة أبي القاسم الشابي (صلواتٌ في هيكل الحبّ) ، وجلُّ قصائد الشاعر الكبير عمر أبي ريشة ، وقصيدة (القريب البعيد) للشاعر الكبير / حسين سرحان ، التي نشرتها مجلة الرسالة ، في أوائل الستينات الهجرية ، وقد نالتْ هذه القصيدة إعجاب الأديب الكبير أحمد حسن الزيّات ، لقد كانت كل هذه القصائد ، وغيرها من القصائد التي استرعت الأنظار من البحر الخفيف .



قال أبو جعفر اللّبْلي ـ باللام المفتوحة والباء الموحدة الساكنة ـ ، ولبْلَة (غربيّ قُرطبة) ، مضّمناً قصيدة له :ـ

لقدْ هزُلتْ حتَّى أبانَ هُزالُها

كُلاها وحتّى استَامها كلُّ مُفْلِسِ

ومن قديم الزمان وإلى الآن ، ابتلانا الله بمن يدَّعون العلم والمعرفة .

وهما منهم براء ، وقد ضاق بهؤلاء اللّبلي : ـ أحمد بن يوسف اللُغوي الكبير ، فقال من قصيدته هذه : ـ

تصدّر للتدريس كلُّ مهوَّسٍ بليدٍ تَسمّى بالفقَيهِ المُدَرِّسِ

والمدرّسون كثيرون ، والمفلسون منهم كثيرون ، وحينما كتبت مقالتي السابقة المنْشورة في هذا الكتاب عن المقرْزمين من الشعراء ، ما أردتُ من مقالتي هذه إلاّ أن أبيّن لهم وجه الصواب ، فلعلّهم

يأخذون به ، فيتحرون الصحيح من القول ، عندما يريدون أنْ يرْقوا سلّم الشعر (والشِعْر صعبٌ وطويلٌ سلّمُهْ)[1] .

وقرْزم الشعْر فهو مقرزم :ـ جاء بشعره رديئاً في بدء قوله الشعر .. والقِرزامُ إذا سمع النَصيحة ووعاها من أهلها نال خيراً كثيراً ، وتقدّم في صنعته ، والشعر صناعة أوْ طبع ، والشعر المطبوع : ـ (لا يحتاج ناظمه إلىمعرفة الأوزان وأسمائها وعللها لنبوّ ذوقه عن الزحاف منها والمستكره ، والضعيف الطبع محتاج إلى معرفة شيء من ذلك ، ليعينه على ما يحاوله من هذا الشأن) كما قال ابن رشيق القيرواني في كتابه (العمْدة[2]) .

ولقد كتبت مقالتى السابقة أنتقد فيها قصيدة للأخ الكريم الأستاذ مسلّم فريج العطوي ، عضو مجلس إدارة نادي تبوك الأدبي ، والأستاذ العطوي أكنّ له الودَّ الخالص ، وأعرفه رجلاً دمث الأخلاق ، حلو الحديث ، ليّن الجانب ، ذا سجّية حميدةٍ ، معروفاً

---

[1] شطر بيت من الرجز ، للحطيئة ، يقول لافُضّ فُوهُ :ـ

الشِعْـر صَعْـبٌ وطويلٌ سُلّمُهْ ... والشعْرُ لا يْسطيعُهُ مِن يظْلمُهْ

إذا ارْتقَى فيه الذي لا يعْلَمُهُ ... زلَّتْ به إلى الحضيضِ قَدَمُهُ

يُريدُ أن يُعْربَه فيعْجِمُهْ

[2] العمدة لابن رشيق القيرواني ص ١١٢.

بكرمه ونُبله ، لا يضمر السوء لأحد ، عفَّ الضمير واللسان ، ومع هذه السجايا والأخلاق ، غضب عليَّ غضبة مضرية ، وبدرت منه ألفاظ ، تمنّيتُ أنْ يرْبأ بنفسه عن ذِكْرِها ، ولكنني سأغض النظر عما بدر منه ، متمثّلاً بقول العباس بن الأحنف : ـ

تحمّلْ عظيمَ الذنب ممن تحبُّه

وإنْ كنتَ مظلوماً فقلْ أنَا ظالمُ [1]

وأعود إلى مناقشة ما كتبه أخونا وحبيبنا الأستاذ مسلم العطوي ، في جريدة " الرياض " ، في العدد ١٠٢٩٩ ، الصادر في يوم الأربعاء ٢١/ ٤ / ١٤١٧ هـ .

يقول الأستاذ العطوي : ـ

(هذا ما توصّل إليه بعد مقدمته الطويلة والمليئة بالكلام الخارج عن الموضوع ، حيث قال إن الشعراء المقرْزمين في عصرنا الحاضر وضعوه في أمر حرج ، وإنه رجل طيب ، يحب الناس ويجاملهم ، ويشهدون له بالذوْق وحسن الخلق ، ويكون في الخصومة مهذّباً ، وإنّ هذا نهجه نشأ عليه منذ الصغر) ... ثم يعلّق الأخ الكريم العطوي

[1] ويقول العبّاس في بيته الثاني :ـ

فإنّك إنْ لم تحمِلِ الذنْب في الهوَى ... يُفارِقْك منْ تَهْوَى وأنَفكُ راغِمُ

على قولي بقوله : ـ حيَّاك الله يا أخي ، ونعْم التنشئة [1] ، ولكن ما الداعي لذكر مناقبكم ؟ ولماذا تتوقع الخصومة ؟!) وأقول لحبيبنا العطوي : ـ إنَّ نشْأتي وإنْ قلتَ عنها نعْم التنشئة ، أَقلْتَ ذلك صدقاً أم قلتَه تهكّماً ؟ فإنني سعيد بنشأتي ، راضٍ عنها ، هذه النشْأة التي مضى عليها أكثر من ستين سنة ، ثلاثٍ وأربعين سنة مكثتُها في التدريس ، ثم أُحلتُ إلى [2] التقاعد من ست سنوات مضَتْ ، فسعدتُ بطلابي الذين رأيت أكثرهم في مراكز مرموقة ، و في وظائف الدولة الإدارية والعلْمية ، يشار إليهم بالبنان ، ويحتلّون الصدارة في كلّ مكان .

ويقول الأستاذ العطوي : ـ

(أنت بهذا تظلمني ، وتقول على لساني مالم أقلْه ، لأنني لسْتُ بشاعر ، وإنّما هي مجرّد محاولة للتعبير عن موقف معين) .

---

[1] لا تعرف معاجم اللغة العربية (تنشئة) ، وإنما هي :ـ النشأة ، وفي التنزيل العزيز :ـ ﴿ ولقد علمتم النشأة الأولى ﴾ .

[2] أحلتُ إلى التقاعد في عام ١٤١١ هـ وقد مضى على هذه النشأة أكثر من سبعين سنة بعد صدور هذا الكتاب .

وأقول له أنا لم أظلمك يا أخي ، وإنّما أنت الذي ظلمْتَ نفسك ، بنشر هذه القصيدة في ملف صادر من نادٍ أدبي معروف ، يرأس تحرير هذا الملف دكتور معروف ، فلو أعيد النظر في هذه القصيدة ، من عالم متخصّص ، لجاءت قصيدةً حذّاء - بالذال المعجمة المشدّدة - ، ولكن تعستْ العجلة ، وحب الشهرة .. .

ويقول الأستاذ العطوي :- ((ذكرتَ بالتاء المفتوحة - بأن القصيدة - حسب تسميتك - امتلأت بالأخطاء العَروضية ، واللغوية ، والنحوية ، وتستغرب كيف سُمِحَ لها أنْ ترى النور ، وكنْتُ - بالتاء المضمومة - أود أنْ تضرب أمثلة على هذه الأخطاء بأنواعها الثلاثة التي ذكرتها ، لا أنْ تُلقي الحكم جُزافاً)) .

وأقول رداً عليه : - إنّ قصيدتك (الوفاء) لم أر ولم أقرأ قصيدة مثلها ، فقصيدتك بدأتها ببيت صحيح من العروض الأولي (فعَلنْ) بتحريك العين مخبونة ، ومن الضرب الأول (فعَلنْ) بتحريك العين مخبون مثلها ، من البحر البسيط الوافي .

ووزنه : -

مستفعلنْ / فاعلنْ / مسْتفْعلن / فعَلُنْ ـــ مسْتفْعلنْ / فاعلنْ / مسْتفْعلنْ / فَعَلُنْ

وحين يُستعمل البحر البسيط وافياً ، أيْ غير مجزوء ، لاتبقى عروضه صحيحة ، بل تتغير وجوباً من (فاعلنْ) إلى (فَعَلُنْ) بتحريك العين ، وضرْبه يكون كثيراً (فَعَلنْ) بتحريك العين ، ويكون أحياناً (فَعْلنْ) بسكون العين ، أو (فاعلْ) بسكون اللام عند بعض العروضيين ، وبيت البحر البسيط لا يسمى إلاّ وافياً ، أو مجزوءاً ، ولا يسمّى تاماً قط ، وكثيرٌ ممّنْ كتب في علم العَروض ، لا يفرّقون بين التام والوافي ، وسأكتب إنْ شاء الله في هذا الموضوع مقالة لاحقة .. وقصيدتك فيها أخطاء نحْوية ، ولُغوية ، يدركها الظالع ، بلْهَ الضليع .

والزحافات التي تكلّمتُ عنها في مقالتي السابقة ، لم يفهمها الأخ العطوي ، وهذه الزحافات وهي : ـ الخبْن والطيُّ والخبْل .. تدخل الحشو فقط ، أمّا العَروض : (التفعيلة الأخيرة من الشطر الأول) ، والضرب (التفعيلة الأخيرة من الشطر الثاني) ، فيسمّى ما يدخلهما (علّة) ، وللعلّة نظام آخر ، لم أتطرقْ إليه في مقالتي السابقة التي ناقشت فيها الأخ العطوي .

والعلة العروضية ، هي كل تغيير يطْرأ على تفعيلة العروض ، أو الضرب ، وإذا جاء هذا التغيير في أول بيت من القصيدة ، التزم الشاعر هذا التغيير في جميع أبياتها .

يقول (صاحب العيون الغامزة) : ـ ((فإذا لزم العَروض أو الضرب حكم في بيت من القصيدة أو القطعة ، وجب أنْ يتساوى فيه جميع الأبيات)) وقصيدة الأخ الأستاذ العطوي عروضها (فَعَلُنْ) بتحريك العين ، وضربها (فعَلُنْ) بتحريك العين أيضا ، فعلى الحبيب العطوي أنْ يلتزم ذلك في جميع أبيات قصيدته .

ولكنه (عفا الله عنه) لم يلتزم ، إذْ جاءتْ أكثر عروض قصيدته على وزن (فاعِلُنْ) ، وجاءت بعض عروضها على وزن (فعَلُن) بتحريك العين ، وهذا أمر لم نعهده في الشعر العربي ، وفي البحر البسيط ، قديمه وحديثه .

ولقد أشار الأستاذ العطوي إلى ما قصدته حيث قال : ـ

" ولعلّه يقصد مجيء (َفاعلنْ) العروض هنا تامة ، وأن المفروض أن تكون مخبونة (فَعَلنْ) ، فإنْ كان يقصد هذا فإنني أقول نعم ، إنّ (فَعَلُنْ) هو الكثير والمشهور ، ولكن قد تأتي (فاعِلُنْ) على

الأصل ، وهو القليل النادر ، ومن ذلك أوْردتْ كتب العروض بعض الشواهد ، ومنها قول الشاعر : ـ

يا رُبَّ ذي سؤْددٍ قلْنا لـــه مـــرةً

إنّ المســـاعي لمـــنْ يبْنـــي بنـــاءَ العُـــلا »

وأقول رداً على قوله :ـ هداك الله يا أخي ـ هل تريد أنْ تَطوّع علم العروض لصالحك ، وإنّ البيت الذي جئت به شاهداً ، ، هو شاهد عليك ، لأنّ تقطيع هذا البيت هو : ـ

مسْتفْعلنْ / فاعلنْ / مسْتفْعلنْ / فاعلنْ

مسْتفْعلنْ / فاعلنْ / مسْتفْعلنْ / فاعلنْ

وهذا البيت كما ترى تام العروض والضرب ، وهو ليس من وزن قصيدتك ، لأن قصيدتك ليس فيها ضرب تام البتة ، ثم إن (العلا) تكتب هكذا ، لا كما جاءت في مقالتك (العلى) بألف لينة ، وهناك شاهد شاذ ، كهذا البيت اليتيم الذي لم يعرف قائله ، وهو شاهد على تمام الضرب ، يقول الشاهد :

وبلْدةٍ مجْهلٍ تمشي الريـــاحُ بهـــا

لواغِباً وهْي في أعراضِـــها خاويـــهْ

ووزنه : ـ

متفْعلنْ / فاعلنْ / مسْتفْعلنْ / فعَلنْ   متفْعلنْ / فاعِلُنْ / مسْتفْعلنْ / فاعلنْ

وهذا البيت ، والبيت الذي استشْهدتَ به من الشواذ ، لأن العرب لم تستعمل في شعرها قديماً وحديثاً من البحر البسيط إلاّ الوافي ، وهو ما جاء على وزن : ـ

مسْتفْعلنْ / فاعلنْ / مسْتفْعلنْ / فَعَلُنْ

مسْتفْعلنْ / فاعلنْ / مسْتفْعلنْ / فعَلُن

أو ما جاء على وزن :ـ

مسْتفْعلنْ / فاعلُنْ / مسْتفْعلنْ / فعَلُنْ

مسْتفْعلنْ / فاعلُنْ / مسْتفْعلنْ / فاعلْ

وإذا أردت يا أخي أنْ تنظم على وزن أحد الشاهدين الشاذّين ، فعليك أن تلتزم ما التزم به صاحب الشاهد الأول ، أو ما التزم به صاحب الشاهد الثاني ، فتكون بذلك أول شاعر عربي ، نرى ونقرأ له قصيدة طويلة من وزن البسيط الشاذ ، فتمهّد الطريق لغيرك فلعلّ أحداً يسلكه .

وأمّا مجزوء البسيط الذي ذكرته في مقالتي السابقة ، فهو قليل الاستعمال ، وما جاء منه في الشعر القديم نادر جداً ، وإن استحسنه المحدثون من شعراء العصر العبّاسي ، ومن جاء بعدهم ، بخاصَّةٍ

(مخلّعُ البسيطِ) ، الذي أكْثروا من النظم فيه ، ومع ذلك يقول قدامة بن جعفر الكاتب في كتابه (نقد الشعر) : -

((ومن عيوب الوزن : ـ التخلّع ، وهو أن يكون قبيح الوزْن قد أُفْرط تزحيفُه ، وجُعلَ ذلك بنْيةً للشعر كلّه ، حتى ميّلَه للانكسار ، وأخرجه من باب الشعر الذي يعرِفُ السامعُ له صحة وزنه في أول وهْلة إلى ما ينكره ، حتى ينعم ، أو يعرضه على العروض فيصح فيه ، فإنّ ما جرى في هذا المجْرى من الشعر ناقص الطلاوة ، قليلُ الحلاوة ، وذلك مثل قول الأسود بن يعفر : -

إنّا ذممْنا على ما خيّلتْ
سعْدُ بْنُ زيْدٍ و عمْروٌ من تميمْ

ثم ذكر القصيدة))

فقدامة بن جعفر الكاتب ، وهو الناقد اللوذعيّ للشعر العربي ، لم يستْسغْ من البسيط إلاّ وافيه ، و قد ضرب المثل لقبح الوزن بقصيدة الأسود بن يعفر ، مع أن هذه القصيدة قد أجازها علماء العروض ، وعدّوها من العروض المجزوءة الصحيحة (مسْتفْعلنْ) ، والضرب المجزوء المذال (مسْتفْعلانْ) .

وأعود وأطلب من الأستاذ الحبيب مسلّم العطوي ، أنْ يدلّنى على قصيدة قديمة ، من البحر البسيط الوافي ، جاءت بعض عروضها

(فاعلُنْ) ، وبعضها الآخر (فَعَلُنْ) بتحريك العين ، وجاء ضربها (فَعَلُنْ) بتحريك العين ، كقصيدته (الوفاء) ، وله الأجر والثواب من الله العليّ العظيم .

فالأبيات التي جاءت عروضها على وزن (فاعِلُنْ) ، من قصيدة الأستاذ العطوي ، هي الأبيات الرابع ، والسابع ، والحادي عشر ، والثاني عشر ، والثالث عشر ، والرابع عشر .. الخ ، والأبيات التي جاءت عروضها على وزن (فَعَلُنْ) بتحريك العين ، هي الأبيات الثالث ، والخامس ، والسادس ، والثامن ، والتاسع ، والعاشر ....الخ .

وهذا الأمر هو الذي دعاني إلى نقده ، إلاّ إذا كان ما فعله الأستاذ العطوي من باب التجديد في علم العروض ، فهذا أمر آخر !!

يقول الأستاذ العطوي : -

(ثم ألا يعلم بأنّ الشاعر يجوز له ما لا يجوز لغيره ، وأن هناك شيئاً يسمونه الضرورة ، و كذلك يجيء في الشعر العربي ما هو مخالف للمألوف ، فيستشهد به ، سواءٌ كان من باب القليل ، أو النادر ، أو الشاذ ، أو المتكلف) .

وأرد عليه قائلاً : -

إنّ في قصيدتك أشْطراً قد كُسرتْ شرّ كسْر ، كقولك (إما مررت على الديسة وغاباتها) ، و (شرّ ما قيال ومقنى أمّ عنْم رملها) ، و (عاشت بلادي السعودية في عهدها) ، وغيرها من أشطر الأبيات المكسورة ، ثم إني أسألك عن إعراب (طابت مغانٍ وطابت مرتعاً وصبا) ، وهو شطر بيت لك مستقيم الوزن ، هل الضمة ، علامة الإعراب الأصلية (لمغان) ، أم الفتحة ، وهو الصحيح ، لأن (مغاني) نعربها تمييزاً ملحوظاً ، وأرجو ألا تقول لي : ـ إنها من ضرورات الشعر ، فالضرورات قد أشار إليها علماء اللغة ، وحصروها في كتبهم ، ومن هذه الكتب : ـ

١) ـ (ما يجوز للشاعر في الضرورة) للقزّاز القيرواني .

٢) (ضرائر الشعر) لابن عصفور الإشبيلي الحضْرمي ، حامل لواء العربية في الأندلس في عصره .

٣) ـ (الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر) للسيد محمد شكري الألوسي .

وكلها كتب نافعة ، ولعلّ الأستاذ العطوي يطلع عليها ، أو على بعضها ، ليقف عند ضرورة الشعر ، فلا يرسلها دون تأنّ وروية ...

ورحم الله أحمد بن فارس اللغويّ الكبير الذي قال : ـ ((فإنْ قالوا إنّ الشاعر يضطر إلى ذلك لأنه يريد إقامة وزن شعره ، ولو أنه لم يفعل ذلك لم يستقم شعره ، قيل لهم : ـ ومن اضطره أنْ يقول شعراً لا يستقيم إلاّ بإعمال الخطأ ، ونحن لم نر ، ولم نسمع ، بشاعر اضطره سلطان ، أو ذو سطْوة ، بسوْط ، أو بسيف ، إلى أنْ يقول في شعره مالا يجوز ، ومالا تجيزونه أنتم في كلام غيره)) .

ويعلّق على ذلك الأستاذ الكبير الدكتور رمضان عبد التواب في كتاب (ذمُّ الخطأ في الشعر) لابن فارس : فيقول :ـ

" فلا صحة لما يتردد على ألْسنة القوم ، من أنّ الضرورة الشعرية رخصة للشاعر يرتكبها متى أراد ، لأن معنى هذا الكلام ، أنّ الشاعر يباح له عن عمد مخالفة المألوف من القواعد ، وهو ما يتعارض مع ما وصل إلينا من أخبار الشعراء في القديم " [1] .

---

[1] ويقول أبو هلال العسكري :ـ ((وينبغي أن تجتنب ارتكاب الضرورات ، وإن جاءت فيها رخصة من أهل العربية فإنها قبيحة تشين الكلام ، وتذهب بمائه ، وإنما استعملها القدماء في أشعارهم لعدم علمهم بقباحتها ، ولأن بعضهم كان صاحب بداية ، والبداية مزلّة ، وما كان أيضاً تنقد عليهم أشعارهم ، ولوقد نُقدتْ وبهرج منها المعيب ، كما تنقد على شعراء هذه الأزمنة ، ويبهرج من كلامهم ما فيه أدنى عيب لتجنبوها . . . انظر كتاب (الصناعتين) ص ١٥٦ طبعة دار الفكر العربي سنة ١٩٧١م .

ويقول الأستاذ العطوي في ردّه :ـ فلنزن البيت :ـ

في دَوْحة الأربعاء شدّنا عَرفهـا

معنىً ولفظـاً تراقصـتْ بناطَربـاَ

ويقطع العطوي هذا البيت فيقول :(في دوحتَلْ) (مسْتفْعلنْ) أرْبعا (فاعِلُنْ) شدَّنا (متفْعلنْ) عرفها (فاعِلُنْ) .

ثم يقول مستنكراً : ـ ((إضافة لما قام به الناقد من تقعر لحذف همزة الأربعاء)) وأقول لـه : لمـاذا حـذفت همـزة (الأربعـا) عندما أردت تقطيع البيت وأنت الذي لمتني على حذفها ، ورميتني بـالتقعر حينمـا جعلـت (الأربعـاء) ، (الأربعـا) بـدون همـزة ، وهـل وزن (شدّنا) (متفْعلنْ) .

كما جاء في تقطيعك للبيت ، أم وزن شدّنا (فاعلنْ) .

وقاتل الله العجلة يا أخي ، فإنّ تقطيع البيت هكذا :

في دوحتــل (مسْـتفعلنْ) ، أربعــا (فــاعلنْ) ، ء شــدَّنا (متفْعلنْ) ، عَرْفها (فاعلنْ) ، فإثبات الهمزة ضروريٌّ هنـا ، لأن هـذا التقعـر الـذي أزعجـك ضـروري لاسـتقامة الـوزن ، إلاّ إذا جـاء البيت من قصيدتك هكذا .

في دوحة الأربعا جاءتْ تعطّرنـا

معنىً ولفظاً وسبْكاً هزَّنـا طربـاَ

وهو ما قمت بتعديله .

ويقـول الأسـتاذ العطـوي في رده :ـ (وبعظمـة لسـانه) ، و (خرج من المولد بلا حمص) ، و (إنما هي بالتساهيل) .

وأقول لـه ـ عفـا الله عنـه :ـ لقـد جلسـت معـك فـى تبـوك ، وتحـدثت معـك طـويلاً ، فشـدهتْني لهجتـك العطويـة العذبـة الـتي أحببتها ، كمـا أحببتُ لهجـة أهـالي تبـوك الفضـلاء ، تلـك اللهجـة العربية الأصيلة ، الـتي احتشـدتْ بـالمفردات اللغويـة الفصـيحة الـتي كدنا ننسـاها ، فمـا سمعـت بهـذه العبـارات الطارئـة علينـا ، وأظنهـا طارئة عليك ، وإنّ في نفسي شيئاً منها ، ولكل مقام حديث .

ويقول الأستاذ العطوي : ـ (وفيما يتّصل باختلاف التفعيلة في العروض لننظر إلى قول أبي البقاء الرنْدي : ـ

لكلّ شيءٍ إذا ما تمّ نقْصـانُ فلا يُغرُّ بطيب العيْش إنْسانُ

هي الأمور كما شاهدْتها دُوَلٌ من سرّهُ زمنٌ ساءتْهُ أزْمانُ

فالعروض في البيـت الأول (فاعـلْ) ، دخلـها القطْـع ، بينمـا العـروض في البيـت الثـاني (فعَلُـنْ) مخبونـة ، وهـو يعلـم أنّ التامـة

المقطوعة ليست من أعاريض البسيط الواردة في القاعدة التي حفظها) .

وأقول له على رسْلك يا أخي ، فما هذا (الخطأ المركّب) وإنني أضع هذه العبارة متحفّظاً بين قوسين ، وأعود بك إلى قصيدة الرنْدي ، التي تكّونَتْ من سبعة وثلاثين بيتاً ، جاءت عروضها كلها على وزن (فَعَلُنْ) بتحريك العين مخبونة ، وجاء ضربها على وزن (فَعْلُنْ) بسكون العين ، أو (فاعلْ) بسكون اللام ، ما عدا البيت الأول ، لأنه بيت (مصرّع) ، وهو الذي وافقَتْ عروضه ضربه في الوزن والرويّ .

يقول الخطيب التبريزي : ـ (والتصريع هو أن تقسّم البيت نصفين ، وتجعل آخر النصف من البيت ، كآخر البيت أجمع ، وتغيّر العروض للضرب ، فإنْ كان الضربُ (مفاعيلنْ) ، جعلت العروض (مفاعيلنْ) ، وإن كان (فعولنْ) ، جعلت العروض (فعولنْ) ... انتهى ما قاله التبريزي ، (رحمه الله) .... والبيت المصرّع يأتي في جميع البحور بتغيير في العروض ، إمّا بزيادة كقول امرئ القيس :-

قفا نبْكِ من ذكْرى حبيب وعرْفانِ

ورسْمٍ عفَتْ آياتــه منــذُ أزْمــانِ

فــالعروض في البيــت (وعرفــانِ) ، علــى وزن (مفــاعيلنْ) ، وعروَض الطويل مقبوضة دائماً ـ على وزن (مفاعلنْ) ، فزاد الشاعر فيها حرفاً لتوافق العروض وزن الضرب (ذُأ زمان) .. والنقص كقول المتنبي :ـ

ليالـيَّ بعد الظاعنين شُــكُولُ　　　طِوالٌ وليلُ العاشقينَ طويــلُ

فـالعروض (شـكولُ) ، علـى وزن (فعـولُنْ) ، جـاء بهـا الشاعر ناقصة ، فعروض الطويل في هذه القصيدة (مفاعلنْ) ، وهذا لا يجوز إلاّ في التصريع فقط ، والتصريع لا يأتي إلاّ في مطالع القصائد كثيراً ، أو في أثنائها قليلاً .

يقول ابن رشيق القيرواني في كتابه (العمـدة) : ـ (وسـبب التصريع مبادرة الشاعر القافية ، ليعلم في أول وهْلة أنه أخذ في كـلام موزون غير منثور ، ولذلك وقع في أول الشعر ، وربما صرّع الشـاعر في غير الابتداء) [1] .

واقرأْ معي قصيدة الخنساء التي بدأتها بقولها :ـ

قذىً بعينك أمْ بالعَيْنِ عُــوّارُ　　　أم ذرَّفَتْ إذْ خلَتْ من أهْلِها الدارُ

---

[1] العمدة لابن رشيق القيرواني ، ص ١٥٠ ج (١) طبعة المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة سنة ١٣٥٣هـ

كأنّ عْيني لذكْراهُ إذا خطَرتْ   فيْضٌ يسيلُ على الخدّينِ مِدْرارُ

فستجد عروض أبيات القصيدة كلها على وزن (فَعَلُنْ) بتحريك العين مخبونة ، وستجد أضرب أبيات هذه القصيدة على وزن (فاعلْ) بسكون اللام مقطوع ، كقصيدة أبي البقاء الرندي ، ما عدا البيت الأول ، الذي جاءت عروضه وضربه مقطوعين بسبب التصريع .

ويقول الأستاذ العطوي : ـ « وفي المقال ذاته قال : إن الخَبنْ في حشو البسيط جائز ، فما هو الخطأ إذنْ ، أوْ يحرّم على غيره ما يبيح لنفسه » وأقول للأخ العطوي ، كما قال ابن برّي :ـ « وعلى هذا ينبغي أن يحمل قول الأخفش : ـ الزحاف في الشعر كالرخصة في الدين ، لا يقدم عليها إلاّ الفقيه ، لأن الرخصة إنّما تكون للضرورة ، وإذا سُوّغَتْ فلا يُستكثرُ منها .. » .

ويقول العطوي : ـ

(وأود بداية أنْ أقول للكاتب إنّ النقد باب واسع ، ومدارسه عديدة ، ومجالاته رحبة ، ويبحث في أمور عدة ، حول اللفظ ، والمعنى ، والأفكار ، والأساليب ، والمناسبة ، والقائل ، والمحاسن ، والمساوىء ، وهو تطرّق إلى جزء صغير من هذا البحر أعني الوزن) .

وأرد على الأستاذ العطوي ، بأن أطلب من المسئولين عن الصفحة الثقافية في جريدة " الرياض " بأن ينشروا قصيدته ، ليقرأها غيري ، ويدلني على ما جاء فيها من لفظ جميل ، ومعني بديع ، وفكرة رائعة ، وأسلوب حسن ، ولا إخالهم إن شاء الله إلاّ فاعلين ، ليريحوني من هذا العناء والنصب .. وفي القرّاء الفضلاء ، من هو أحسن منّي فهْماً ، وأعلم بالشعر ونقده ؟ !! .

وأمّا الوزن فليس بالجزء الصغير ، وهو أساس القصيدة العمودية . ويقول الأستاذ العطوي : ـ (وإنْ كان الناقد يريد من كلامه بأنه لابد أن يكون أعضاء مجالس إدارات الأندية الأدبية من فحول الشعراء فإنه واهم ، فهذا ليس بشرط ، والدليل واقع الحال ، وإنّ العضوية ربّما تكون إدارية في كثير من مناحيها) .

وأقول له : ـ لقد صدقْتَ في قولك : ـ إنّي واهم إذا أردتُ من كلامي هذا أنْ يكون أعضاء مجالس إدارات الأندية من فحول الشعراء ، ... فالأدب يا أخي ليس شعراً فقط ، وإنيّ أعلم علم اليقين أن أعضاء مجالس إدارات الأندية الأدبية رجال فضلاء ، فيهم الشاعر المبدع ، والكاتب ، والقاص ، والمؤرخ ، واللغويّ ، والنحويّ ، والعروضيّ ، وليست العضوية إدارية ، كما قلت ذلك . وقد جاء

هؤلاء الأعضاء إلى هذه الأندية ، بتزكية من المسؤولين في إدارة الأندية الأدبية ، وأمّا حال الأندية الأدبية ، فلا أحسن ، ولا أفضل ، من واقع الحال الذي تعيشه هذه الأندية ، التي عم نفعها جميع أدباء المملكة ، والذي يقول غير ذلك ما هو إلاّ حاقد ، كفانا الله شره .

والأستاذ العطوي قد افترض أمْراً غير صحيح ، وبنى على افتراضه أموراً ، خرج منها بألفاظ وعبارات أربأ به عنها ، من ذلك عندما قال : " وأقول بعد أنْ تأكد لنا بطلان ادعائه ، لعل أخانا العبادي يتأكد من أحكامه ، ويقوم بإعادة طريقته في المقالات النقدية ، وألاّ يكون همه الكتابة فقط ، بل اتباع الحقيقة والصحيح ، وإلاّ فليطلّق مجال النقد ، ويقتصر على مجال آخر ، ليحفظ للنقاد ماء وجههم " .

وأقول له : ـ أنا لم أدّع أنني ناقد ، بدليل أنني ناقشتك في قضية الوزن ، ولم أتطرق إلى غيره من القضايا النقدية ، والشيء بالشيء يذكر ، فأنت تؤاخذني على أنني لم أتطرق في مقالاتي إلى :ـ (قصائد لا يوجد فيها الوزن أصْلاً ، وتطلب مني أن أريك صولاتي النقدية ، في الشعر الرمزي ، والغامض ، وفي الحداثة ، لا أن أقتصر

على معرفتي بوزن الشعر العمودي ، وأجهد قلمي وعقلي في هذا العلم ، الذي نضج واحترق) كما جاء في مقالته ، للرد عليَّ .

أقول له : إنّ في كلامك تداخلاً ، ولا أقول خلْطاً ، ففي الشعر الرمزي الغامض من الوزن والقافية في قصائد كثيرة ما هو معروف ومشهور ، أمّا الحداثة ، وما بعد الحداثة ، فهو اتجاه فكري ، وأدبي ، لا علاقة له بنقدي ، وأما قصيدة النثر ، وهذه لم تذكرها ، فلا يلتزم شعراؤها الوزنَ أصلاً ، ولا مجال لمناقشة أخطاء الوزن معهم ، ولكن ما آلمني من كلامك كله ، هو قولك عن علم العروض ، بأنه (علم نضج واحترق) .

وأقول للأخ العطوي :ـ كيف يحترق هذا العلم الذي وضع قواعده الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي العالم الجليل ، منذ ما يقارب الثلاثة عشر قرناً .. . يقول عن علم العروض الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب : ـ (لايزال الواحد منا يذكر كم أنفق من الوقت والجهد في تحصيل هذا العلم أيام الطلب ، حتى إذا انقضى الامتحان ، تفلّتتْ مسائله وقضاياه من الذاكرة ، في أيام معدودات) .

ويقول عنه الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس (رحمه الله) :ـ

(ولايزال الطالب في عصرنا الحديث يلقى نفس العنت والمشقة في دراسة علم العروض ، فلا يكاد يؤدي فيه امتحاناً حتى ينسى

تفاصيله ، ولا يذكر منه إلاّ عدة ألفاظ ، يظل يرددها في حياته على سبيل الذكرى) .

وهذا الأصمعي على علمه وذكائه ، وهو من هو في رواية اللغة وحفظ العربية ، فقد قيل عنه أنه أراد أن يتعلم علم العروض على الخليل بن أحمد ، وشرع في تعلّمه فتعذّر عليه ، فيئس الخليل منه ، فقال الخليل للأصمعي كيف تقطعّ قول الشاعر : ـ

إذا لم تستطعْ شيئاً فدعْـهُ وجاوزْهُ إلى ما تستطيعُ

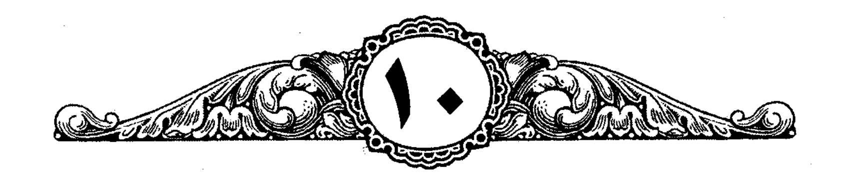
فعلم الأصمعي أَنَّ الخليل قد عجز أنْ يعلمه هذا العلم لصعوبته ، فانصرف الأصمعي عنه .. ثم يأتي الأستاذ مسلّم العطوي ـ بارك الله فيه ـ ليقول لنا إنّ هذا العلم قد نضج واحترق ، مع أن هذا العلم لم ينضجْ بَعْدُ ، مع مرور ثلاثة عشر قرناً عليه تقريباً ، وسبب ذلك يعود إلى إهمالنا لهذا العلم ، وتهاوننا به ، وعجز أكثر طلبة العلم عن فهمه .

وإذا كان الشعر ديوان العرب ، فلن يحفظ لنا هذا الديوان من عبث الأدعياء ، إلاّ علم العروض ورجاله القليلون ، والشعر كما هو معروف متوقف في فهمه على صحة قراءته ، ولا تتأتّى هذه الصحة ، إلاّ لمن كان بالعروض عالماً ، وللأوزان فاهماً ..

وإنْ كان علم العروض قد نضج واحترق في رأي أخينا العطوي ، فسيأتي لنا بعد العطويّ من يقول لنا :ـ إنَّ النحو ،

والصرف ، واللغة ، والبلاغة ، علوم قد نضجت واحترقت ، والله المستعان على ما يقولون .

وأعود إلى البحر البسيط فأقول :ـ إن أكثر أشعار العرب من الطويل ، والبسيط ، والكامل ، ومن تصفح أشعارهم اتضحت له هذه الحقيقة ، وهناك قصائد مشهورة جاءت من البحر البسيط الوافي ، كمعلقة النابغة الذبياني ، وداليته في الاعتذار إلى النعمان ، ولامية العجم للطغرائي ، وبائية أبي تمام في عمّورية ، وقصيدة المتنبي (عيدٌ بأية حال) ، وقصيدة الحزين الكناني ، في مدح عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، المنسوبة إلى الفرزدق ، في مدح زين العابدين ابن علي بن الحسين بن أبي طالب ، وقصيدة جرير " يا أم عمرو " ، وقصيدة الخنساء الرائية في رثاء أخيها صخر ، وقصيدة أبي نواس " دع عنْك لومي " ، وقصيدة الشريف الرضي " يا ظبْيةَ البان " ، ورائعة الشاعر الكبير حمزة شحاتة " نفيسة " التي أربت أبياتها على التسعين ، وقصيدة الشاعر محمد بن زريق البغدادي " لا تعذليه " ، وقصيدة أحمد شوقي " قم ناج جلّقَ " ، وقصيدة حافظ إبراهيم " لم يبق شيء من الدنيا " ، ورائعة الشاعر الكبير حسين سرحان " توديع " .. وإني سقت هذه النماذج الرائعة ، ليطبّق عليها من يريد معرفة وزن البحر البسيط الوافي ، حتى تسقط دعْوى إنّ العروض علمٌ نضجَ واحْترق ..



قال علماء العروض : ـ(الشعر هو الكلام الموزون قصداً بوزن عربي) .. وهم بقولهم هذا ، يخرجون الألفاظ المركبة ، ولو كانت موزونة من الشعر ، ويخرجون كل كلام جاء عن غير قصد ، مثل قولك : ـ (أصبح الخير عليكمْ) وما جاء في بعض الآيات من السور الكريمة مثل : ـ ﴿ من تزكَىّ فإنما يتزكّى لنفسه ﴾ [1] ومثل : ـ ﴿ الذي أنقض ظهركْ ورفعنا لك ذكْركْ﴾ [2] إذا سكّنّا الكاف للوقف ، ومثل قول الرسول عليه الصلاة والسلام : ـ " أنا النبي لا كذبْ ، أنا ابن عبد المطلبْ " كما يخرجون بقولهم هذا من الشعر ، ما خالف الأوزان التي استعملتها العرب قديماً ..

هذا ما قاله علماء العروض وقرروه في كتبهم التي ألّفوها عن هذا العلم الجليل ، ولم أقرأ عن عالم منهم خرج عن هذا القول ، إلاّ الإمام الجليل جار الله الزمخشري الذي قال في كتابه : ـ

---

(1) آية (١٨) من سورة فاطر . (2) آية ٣ — ٤ من سورة الشرح .

(القسْطاس) : ـ " إن بناء الشعر العربي على الوزن المخترع ، الخارج عن بحور شعر العرب ، لا يقدح في كونه شعراً عند بعضهم ، وبعضهم أبى ذلك ، وزعم أنه لا يكون شعراً ، حتى يوافق فيه على وزن من أوزانهم " .

ثم يقول في كتابه (القسْطاس) شارحاً وجهة نظره ، في قبوله الكلام الموزون ، الخارج عن بحور الشعر التي جاءت بها العرب في القديم ، وتُسمّيه شعراً ، يقول رحمه الله : ـ (ثم إنَّ من تعاطى التصنيف في العروض من أهل هذا المذهب ، فليس غرضه الذي يؤمه ، أن يحصر الأوزان التي إذا بُني الشعر على غيرها لم يكن شعراً عربياً ، وإنّ ما يرجع إلى حديث الوزن ، مقصور على هذه البحور الستة عشر لايتجاوزها ، إنما الغرض حصر الأوزان التي قالت العرب عليها أشعارها ، فليس تجاوز مقولاتها بمحظور في القياس ، على ماذكرت) .

فهذا العالم الجليل الزمخشري الذي توفي في الثلث الأول من القرن السادس الهجري ، يجيز الكلام الموزون ، ويسميه شعراً ، وإن خالف أوزان العرب القديمة ، ويقرر أن تجاوزها ليس بمحظور في القياس ، فيدخل بذلك في سلم الشعر :ـ المواليا ، وكان وكان ، والقوما ، والدوبيت ، والسلسلة ، والزجل ، وأخيراً الشعر الحر ،

مما جعل من جاء بعده من الأدباء أن يهتم بهذه الأوزان المولدة المبتكرة ، ويضع فيها كتاباً ، مثلما فعل الشاعر والأديب صفي الدين الحلّي ، المتوفى في سنة ٧٥٠هـ الذى ألّف كتاباً وخصصه للشعر الملحون ، وسماه ((العاطل الحَالي والمرخص الغالي)) ، وهو من أهم الكتب التي تعرضتْ لهذا اللون من الشعر ، مثل الزجل ، والمواليا ، والكان وكان ، والقوما ، وهو أهم كتاب قديم تعرض لهذه الفنون ، لأنه جمع قواعدها ، وكثيراً من نصوصها ، ولم يقتصر على قطر عربي ، بل أتى بنصوص من مصر ، والعِراق ، والشام ، والأندلس ، وكان بذلك مصدراً مهماً للمعرفة والدراسة ، لا يستطيع أن يستغني عنه دارس لأي واحد من هذه الفنون ، ومثلما فعلتْ الشاعرة : ــ نازك الملائكة ، في كتابها (قضايا الشعر المعاصر) ، ومثلما فعل الأستاذ الدكتور محمد النويهي ، في كتابه (قضية الشعر الجديد) ، عن الشعر الحر ..

وأنا أعدُّ الإمام جار الله الزمخشري ، أول من أجاز لهؤلاء الأدباء ، ومن سيأتي بعدهم ، أن يقولوا كلمتهم ، ويذيعوا رأيهم ، في كل كلام موزون ، ذى نغم ، وموسيقى ، وأخيلة ، ومعان جميلة ، ويلحقوه بالشعر ..

والشعر على أية طريقة كان وزنه ، مع الأخيلة والمعاني الجميلة الرائعة ، والكلمات المختارة البديعة المرسومة بإتقان ، يسمّى شعراً ، وإذا افتقد ما ذكرته ، أصبح كلاماً بارداً ، تمتلئ به الصحف والمجلات في هذه الأيام ، التي اختلط فيها الحابل بالنابل .

وهناك بحر من بحور الشعر العربي ، يَشتبه كثيراً بوزن بحر آخر ، حتى يختلط أمره على الشاعر الماهر ، فلا يميز بينهما ، وقد لاقيت عنتاً عندما أُسند إليَّ تصحيح كتاب (شعراء الحجاز في العصر الحديث) ، للأستاذ الصديق عبد السلام طاهر الساسي (رحمه الله) ، في قراءة شعر بعض الشعراء بعامة ، وفي قراءة الشعر الذى جاء من وزن البحر الهزج بخاصة .. .

و البحر الهزج معروف لدى شعراء العصر الجاهلي ، بخلاف ما يقوله الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (موسيقى الشعر) ، إذْ يقول رحمه الله :ـ (ويظهر أن الهزج تطوّرٌ لمجزوء الوافر ، جاءت به عصور الغناء أيام العباسيين ، ولم يكن معروفاً أيام الجاهليين ، فقد تطوّر الوافر أولاً باقتطاع التفعيلة الأخيرة منه ، وبذلك تكوّن ـ بتشديد الواو ـ المجزوء ، ثم نُظم هذا المجزوء ، بحيث يوافق الغناء العباسي فجاءنا الهزج ، وقد ظلتْ نسبة شيوع الهزج في أشعار العباسيين

ضئيلة ، لاتكاد تجاوز واحداً في المائة من مجموع الأشعار ، وبقيتْ هذه النسبة كذلك في كل العصور المتأخرة ، حتى جاء العصر الحديث واستحسن شعراؤه هذا الوزن في المسرحيات ، فأكثروا منه ، ووجدوه أطوع في بعض المواقف التمثيلية) .. ثم يعلّق على قوله هذا بقوله : ـ

((نرى عدة أبيات للفنْد الزمّاني مطلعها : ـ

أيا طعْنةَ ما شيخٍ كبيرٍ يفَنٍ بالى

ويتعسَّف الشراح في تخريج أو تأويل هذا البيت ، فهم يذهبون مثلاً إلى أن (ما) زائدة ، مما يجعلنا نشك في رواية هذه الأبيات التي جاءتنا على صورة الهزج)) انتهى ما قاله الدكتور إبراهيم أنيس ، ولنا على قوله تعقيب وتصحيح ، وهو :ـ ((أن البحر الهزج قد جاء فى شعر الفند الزمّاني برواية صحيحة ، وله في حماسة أبي تمام قصيدتان من البحر الهزج : ـ الأولى وقد بدأها بالبيت الذي ذكره الدكتور إبراهيم أنيس (أيا طعنة ماشيخ) ، وهي قصيدة صحيحة النسبة إلى الفنْد الزمّاني ، ولا ينفي صحتها (ما) الزائدة ، التي تقع زائدة ملغاة في كثير من الشواهد النحوية)) .. . يقول ابن درستويه في كتابه (كتاب الكتّاب) : ـ ((أمّا (ما) فإنها قد تقع ملغاة عند عامة النحويين ، ولو حذفت لما تغيّر معنى الكلام بحذفها ، وإنما يؤتى بها

توكيداً ، كقوله عز وجل : ـ ﴿ فبما رحمة من الله ﴾ [1] ، فلو قيل :ـ (فبرحمة) لتم المعنى ، وإنْ ذهب التوكيد ، وكقولهم : ـ (آتيك يوماً ما) فلو قيل : ـ يوماً لناب عن ذلك ، وكقول مهلهل : ـ

لو بأبانينَ جـاء يخْطبُهـا رُمّلَ ما أَنْـفُ خاطـبٍ بـدمِ

فلولم يأت (بما) لكان المعنى تاماً ، ولكنّه أكد بذلك وبالغ واستوفى بها وزن الشعر)) انتهى ما قاله ابن درستويه .. .وأقول : ـ لولم يقل الفند الزمّاني : ـ (أيا طعنةَ ما شيخ) لما استقام الوزن عنده ، (فما) الزائدة هنا ضرورة لوزن الشعر ، ويأتي بها الشعراء في شعرهم .

ومن أراد الاستزادة ، فعليه بمراجعة كتب النحو : ـ كشرح المفصّل لابن يعيش ، ومغني اللبيب لابن هشام ، وغيرهما من الكتب المعروفة لدى الخاصة من القراء ..

والقصيدة الثانية التي جاءت من البحر الهزج ، للفند الزمَّاني ، هي القصيدة التي بدأها بقوله :ـ

صفحْنا عـن بنـي ذُهْـلٍ وقلْنـا القـومُ إخْـوانُ

ثم إنّ هناك قصيدة تنسب للإمام علي كرم الله وجهه ، من البحر الهزج وهي : ـ

---

[1] آية ١٥٩ من سورة آل عمران .

دعِ الحرْصَ على الدنيا وفى العيْشِ فلا تطْمعْ
ولا تجمَعْ من المالِ فلا تدْري لمنْ تجمعْ
ولا تدْري أفي أرضِكَ أمْ في غيْرِها تُصْرعْ

إلى آخر القصيدة ..

وهذا يؤكد لنا أن البحر الهزج ، قد عرف في عصر الجاهليين ، وفي صدر الإسلام ، وإنْ أعرض عنه فحول الشعراء ، خلافاً لما يقوله الدكتور إبراهيم أنيس ..

والبحر الهزَج يشيع عند الشعراء الذين يستحسنون البحور القصيرة ، كأبى نواس ، وأبى العتاهية ، والعباس بن الأحنف ، وابن المعتز ، والشريف الرضي ، ومهيار الديلمى ، حتى جاء الشاعر الكبير أحمد شوقي ، فأكثر من البحر الهزج في مسرحياته الشعرية ، مثل (مصرع كليوباترة) ، و (مجنون ليلى) ، و (قمبيز) ، و (علي بك) ، و (علي بك الكبير) ، و (عذراء الهند) ومسرحيات أخرى .

ويقول الدكتور إبراهيم أنيس (رحمه الله) في كتابه آنف الذكر :ـ (والصفة التي تفرق بين الهزج ، ومجزوء الوافر ، هي أن (مفاعيلن) في الهزج ، يجوز أن تصبح (مفاعيلُ) بضم اللام ، وقد استقبحوا هذا في الوافر ، ولم يستسيغوه ، ولسنا ندري لمَ استقبح

أصحاب العروض تغيير (مفاعيلن) ، إلى (مفاعيلُ) في مجزوء الوافر ، واستحسنوه في الهزج ، مع ما نرى بينهما من صلة وثيقة) .. انتهى ما قاله الدكتور أنيس ، وما قاله غير صحيح ، مع احترامي وتقديري ، وأقول : ـ ((فى (مفاعيلن) المعصوبة في مجزوء الوافر ، تجري المعاقبة بين يائها ونونها ، كما جرت في البحر الهزج ، فيجوز حذف الياء ، على أن تبقى النون ، فتصير (مفاعلُنْ) ، أو حذف النون ، على أن تبقى الياء ، فتصير (مفاعيلُ) بضم اللام ..)) .

وحذف الياء في مجزوء الوافر ، يسمّيه علماء العروض (عقْلاً) لا قبْضاً ، فالقبْض يخص البحر الهزج ، لأن العقل حذف خامس متحرك في الأصل ، وحذف النون يسمّيه علماء العروض نقصاً لا كفّاً ، لأنها حذفتْ بعد تسكين الخامس .. أما الكفّ فيخص البحر الهزج ، فتصير (مفاعيلنْ) ، (مفاعيلُ) بضم اللام .. .

إذنْ مجزوء الوافر يجوز فيه أن تصبح (مفاعيلُنْ) (مفاعيلُ) بضم اللام .. قال أعرابي في ابن له من قصيدة ذكرها صاحب الحماسة : ـ

فـــــلا أمٌّ فتبْكيـــــــهِ ولا أخْـــــتٌ فتفْتقـــــدُهْ

وتقطيع البيت هكذا : ـ

مفاعيلنْ / مفاعيلُ ـــ مفاعيلُنْ / مفَاعَلَتُنْ

وقال عمر بن أبي ربيعة من قصيدة له : ـ

وقالـــتْ لفتـــاةٍ عِنْـــدَها (م) حـــوراءَ كـــالرئْمِ

وتقطيعه هكذا : ـ

مفاعيلُ / مفاعيلُنْ ـــــ مفاعيلُنْ / مفاعِيلُنْ

كما يجوز أن يدخله زحاف (العقْل) ، فتصير (مفاعلَتُنْ) (مفاعلُنْ) ، كقول عمر بن أبي ربيعة من قصيدة له : ـ

تُعفّـــي رسَـــمَهُ الأرواحُ (م) مـــنْ صَـــباً ومـــنْ شَـــمَلِ

وتقطيعه هكذا : ـ

مفاعيلُنْ / مفاعيلُنْ ـــــ مفاعِلُنْ / مفاعلَتُنْ

إلاّ أنّ زحاف العقْل في مجزوء الوافر ، ويقابله زحاف القبض في البحر الهزج ، الذي به تتحوّل (مفاعَلتُنْ) في مجزوء الوافر ، و (مفاعيلُنْ) في الهزج ، إلى (مفاعلُنْ) ، يعافه الذوق ، وينبذه الحسُّ ..

قال أبو العلاء المعري : ـ ((والجزء الثالث من الهزَج إنْ ادركه النقص بالكفّ ، وهو سقوط النون من (مفاعيلُنْ) ، لم يعلم به الحسُّ ، وكذلك الجزءان اللذان قبله ، مثل قول ابن الزبَعْرَى : ـ

فهـــــذانِ يـــــذودانِ   وذا مـــنْ كثَـــبٍ يرْمـــي

وتقطيعه هكذا : ـ

مفاعيلُ / مفاعيلُ ـــــ مفاعيلُ / مفاعيلُنْ

وإنْ أدركه القبض ، وهو سقوط الياء من (مفاعيلُنْ) ، بان ذلك في الذوق ، كقوله : ـ

حلَلْنـــــا بـــــأوارات   وأصْـــــبحوا بنُعْمانـــــا

وتقطيعه هكذا : ـ

مفاعيلُ / مفاعيلُنْ ـــــ مفاعلُنْ / مفاعيلُنْ))

انظـر إلى مـا قالـه أبـو العـلاء المعـري في كتابـه (الفصـول والغايات) .. وأعود إلى أبيات ابن الزِّبَعْرَى الذي بدأها بقوله : ـ

ألا لله قـــومٌ ولـــدتْ أخْـــتُ بنـــى ســـهْمِ

والذي يقول فيها : ـ

فإنْ أحْلـــفْ ببيـــت الله لا أحلـــفُ عـــن إثْـــمِ

ما إنْ إخــوةٌ بــين قصــورِ الشــام والــردْمِ

فترى أن البيت : ـ ما إنْ إخْوةٌ .. قد أصابَ (الخرْمُ) أوّله (ما إنْ إخْ) ، فتحوّلتْ (مفاعيلُنْ) ، إلى (مفْعولُنْ) .

ويجوز في الجزء الأول من بيت الهزَج غير الخرْم : ـ

(الخَرْب)[1] ، وهو حذف الميم من (مفاعيلُ) المكفوفة ، فتصير (فاعيلُ) ، وتنقل إلى (مفعولُ) بضم اللام .. كقول الشاعر :ـ

لــوْ كــانَ أبــو موســىٰ أميــراً مــا رضــيناهُ

وتقطيعه هكذا : ـ

مفْعولُ / مفاعيلُنْ ـــ مفاعيلُنْ / مفاعيلُنْ

كما يجوز فيه (الشتْر) ، وهو حذف الميم من (مفاعلُنْ) المقبوضة ، فتصير (فاعلُنْ) ، مثل قول الشاعر : ـ

فــي الــذين قــد مــاتُوا وفيمــا جمعُــوا عِبْــرهْ

وتقطيعه هكذا : ـ

فاعلُنْ / مفاعيلُنْ ـــ مفاعيلُ / مفاعيلُنْ

---

[1] سمي بالخَرْب كما قال الزجاج (رحمه الله) :ـ لذهاب أوله وآخره ، فكأنَّ الخراب لحقه .

وهذه كلها من العلل الجارية مجرى الزحاف ، التي يجب أن يتجنبها الشاعر القدير الموهوب ..

و حينما أردت أن أودع الأخ الكريم الدكتور (مجدي كامل عبد اللطيف) ، مدير مستشفى الأمين الخاص بالطائف ، حين سفره إلى مصر ، بعد انتهاء عمله بالمستشفى .

ودعته بقصيدة سهلة الروي والوزن ، أجدّد بها قصائد الإخوانيات التي بدأتْ تُنْسى في هذا العصر ، عصر شعر التفعيلة ، فلم أجد وزناً سهلاً وسلساً ، كمجزوء الوافر ، الشبيه (بالهزج) .

فافتتحتُ قصيدتي بقولي لأخى الكريم الدكتور مجدي : ـ

سلامُ اللهِ يا مجْدي   وهذا الورْدُ من عنْدي

قلت ذلك ، لأعارض بها قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي رحمه الله ، التي قالها تحية للزعيم الهندي (غاندي) ، حين مروره بمصر في سنة ١٩٣١ م ، في طريقه إلى لندن ، وقد بدأها شوقي بقوله : ـ

بني مِصْرَ ارْفعُوا الغارَ   وحيّوا بطَلَ الهنْدِ

وقصيدة شوقي ، تتكوّن من تسعة وعشرين بيتاً ، جاءتْ كلها من البحر الهزَج ، يقول شوقي فيها :ـ

لقـــد علَّـــم بـــالحقِّ وبالصـــبْر وبالقصْـــدِ
ونادى المشْـرقَ الأقْصَـى فلبَّـــاهُ مـــن اللحْــدِ
وجاءَ الأنفُـسَ المرْضَـى فــداواها مـــن الحِقْــدِ
دعا الهنـدوسَ والإسـلامَ للألفْـــــة والــــــودِّ
بسحْرٍ من قُـوى الـروحِ حَوَى السيْفينِ فـي غِمْـدِ
وسـلطانٍ مـن الـنفْسِ يقـــوّي رائــضَ الأُسْـــدِ
وتوفيـــقٍ مـــنَ اللهِ وتيســـيرٍ مـــن الســـعْدِ
وحـــظٍّ لـــيْس يعُطــاهُ سِــوى المخلــوقِ للخُلْــدِ
ولاَ يُؤْخَـــذُ بـــالحوْلِ ولا الصـــوْلِ ولا الجُنْـــدِ
ولا بالنسْــلِ والمـــالِ ولابـــا لكَـــدْحِ والكـــدِّ

وقلتُ في قصيدتي : -

علـــى حـــينَ رأينـــاكمْ أخـــا صِـــدْقٍ أخـــا ودِّ
مـــلأْتَ قُلوَبنـــا حبّـــاً فهمْنـــا فيـــك يـــا مجْـــدي
تفارقُنـــا بـــلا ســـببٍ وتهجُرُنـــا علـــى عَمْـــدِ
وتتركُنـــا بـــلا رُوحٍ قســـوْتَ وكنـــتَ كالصَـــلْدِ

فـــإنْ مـــا لامنَـــا أَحـــدٌ على الأحْـزانِ مـــا نُبـدِي
شــكَوْنا بـــثَّ مـــا نُبْــدي ومَـــا نُخْفــي مـــن الجَهْــدِ
تأمّـــلْ كيـــف تتركُنـــا بـــلا سـيْفٍ بـــلا غمْـــدِ
ولا رِجْـــلٍ ولا خيْـــلٍ كُميْـــتِ اللـــون أوْ وَرْدِ
هـــداكَ اللهُ يـــا مجْـــدي وعُـــدْ بـــالله للرُّشْـــدِ
وكُـــنْ معَنـــا ودَعْ مصـــراً ومـــا مصْـــرٌ سِـــوى نجْـــدِ

إلى آخر القصيدة .. .. .

وقصيدتي تتكوّن من ستة وعشرين بيتاً ، فتقلُّ بذلك عن قصيدة أحمد شوقي بثلاثة أبيات ، وقد أنشأتُها من مجزوء الوافر ، مغايراً بذلك وزن قصيدة أحمد شوقي التي أنشأها من البحر (الهزجَ) ، البحر الذي يعشقه الشاعر الكبير أحمد شوقي .. .

والبحر (الهزَج) ، و (مجزوء الوافر) ، بحران وثيقا الصلة ببعضهما ، ولايكاد السامع يميّز بينهما ، وقد يختلط الأمر على من لم يكنْ له علم بالعروض ، هذا العلم الجليل الذي يبيّن لنا الزَّغَل في الذهب ، وقد أنشأتُ قصيدتي في توديع أخي الدكتور مجدي كامل عبد اللطيف ، وكنت متأثراً بقصيدة الشاعر الكبير أحمد شوقي في

زعيم الهند (غاندي) ، هذه القصيدة التي حفظتها منذ خمسين سنة ، وحمدت الله أننى لم أتأثر بقصيدة شوقي ، سوى ببيت واحد يتيم .

قال شوقى رحمه الله : -

سلامُ النيلِ يا غنْدي وهذا الزهْرُ من عنْدي

وقلتُ : -

سلامُ اللهِ يا مجْدي وهذا الوردُ من عنْدي

وقد تأكّدتُ من ذلك ، بعد مراجعتى - للجزء الرابع من ديوان أحمد شوقي ، الذي يقبع في مكتبتي ، مع أجزائه الأخرى ، في طبعته الأولى ، المطبوع في شركة فن الطباعة بمصر ، في عام ١٩٤٨ م ، وهي طبعة من أوثق الطبعات ، كما أخبرني بذلك الشاعر الكبير فاروق شوشة ، في جلسة أدبية خاصة ، في منزل حبيبنا وأخينا الكبير الأستاذ عبد الحميد حامد مشخص في القاهرة .

وقد أصغينا نحن الحاضرين إلى الأخ الشاعر الكبير فاروق شوشة ، وهو يقرأ علينا قصيدة أحمد شوقي في المغنّي / عبده الحامولي ، وكنتُ أحفظ بيتاً واحداً من القصيدة ، وهو : -

يسْمعُ الليلُ منه في الفجْرِ ياليـــ

ـــلُ فيُصْغي مستمْهِلاً في فِرارهْ

وكان يقرأ علينا القصيدة بعدما سألته عنها ، بحضور الشاعر السعودى المبدع ، عمر محمد كردي الكوراني المدني ، ابن العائلة العريقة المدنية في العلم والأدب ، وحضور الشاعرين المصريين الكبيرين / محمد التهامي ، وعبد العليم عيسى ، وإنْ أنْسَ فلا أنْس حضور الشاعر الكبير طاهر أبو فاشا ، وهو الحضور الذي يتجدد دائماً بقصائده الرائعة ، التي يشنِّف آذاننا بها ، حتى توفّاه الله ، (رحمه الله) ، فغاب نجم ساطع من نجوم الأدب والشعر ، في قاهرة المعزلدين الله .

وكان الأستاذ الكبير فاروق شوشة ، يحفظ الكثير من شعر أحمد شوقي ، وكان يُسعد الحاضرين بصوته العذْب ، حين قراءته للشعر ، فتسمع القصيدة منه ، فكأنك تسمعها لأوّل مرة .. ..

أقول : ـ لقد عدت إلى ديوان شوقي ، فحمدت الله أنَّ قصيدتى قد بَعُدت كلّ البعد عن قصيدة شوقي ، ولم تلتق معها إلاَّ في بيت واحد فقط ، قد ذكرته آنفاً ... .

وقصيدة أحمد شوقي من البحر الهزج ، إلاَّ بيتاً واحداً ضبطه ناشر الديوان خطأ ، مما عُدَّ من مجزوء الوافر ، بسبب هذا الخطأ ، وهذا البيت هو : ـ

وقُــلْ هــاتُوا أفــاعيَكْم   أتَــى الحــاوي مــن الهنْــدِ

وتقطيعه هكذا ، إذا نطقنا ياء (أفاعيكم) بالفتحة ، كما ضبطها الناشر :ـ

مفاعيلُنْ / مفاعِلَتُنْ ـــــ مفاعيلُنْ / مفاعيلُنْ

وقد ضبط الناشر البيت حسب القاعدة النحْوية التي تنصب الاسم المنقوص ، بظهور الفتحة على يائه ، ولم يعلم ـ غفر الله له ـ أن علماء النحو قد أجازوا للشاعر أن لا يظهر الفتحة على ياء الاسم المنقوص ، مثل قول الراجز :ـ

(١) سوَّى مساحيهنَّ تقطيط الحُقَقْ

تفْليل ما قارعْنَ من سُمْر الطُــرقْ

وقول الآخر ، ونُسب إلى الحطيئة : ـ

(٢) يا دارَ هنْدٍ عفَــتْ إلاَّ أثافِيهــا

بين الطَّــوِيِّ فصــاراتٍ فواديهــا

---

(١) المساحي : حوافر الأُتنُ ، جمع أتان : الحمارة ، لأنها تسْحو الأرض أي : تقشرها ، والتقطيط : قطع الشيء وتسويته ، والحقق : وعاء الطيب المنحوت من الخشب أو العاج .

(٢) عفتْ : درستْ ، والأثافي جمع : أُثْفيّة ، وهي الحجارة التي توضع عليها القدر . والطوِيُّ : كغنيّ : البئر ، والصارة : جبل ، وصارات : من وضع الجمع مكان المفرد ، والطوِيُّ وصارات :ـ ببلاد محارب ... .

وهذا كله ، وغيره ، من الشواهد مسكّن الياء ، في موضع النصب ، استخفافاً في الشعر ، لأن الياء والواو معتلاّن ، فيخفّفان بالسكون .

وقد ذكر ذلك سيبويه في كتابه .. .

ومثال ذلك أيضاً ، ما قاله الرياشي : ـ

يا باريَ القوْسِ برْيـاً لسْـتَ تُحكمـهُ

لا تظْلمِ القوْسَ أعْطِ القوْسَ باريها

وكان عليه أن يقول : ـ باريَها بفتح الياء ، ولكنّه جعل الفتحة مقدّرة عليها ، وقد ورد كثيراً في الشعر مثل هذه الشواهد .

وأعود إلى قصيدتى التى اختتمتها بهذه الأبيات : ـ

أميـلُ إليـك يجُـذبُني ... فـؤادي والهـوَى يُـرْدي

فأشْـفِقُ أنْ تبـدّ لَكـمْ ... بوطْأتهـا الـدُّنا بعْـدي

أخـافُ عليـك مـنْ نكَـدٍ ... ومـنْ حنَـقٍ ومـنْ حِقْـدِ

وتعْـرِفُ مـا رمـزْتُ لـه ... ولسْـتَ بجاهـلٍ قصْـدي

وعندما نقطع هذه الأبيات الأربعة لا يخرج تقطيعها عن : ـ

مفاعلَتُن / مفاعلَتُنْ ـــــ مفاعيلُنْ / مفاعيلُنْ

مع التقديم والتأخير في بعض (تفعيلات) الحشو .

ويجد القارئ الكريم أن الكثير من أبيات هذه القصيدة اشتملتْ على (مفاعلَتُنْ) محركة اللام ، وهذه التفعيلة تخص مجزوء الوافر ، ولا تأتي إطلاقاً في البحر الهزج ، وكل قصيدة عمودية تتكرر فيها (مفاعَلتُنْ) محرّكة اللام ، فهي من مجزوء الوافر .

ولا يلتبس الأمر على ذوي العلم والمعرفة ، إذا جاءتْ في القصيدة من مجزوء الوافر (مفاعيلنْ) ، بدلاً من (مفاعَلتُنْ) ، وهو ما يسمَّى بالعصْب ، وللشاعر الكبير السعودي حمزة شحاتة قصيدة فكاهية ، جاءت من البحر الهزج ، وهي قصيدة طويلة ، أربتْ أبياتها على الأربعين ، ..

يقول فيها حمزة شحاتة (رحمه الله) : -

وقد ضيّعني قوْمي   وقِدْماً أنكْروا جَهْدي
وما بدّدتُ من وقْتٍ   وما فَرّقْتُ من نقْدِ
وهل في أمَّةٍ يشْقى   بها الأحرارُ من رُشْدِ
ولمَّا طقّني الفقْرُ   وأضْحتْ أُمّتي ضِدّي
توكَّلْتُ على المْولى   وعوَّلتُ على زنْدي

أبيـــعُ الفُـــولَ والحِلْبَـــةَ والفِصْـــفِصَ والمنْـــدِي
وكـــان الحـــالُ مســـتوراً وأَشْـــغالي علـــى قَـــدِّي

إلى آخـر القصـيدة الفكاهيـة الناقـدة الرائعـة اللاذعـة . وفـي القصيدة أبيات تحمل الحكمة ، والقول النافع ، كعادة الأستاذ حمزة شحاتة في قصائده الهزلية ، التي يختلط فيها الهزل بالجدّ ، مثل قولـه في هذه القصيدة :ـ

وقدْ تَعْـدُو كـلابُ الحـيِّ مـن جهْـلٍ علـى الأُسْـدِ
وإنْ أدْبـــرتِ الـــدنْيا تســـاوى الشَّـــهْمُ بالوَغْـــدِ

رحم الله الأستاذ الشاعر الكبير حمزة شحاتة ، وأسكنه فَسيح جنّاته [1].

---

[1] ((وهذا يعنى أن التجربة الواقعية الحية ، هي ما يحرك الاتصال والتعالق لدى الشاعر اللاحق، بنصوص شعرية سبق له أن قرأها واختزنها في ذاكرته ، حتى لو كان الأمر غارقاً في القدم ، في الزمن والتاريخ ، على النحو الذى لاحظنا في قصة الشاعر السعودي المعروف .. على حسن العبادي ، حين حركت إحدى تجاربه الحية ، وداع صديق عزيز ، هو الدكتور مجدي كامل عبد اللطيف ، قصيدة حفظها لأحمد شوقي منذ خمسين سنة ، يقول العبادي في مقاله :ــ (وهكذا يكتب الشعر) نشرها في ملحق ثقافة اليوم بتاريخ ٨ / ٥ / ١٩٩٧ م ، : ـ (أنشأت قصيدتى في توديع أخي الدكتور مجدي كامل عبد اللطيف ، وكنت متأثراً بقصيدة الشاعر الكبير أحمد شوقي ، في زعيم الهند (غاندي) هذه القصيدة التي حفظتها منذ خمسين سنة ، وحمدت الله أننى لم أتأثر بقصيدة شوقي سوى ببيت واحد يتيم ، قال شوقي (رحمه الله)

ســـلامُ الله ياغنْـــدى وهـــذا الزَهْـــرُ مـــن عنْـــدى

وقلت : ـ

سـ ــلامُ الله يامجْـ ـدي وهـ ـذا الـ ـورْدُ مـ ـن عنْـ ـدي

وقد تأكدت من ذلك ، بعد مراجعتي الجزء الرابع من ديوان أحمد شوقي ، الذي يقبع في مكتبتي مع أجزائه الأخرى ، في طبعته الأولى في عام ١٩٤٨ م) .

ويتضح من الجزء الأخير في كلام الدكتور العبَّادي [١] .

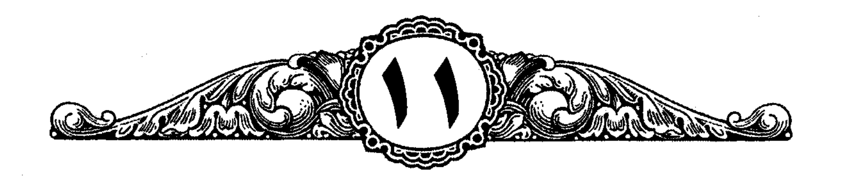
أن التعالق النصي ، أوما أسماه بالتأثر ، لم يكن مقصوداً ولاواعياً ، بل لم يكن مدركاً إلاّ بعد أن تأكد من ذلك ، بعد مراجعته ديوان شوقي ..

وقد حمد الشاعر ربه ، على أن التأثر لم يتعد ذلك البيت اليتيم ، من قصيدة أمير الشعراء ، وكل ماكان يعيه العبَّادي ، أنه كان يعارض قصيدة شوقي المذكورة وزناً وقافية ، التي حفظها منذ خمسين عاماً ..

ولولم يكن قد حفظ القصيدة كلها عن ظهر قلب ، وظل محتفظاً بذاكرته الشعريّة طوال هذا الزمن ، لغاب عن وعيه أنه كان يعارض بقصيدته قصيدة أمير الشعراء تلك .. .

إن لحظة الوداع ، كتجربة واقعية حيّة ، هي التي فجرّتْ حالة التعالق النصّي لدى العّبادي ، وهي التي حرّكت ذلك المارد الشعري المسجون في حافظته منذ نصف قرن ، وليس العكس)) .. من مقالة طويلة للأستاذ الدكتور علوي الهاشمي ، تكلم فيها عن ظاهرة التعالق النصي في الشعر السعودي الحديث ، نُشرَتْ في جريدة الرياض الغراء (ثقافة اليوم) الصادرة في يوم الخميس ٩ محرم ١٤١٨ هـ .

[١] لقد وهم الأستاذ علوي الهاشمي ، حينما أطلق عليَّ لقب الدكتور ، فسامحه الله ، والدكتوراه شهادة علمية ، لقي بعض حامليها نصباً وعناءً حتى نالوها .



قرأت ما كتبه صديقنا الأستاذ الأديب الفاضل عابد خزندار ، في مقالته (نثار) ، في جريدة (عكاظ) الغراء ، في يوم السبت الموافق٢٤/١٢/١٤١٩ هـ ، التي يقول فيها ما نصه :ـ « سبق أن قلت :ـ إن صديقنا منصور إبراهيم الحازمي ناقد جيد ، ولكنه شاعر رديء ، وإن الأفضل له أن يتوقف عن قول الشعر ، ولكن هذا الكلام لم يعجبه ، ورد عليّ بمقال طويل عريض ، افترش صفحة كاملة في صحيفة (الرياض) ، العدد الصادر في ٢٢ ذي الحجة عام ١٤١٩ هـ ، يدافع فيها عن شعره ، وهي مهمة ، يستحسن أن يتركها لغيره » .

ثم تطرّق الأستاذ عابد خزندار إلى قصيدة للدكتور منصور الحازمي ، كان قد استشهد بها في مقالته المنشورة في جريدة (الرياض) ، وقال عنها الأستاذ عابد خزندار :ـ (هذه قصيدة

الحــازمي العصــماء ، وهــي فيمــا أحســب مــن مجــزوء المتــدارك ، ووزنه هو : ـ

فا علنْ / فا علنْ / فا علنْ ..

ولكن الوزن الفعلي لقصيدة الحازمي هو : ـ

فاعلنْ / فاعلنْ / فعلُ .

وقد يدخل على هذا البحر الخَبْن ، وهو حذف الثاني الساكن من (فـاعلنْ) ، فتصبح (فعَلـنْ) بتحريك العـين ، أو قـد يدخلـه التشعيث وهو : ـ حذف العين [1] من (فاعلنْ) ، فتصبح (فعْلـن) بسكون العين ، أماَّ أنْ يكون الضرب (فعـلُ) فحسْب ، فهـذا مـالم أسمع به ، ثم أردف قائلاً : ـ (وأنا لستُ عالماً عَروضياً ، ولهذا ألجأْ لصديقنا (العبَّادي) للحكْم على هذه المسألة) ..

---

[1] والصواب أن يقـول : أو قـد يدخلـه التشـعيث ، وهـو حـذف الحـرف الثـاني أو الأول مـن الوتـد المجموع ، فتصبح : (فاعلنْ) (فعْلنْ) بسكون العين وذلـك في البحـر المتـدارك ، وقصـيدة الـدكتور الحازمي ، ليست من البحـر المتـدارك . . ويـرى بعـض علمـاء العـروض ، أن تحويـل (فـاعلنْ) إلى (فعْلنْ) هو بعلة القطْع ، ويرى بعضهم بأن (فاعلنْ) هنا دخلها الخبن ، فصـارت (فعَلـنْ) ، ثـم سُكِّنَتْ العين بالاضمار تشبيهاً لثانيها بثـاني السبب الثقيـل ، فصارت (فعْلـنْ) بسـكون العـين ، ويرى هؤلاء ألاَّ قطع ولا تشعيث .

إني أشكر الأستاذ الصديق (عابد خزندار) على ثقته في رجلٍ مثْلي ، ضيّع شبابه وكهولته وشيخوخته ، ووراء علْم مكروه في هذا الزمان ، فكوّنَ لي أعداءً وهم الأصدقاء ، ونصبوا لي العداء ، لّما أردتُ أنْ أصحّح لهم ما اعوجَّ من شعرهم ، وأهديهم إلى قول الشعر الصحيح ، الذي جاء به تراثنا الخالد ، وديوان شعرنا الذي ورثناه عن آبائنا ، ولقيت منهم شراً مستطيراً . ولرغبة حبيبنا الأستاذ عابد خزندار أقول :ـ (إن قصيدة صديقنا الأستاذ الدكتور منصور إبراهيم الحازمي ، قصيدة سليمة الوزن والمعنى ، من مجزوء الخفيف ، وليست من البحر المتدارك ، وبينها وبين البحر المتدارك بون شاسع .. . ووزن قصيدة الدكتور الحازمي هو : ـ

فاعلاتنْ / مفاعلنْ ـ فا علاتنْ / مفاعلنْ

أصله :ـ

فاعلاتنْ / مستفْع لنْ ـــ فاعلاتنْ / مستفْع لنْ

وقد دخل الخبن : (مستفْع لنْ) ، فأصبحتْ (مفاعلنْ) ، يقول الدكتور / منصور الحازمي :

كلّمتْ قال صاحبي   منْ تُرى ؟ قلتُ (موعدا)

وتقطيعه هكذا

فاعلاتنْ / مفاع لنْ　　　فاعلاتنْ / مفاع لنْ

٥١٥١١٥١ / ٥١١٥١١　　　٥١٥١١٥١ / ٥١١٥١١

وهـذا هـو مجزوء الخفيـف الـذي تتقبلـه الأذن ، ويستسـيغه الذوق ، وهو شائع ، يقبل عليه الشعراء ، ومثله في طلاوته ، ما جاء على وزن :ـ

فاعلاتنْ / مستفْع لنْ　　　فاعلاتنْ / فَعولنْ

وضربه كما ترى مجزوء مقصور مخبون ، وشاهده : ـ

كلُّ خطْبٍ مــا لــمْ تكونــوا غضِــبتمْ يســيرُ

وتقطيعه هكذا :ـ

فاعلاتنْ / مستفْع لنْ　　　فاعلاتنْ / فَعولنْ

٥١٥١١٥١ ٥١١٥١٥١　　　٥١٥١١٥١ ٥١٥١١

وقد جاء أبو العتاهية بقصيدة من مجزوء الخفيف ، عَروضها مجزوءة مقصورة ، وضربها مثلها ، يقول فيها : ـ

عتْبُ مــا للخيــالِ　　　خبّرينــي ومــالي

ووزنه : ـ

فاعلاتنْ / فَعولنْ　　　فاعلاتنْ / فعولنْ

٥١٥١١٥١ / ٥١٥١١　　　٥١٥١١٥١ / ٥١٥١١

فلما قيل له : ـ خرجتَ عن العروض .

قال :ـ أنا سبقتُ العَروض .. فقصيدة الأستاذ الدكتور منصور الحازمي ، جاءت أبياتها كلها من مجزوء الخفيف ، الشائع بين الشعراء ، ووزنه : ـ

فاعلاتنْ / مستفْع لنْ فاعلاتنْ / مسْتفْع لنْ

إلا أن العروض والضرب فى قصيدة الدكتور الحازمي مخبونان ، فجاء الوزن هكذا :ـ فاعلاتنْ / مفاعلنْ ـ فاعلاتنْ / مفاعلنْ

وقد أجْمع علماء العَروض على أنّ الخَبْن في (مستفْع لنْ) ، التي تصير به (متفْع لنْ) ، أو (مفاعِلنْ) ، أعذبُ سماعاً من (مستفْع لنْ) ، في البحر الخفيف .

وقصيدة الدكتور منصور الحازمي ، شاع وزنها بين الشعراء ..

يقول الشاعر ديكُ الجنّ : ـ

أيُّها القلبُ لا تَعُدْ لهَوَى البيضِ ثانيَهْ
ليس برْقٌ يكونُ أخْلَبَ (م) من برْقِ غانيهْ
خُنْتِ سرِّي ولمِ أخُنْكِ فمُوتي علانيهْ

وللشاعر المعاصر الفلسطيني إبراهيم طوقان (رحمه الله) ، قصيدتان من أبدع القصائد التي قيلت في عصرنا الحاضر ، وهما :ـ (الشهيد) ، و (الفدائي) .

يقول إبراهيم طوقان في قصيدته الشهيد : ـ

لا تَقُلْ أين جسمُهُ واسْمهُ في فمِ الزمَنْ

إنّهُ كوْكبُ الهُدى لاحَ في غيهَبِ المِحَنْ

أرْسلَ النورَ في العيونِ فما تعْرفُ الوسَنْ

ورَمى النارَ في القلوبِ فما تعرِفُ الضِغَنْ

ويقول إبراهيم طوقان (رحمه الله) في قصيدة (الفدائي) : ـ

لا تَسلْ عن سلامتِهْ رُوحُه فوْقَ راحتِهْ

بدّلَتهُ هُمُومُهُ كفَناً من وِسادتِهْ

يرقُبُ الساعةَ التي بعْدَها هَولُ ساعَتِهْ

و هما قصيدتان ، من أبدع ما قرأته ، من مجزوء الخفيف .

وأما ما قاله الأستاذ عابد الخزندار في مقالته (نثار) :ـ بأن قصيدة الدكتور منصور الحازمي من (مجزوء المتدارك) ، وهو البحر المحدث ، الذي تتألف تفعيلاته من : ـ

فاعلنْ / فاعلنْ / فاعلنْ / فاعلنْ

فاعلنْ / فاعلنْ / فاعلنْ / فاعلنْ

فهو لا ينطبق على قصيدة الدكتور الحازمي ، وقد اختلط الأمر على حبيبنا الأستاذ الفاضل (عابد الخزندار) ، وسأكتب عن البحر المتدارك مفصّلاً ، في مقالة أخرى طويلة إنْ شاء الله .. .

وأمَّا (كلّمتْ) من (كلّم) ، بفتح الكاف واللام المشددة ثم الميم المفتوحة ، فهي :ـ كلمة فصيحة ، وليستْ من كلام الأعاجم ، كما زعم الخزندار ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ منهم من كلّم اللهَ ورفع بعْضَهمْ درَجاتٍ ﴾ آية ٢٥٣ من سورة البقرة ، ويقول تعالى :ـ ﴿ ولما جاء موسى لميقاتِنا وكلّمهُ ربُّه ﴾ آية ١٤٣ من سورة الأعراف .. وكذلك (حبَبْتُه) ، الكلمة التي اعترض عليها الأستاذ عابد الخزندار .. . هي كلمة صحيحة ، وردتْ في معجم اللغة . . . يقول صاحب القاموس المحيط في (أحبَّه وهو محبوبٌ على غير قياس . ومُحَبٌّ . قليل ، وحبَبْتُه ـ أُحِبُّه ـ بكسر الحاء : شاذ ، حُبّاً : بالضم وبالكسر ، وأحْببتُه

واستحببته ، والحبيب : ـ المُحَبّ . .[1] ، فلا تثريب على صديقنا الدكتور منصور الحازمي إذا قال :

لَمَ يعُدْ من حببْتُهُ مثْلما كان أغْيدا

وأما قول الحازمي :

لم يصِل غيرُ صوْتِها ناعمِ الخطْوِ كالنّدى
يُسْكِرُ السمْعَ نَبْرُهُ كيفما اهتزّ أنشْدا

والنبْر : يأتي بمعنى رفع المغنّي صوته بعد خفضه ، وهو ما يستعمله المغنون كثيراً في أغانيهم .

ولا يعيب من كان صوتُها ناعِمَ الخطْو كالندى ، أنْ ترفع صوتها لمن لا يسمعُها ، وأما البيت الذي افتتح به الدكتور منصور الحازمي قصيدته : ـ

---

[1] وجاء في المحكم لابن سيدة ج ٢ ص ٣٧٩ طبعة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية : ـ (أحبه فهو محبوب على غير قياس على الأكثر ، وقد قيل (محب) بفتح الحاء على القياس قال عنترة : ـ ((ولقد نزلت فلا تظنّي غيره منّي بمنزلة المُحَب المكْرِم)) والمحب في بيت عنترة : ـ بفتح الحاء المهملة بمعني (المحبوب) ، وكره بعضهم حبَبْته ، وأنكر أن يكون هذا البيت لفصيح : ـ فأقسم لولا تمرةُ ماحَبَبْتُهُ وكان عياضٌ منه أَدْنى ومشرقُ . .
مع أن قائل البيت : ـ عيَلان بن شجاع النهشلي الدارمي التميمي ، وهو صحيح النسب ممن لم يطرأ على لسانه لكنة .

كلَّمتْ قال صاحبي من تُرى قلتُ (موعدا)

فإني أرى أنْ يعيد النظر فيه لأنَّ نصب (موعد) لا محلّ له من الإعراب .. وليس من حقه أنْ يتمحّل لذلك تأويلاً ، إلاّ إذا كانتْ واقعةً في محل نصْبٍ لفعلٍ محذوفٍ ، مثل ما جاء في قوله تعالى : ـ ﴿ وقيلَ للذين اتَّقَوْا ما ذا أنْزلَ ربُّكمْ قالوا خيْراً ﴾ سورة النحل آية ـ ٣٠ ـ .

ويتحتّمُ على الدكتور منصور إبراهيم الحازمي إعادة النظر في البيت ، وهو القادر إذا أراد أن يرفع الإشكال عن قرائه ، لأن ابن فارس قد قال رحمه الله : ـ (وما الذي يمنع الشاعر إذا بنى خمسين بيتاً على الصواب ، أن يتجنب ذلك البيت المعيب ، ولا يكون في تجنبه ذلك ما يوقع ذنباً أو يُزْري بمروءة) .

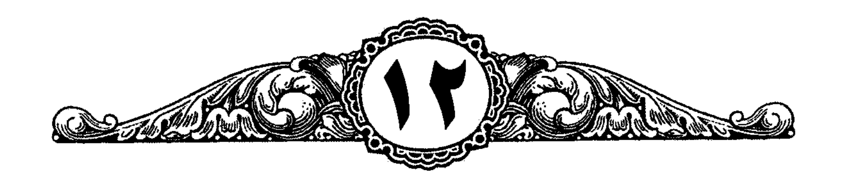
وقصيدة الدكتور منصور الحازمي قصيدة مقبولة ، غير أنها لا ترْقى إلى القصائد (الحذّاء) بفتح الحاء وتشديد الذال المعجمة ، ولعل للدكتور الحازمي قصائد أحسنُ منها سَبْكاً ، وأفضلُ منها بناءً ، وهو الشاعر الذي استهواه الشعر وهو طالب في المرحلة الثانوية ، وأما تعليق الأستاذ عابد الخزندار على بيت الدكتور الحازمي : ـ

قالت الويْلُ ما أرى قلتُ عيناكِ والرَّدَى

فقد تطرّقَ إلى ما قاله الدكتور الحازمي الكثيرون من الشعراء ، ولا داعي لأنْ يتمحَّل الأستاذ عابد خزندار لنفسه تفسيراً لم يقصده الشاعر .

وأخيراً ليت حبيبنا الدكتور منصور الحازمي ، لم يتطرقْ في مقالته المنشورة في جريدة الرياض الغراء ، الصادرة في يوم الخميس الموافق ٢٢ / ١٢ / ١٤١٩ هـ ، إلى قصيدة الدكتور الفاضل أحمد عثمان التويجري ، ومقالته لا تتسِقُ لذكرها ، وليس لها من الضرورة مكان .. والدكتور التويجري بمنْأى عن هذا الموضوع ، وما قرأته من قوارص الكلام في مقالة حبيبنا الأستاذ الفاضل الدكتور منصور الحازمي ، لم أحمده من أستاذ قدير ، وعلَمٍ من أعلام الأدب ، وكاتبٍ له وزْنُه وقدْرُه ..

وبعد : ـ فهذه مقالة جلوْتُ بها ما ران ، أملاها عليَّ صدْقُ القولِ الذي لا يداخِلُه هوىً ، والإنصاف لما وقَع منْ خلافٍ ، بين صديقين عزيزين ، لا يخالط فيما كتبتُ غَرَضٌ أو تحيّزٌ ، ساعياً إنْ شاء الله إلى عِرْفان الحقِّ ، مطّرحاً ما يجلب اللّجاج .



سعدت كل السعادة بحضور ليلة قمراء من ليالي الطائف المأنوس ، ليلة يقول عنها ذو الرمة : ـ

قَدْ بَهَرتْ (1) ما اخْتَفتْ يوماً على أحَدٍ

إلاَّ على أكْمَهٍ لا يعرِفُ القَمَرا

وكان علَم (بفتح العين واللام) هذه الليلة الشاب الظريفَ المتحدث المتمكن من أدب الحديث ، الجامع بين الإعلام والصحة

---

(1) بَهرَ القمر : أضاء القمر وغلب ضوءُه ضوء الكواكب ، والبيت من البحر البسيط ونقطّع (قدْ بَهرَتْ) ، فتكون الجملة (٥١١١٥١) (مُفْتَعَلُنْ) ، فنجد النغم مضطرباً لمكان الطيّ في هذه الجملة من البيت ، والطيّ أخف من الخبْل في البحر البسيط ، يقول أبو العلاء المعري :

لَيْس حالُ المخبول فيما يُلاقي ... مثْلَ حالِ المطْويِّ والمخْبونِ

وهكذا حفظى للبيت مطوياً ، وقد راجعت ديوان ذي الرمّة ، بتحقيق الأستاذ الدكتور عبد القدوس أبو صالح ، الجزء الثاني ، ص ١١٦٣ ، فوجدت روايته :ـ (حتى بهَرْتَ فما تخفى على أحدٍ) ، فيكون بهذه الرواية ، سالماً من الطيّ . . .

النفسية ، الابن الحبيب الدكتور الأستاذ عدنان المهنا ، هذا الشاب الذي أتوقع له مستقبلاً كبيراً في عالم الصحافة والإعلام والإذاعة المسموعة والمرئية ، بما يتمتع به من قدرات عجيبة ، تجعله يسيطر على الحفل مهما كبر هذا الحفل .. ..

رأيته يدير برنامج الأمسية بروح عالية ، وخلق دمث ، وابتسامة جذابة ، فيضفي على الحفل شيئاً من الطرفة والملاحة ، ويرسل روحه على سجيتها ، ويخاطب الحاضرين بهذه الروح الشفّافة ، فيميل إليه الحاضرون ، وكلهم آذان مصغية [1] ...

وفي هذه الليلة أهْدَى إليَّ الابن الحبيب الدكتور عدنان المهنا كتابه (الورقاء ضمت المفكرين والأدباء) ، وهو كتاب احتوى ما حدث في ليلة تكريم الأستاذ الدكتور يوسف عز الدين .

وقد تطرَّز هذا الكتاب بحواشٍ ذهبية ، خطهّا يراع الشاب عدنان المهنا .

---

[1] أذن مُصْغِية : تُحسنُ الاستماع إلى من يخاطبها ، على القياس ، لأنّ فعلها (أصْغَى) ، وأذن صاغية : على السماع ، وقد ورد نظيرها في قولهم : عيشة راضية ، وصاغية الرجل : خاصّته الميّالون لاتباعه . .

ولقد تصفحت الكتاب ، وسرّني ما جاء فيه من مدح وثناء ، على رجل هو الدكتور يوسف عز الدين ، القمين بكل تقدير وتكريم ، ولقد بذل الدكتور عدنان المهنا كما يقول الأستاذ الدكتور شوقي ضيف في المقدمة :ـ ((جهداً واضحاً في تصنيف الكتاب ، وعرض فصوله بأسلوبه الأدبي السائغ ، وقد أودع فيه كثيراً من الحقائق عن شخصية الدكتور يوسف عز الدين ، وهو شخصية موسوعية أدبية فذة ، فهو شاعر ، وقصاص ، ولغوي ، وناقد ، ومؤرخ للأدب ، ومفكر عربي أصيل ، وهو خليق بكل تجلّة وتقدير)) وحيث أنّي رجل سيء الحظ حينما أقرأ بعض الكتب ، أجد أمام ناظريَّ ما يكدّر خاطري ، ويسيء إلى نفسي ، هذه النفس التي تقحمني في خوض الصعاب ، وخرط شوك القتاد ، في زمن السكوت فيه خير ، وغض النظر عمّا تخطه الأقلام ، ضرورة تمليها المجاملات .

ولقد قال أبو العلاء المعرّي : ـ

رأيتُ سكوتي متْجراً فلزمتُهُ ... إذا لم يُفدْ رِبْحاً فلسْتُ بخاسرِ

غير أني رأيت الآفات التي لحقت بالشعر العربي ، في عصرنا الحَاضر قد كثرت ، ولا سبيل إلى التفصّي [1] ـ بالتاء المثناة المفتوحة

[1] تفصّى : من الشئ وعنه : تخلّص منه ، وتفصّى الشئَ : استقصاه . .

والفاء المفتوحة والصاد المشددة ـ منها ، إلاّ بالتصدي لها ، حتى ظننت أنّ أبا الصلْت أمية بن عبد العزيز ، قد أشار إليَّ بقوله : ـ

وكان لي سَبَبٌ قد كنتُ أحْسَبُني

أحْظَى به فإذا دائي مــن السـببِ

فما مقلّمُ أظْفاري سوَى قَلَمـي

ولا كتائِبُ أعْـدائي سِـوى كُتُبـي

تصفحت كتاب ((الورقاء ضمّت المَفكرين والأدباء)) ، وشُدهْتُ بما قرأتُه ، ووقفْتُ عند بعض القصائد والأبيات التي لم ينل أصحابها التوفيق ، والسداد ، في كتابتها ... وليت المؤلف عرض مادته الشعرية على أديب متخصّص في العروض ، قبل طبعها ، حتى يرى فيها رأيه ، ويريحنا من هذا البلاءَ ، الذي قال فيه ابن الرومي : ـ

إنَّ البلاءَ يُطاق غير مضاعَفٍ   فإذا تَضاعَفَ كان غيرَ مُطاقِ

لقد اقتحمَتْ عيني قصيدة لأخي الدكتور عبد الله عبد الكريم العبَّادى التي أسماها (حولية المصيف) ، ووقفت عند بعض كلماتها : (زاهمات الرعود) ، و (الفريد العدود) ، و(ضيفة ومدود) و (دفوة وبرود) ، وهي كلمات دفعته إليها القافية ،

وبإمكانه أن يبحث عن قوافٍ تليق بقصيدته ، لأن هذه الكلمات خليقة أنْ تلحق بالقصيدة النبطية الشعبية .

وأما قصيدة الشاعر الدكتور نوري حمّودي القيسي ، وعنوانها : ـ (وكريم تذكر الأوفياء) ، القصيدة الهمْزية التي جاءت من وزن (الخفيف) ، والخفيف يستسهله الشعراء الناشئون ، بيد أنهم لا يحسنون النظم فيه ، والدكتور نوري ليس بالشاعر الناشئ كما يبدو ، فهو الأمين العام للمجمع العلمي العراقي ، وعميد كلية الآداب بجامعة بغداد ، ومع ذلك فقد تطرّق الكسر إلى أبيات من قصيدته ، يقول القيسي : ـ

يا أخا الوّد قد قرأنا القصيدَ دُموعاً على شفاه الإباءِ

والبيت مكسور ، ولعله هكذا : ـ

يا أخا الودِّ قد قرأنا قصيداً جاءَ دمعاً على شفاهِ الإباءِ

ويقول القيسي : ـ

واستوى الحزْنُ والأسى حين ضاقَتْ بكل ورد خَواء

والبيت مكسور ، قد سقطت منه كلمات ، ولم أفهمه حتى أضبط وزنه .. ..

ويقول القيسي : ـ

والزمان يا أخا الودّ رهْــنٌ وعلى السادرين ذنْبُ الــوَلاءِ

والبيت يستقيم بزيادة حرف على (يا) النداء ، فتكتب (أيا) .

ويقول القيسي : -

قد نظمْتُ الحنينَ شعْراً خفيفاً وصدَى الأحزانِ بعضُ الغِناءِ

ولعله هكذا : -

قد نظمْتُ الحنينَ شــعْراً خفيفــاً

وصدى الحزْنِ قد أتَى من غنائي

لأن الشطر الثاني من البيت مكسور .. وأما الشطر الثاني ، من البيت الثالث ، من قصيدة الدكتور القيسي ، وهو : - (عجزت عن نظرة البصراء) فهو مكسور أيضاً ، ولعله هكذا : - (ضقْتُ ذرْعاً منْ نظرة البصُراءِ) .

وأمّا القصيدة الثانية ، للشاعر نوري القيسي ، فهي القصيدة التائية التي جاءت من البحر السريع ، والمنشورة في الصفحة (١٦١) من الكتاب ، وهي قصيدة بديعة ، غير أن الكسر قد تطرّق إلى بعض أبياتها ، والقصيدة من البحر السريع ذي العروض المطْويّة المكشوفة (فاعلنْ) ، والضرْب المطويّ المكشوف (فاعلنْ) .

يقول القيسي :-

عزّتْ فكانت في الرؤى شقْوتي   أرْوي بقايا وَجْدِي دمْعتي

فالشطر الثاني من البيت مكسور ، ولعله هكذا : -

عزّتْ فكانت في الرؤى شقْوتي   أرْوي بقايا الوَجْدِ بالدمْعةِ

ويقول القيسي : -

حتى اشتاقتْ من نداه الفَلا   وارْتعبتْ مر عوبة الصحْوةِ

فالشطر الأولِ من البيت مكسور ، ويستقيم لو قال القيسي :- (حتّى إذا اشتاقتْ نداه الفَلا) ، ويقول القيسي : -

رضعنا حُبّاً في طالها   إثْمٌ ولا نَامتْ على ذِلّةِ

وإنّي لم أفهم الشطر الأول من البيت الذي لحقه الكسر ، حتى أستطيع أنْ أصححه .

وأمّا بيت القيسي : -

شاءَ بها اللهُ وما قدّر   اللهُ لنا يا يوسفَ العِزَّةِ

فلا ترتاحُ له أذن السامع ، ولكنه بيت صحيح الوزن ، قد دخل الطيُّ :- ثلاث تفْعيلاتٍ من حشوه :- التفعيلتين الأولى والثانية من الشطر الأول ، والتفعيلة الأولى من الشطر الثاني ، وهذا لا يأتي إلاّ قليلاً في البحر السريع ، من شعر العرب .. وقد استشهد

علماء العَروض ببيت من الشعر للحطيئة ، دخل الطّي أربع تفعيلات منه ، وهو : ـ

قال لها وهْـو بهـا عـالِمٌ ويْحَـكِ أمْثـالُ طريـفٍ قليـلْ

وتقطيعه هكذا : ـ

مفْتعلنْ / مفْتعلنْ / فاعِلنْ مفْتعلنْ / مفْتعلنْ / فاعلانْ

مطْوي / مطوي / مكشوفة مطوي / مطوي / مطوي موقوف

ونقطع بيت القيسي هكذا : ـ

شاء بهـا الله ومـا قـدّر الله لنـا يـا يوسـفَ العـزَّةِ

مفْتعلنْ / مفْتعلنْ / فاعلنْ مفْتعلن / مستفْعلنْ / فاعلنْ

مطوي / مطوي / مكشوفة مطوي / سالم / مطوي مكشوف

ثم نأتي إلى قصيدة الأخ الحبيب الدكتور جريدي المنصوري ، وهي قصيدة طريفة كعنوانها (العز يجلس في كتاب) ، وقد جاءت من (مجزوء الكامل) ، إلاّ أنّ الكسر قد لحق ببيتين منها ، وهما : ـ

وبعثتُ العاملَ الهنديَّ قلتُ أيا شهابْ

دكتورُ يوسفُ عزّ الدينِ تعرِفُ هيّا دُقَّ بـابْ

ويستقيم هذان البيتان ، لو قال حبيبنا الدكتور جريدي : ـ

دكتـــورُ يوسُـــفُ أيْنَـــهُ   هيّـــا أجبْنـــا يـــا شِـــهابْ
قمْ أيُّهـــا الهنـــديُّ واقْـــ   رَعْ بابَـــه ولـــك الثـــوابْ

ويقطّع البيتان هكذا : ـ

دكتـــورُ يوســـفُ أيْنَـــهُ   هيَّـــا أجِبْنـــا يـــا شـــهابْ

متْفاعلنْ / متَفاعلنْ ـــــ متْفاعلنْ / متْفاعلاَنْ

قمْ أيهّـــا الهنـــديُّ واقْـــ   ـــرَعْ بابَـــه ولـــك الثـــوابْ

متْفاعلنْ / متْفاعلنْ ـــــ متْفاعلنْ / متَفاعلانْ

وقصيدة الدكتور جريدي ، من مجزوء الكامل ، العروض صحيحة ، والضرب مذيّل .

وأرجُو من الدكتور جريدي ألاَّ يغضب عليَّ ، ويثير أمامي الزوابع ، كما أثارها حينما انتقدت قصيدة له من (المتدارك) ، نشرها في جريدة الندوة ، في العدد ١٠٧٥٦ ، الصادر في يوم الأحد ١٣ ذي القعدة ، من عام ١٤١٤ هـ ، وما عرفت الدكتور جريدي المنصوري إلاّ ساعياً إلى عرفان الحق ، وحصول الصواب ، مطرحاً ما يسمج بالتعصب ، ويجلب اللجاج ، حرْصاً منه على إظهار الحق ، ومعرفة المقصود ، لنيل الهدف المنشود .

لقدْ أسماني الدكتور جريدي (عفا الله عنه) حينذاك في رده عليَّ (بشيخ النقاقيد) ، وأَنا لستُ شيخاً للنقّاد أو النقدة ، ولا أعرف جمعاً غيرهما ، وقد تلقيتُ ما تعلمته عن مشايخي (رحمهم الله) ، في الحرم المكي قبل خمسين عاماً ، وأؤكد له بأني لست شيخاً للنقّاد ، وقد سجلتُ ذلك رسمياً في قصيدتي ، التي حييتُ بها الأستاذين عالي سرحان القرشي ، وعثمان محمود الصيني ، في حفل تكريم النادي لهما ، لنيلهما شهادة (الدكتوراه) ، وذلك في مساء يوم الأربعاء الموافق ١٢ / ٨ / ١٤١٠ هـ ، وقد نصّت القصيدة على أنّي شيخ يَفَنٌ [١] ، أضعْتُ شبابي في نفْخ الهواءِ ، فقلت : -

ليتَ الزمانَ يعودُ بي خمْسينَ عاماً للوراءِ
لعدَوْتُ في الميْدانِ مثلَكما وحُزْتُ على الثناءِ
لكنَّني (يَفَنٌ) أَضعْتُ صِبايَ أنفُخُ في الهَواءِ
إنّي بكيْتُ على الصِّبا حتَّى شَرقْتُ من البُكاءِ
وأثَرْتُما فيَّ الأسىٰ في كلّ صُبْحٍ أوْ مسَاءِ
لكنّني وأنا المعلّمُ قدْ عَقدْتُ عُرىٰ الرجاءِ

[١] اليَفَنُ : الشيخ الكبير ، ج : يُفْنٌ .. .

فــي كــلّ فتيْــانِ الــبلادِ رِجــالِهِمْ وهُمــو عَزائِــي

همَــمُ الشــبابِ وإنّهــا قــدْ طاولــتْ أَوْجَ الفَضَــاءِ

فأنا أيها الحبيب رجل بسيط ، طلبت العلم علَى أنوار المصابيح التي توقد (بالغاز) ، كما كنا نسميه في زماننا ، وكنّا لا ننظر إلى المشيخة ، ولا إلى العمادة ، وقد صرَّحْتُ في قصيدتي بأني شيخ (يَفَنٌ) ، أيْ طاعنٌ في السنّ ، قد أضعْتُ شبابي في نفْخ الهواءِ ..

وأهمس في أذن الحبيب الدكتور جريدي المنصوري ، بأننا كنَّا شُبَّاناً مثله ، غير أننا لا نتجَّرأ أن نقول أمام مشايخنا الفضلاء شعْراً مثل قوله : ـ

وبعثتُ العاملَ الهنديَّ قلتُ أيا شهابْ

دكتورُ يوسفُ عزّ الدين تعرِفُ هيَّا دُقَّ بابْ

لو قلناه ، لدقَّ مشايخُنا رقابنا ، لأن البيتين قد خَلَوا من الشعر ، وزْناً ومعنًى ، وليت حبيبنا الدكتور ، لا ينظم من الشعر ، إلاّ ما علم كيف أصْلُه ومتصرفُه ، ولا يكتب بيده الكريمةِ ، إلاَّ ما قتله علماً وفهماً ، ويرمي حرف الدال وراء ظهره ، ويطلب العلم

الصحيح بطريقتنا العتيقة ، طريقة المشايخ الفضلاء ، ومعلمي الكتاتيب الذين قتلوا الغرور فينا ، بعلمهم الصحيح .

والشيء بالشيء يذكر ، فإني لا زلتُ أطلب من الدكتور أن يذكر لنا قصيدة وردتْ في الشعر العربي من البحر المتدارك ، على وزن قصيدته (العجيبة) ، التي نشرها في جريدة الندوة منذ أربع سنوات .

وأتصفح كتاب (الورقاء ضمت المفكرين والأدباء) ، صفحة صفحة ، فأجد أخطاء تكاثرت على ابننا الفاضل الدكتور عدنان المهنا ، أخطاء لا أدري ما أسبابها ، وما أكثرها ، وقد عشي النظر بها .

إلى أن أصل إلى الصفحة (١٨٤) من الكتاب ، فأجد مشاعرة [1] بين الدكتور (يوسف عز الدين) ، والدكتور (عبد الله عبد الكريم العبَّادي) ، وهي مشاعرة لم يأت بمثلها الشعراء القدامى أو المعاصرون ، لأن الشعراء فيما نعلم ، يلتزمون وزْنَ القصيدة إذا تشاعروا .

يقول مؤلف :ـ (الورقاء ضمت المفكرين والأدباء) : دخل الدكتور (يوسف عز الدين) ، على الدكتور (عبدالله العبَّادي) ، فوجده

---

[1] تسمَّى :ـ المشاعرة والمساجلة والتمليط . .

غارقاً في الأوراق والملفات ، فقال له : ـ (صُبّحتَ بالخيرِ حبيبي) ، فانتبه الدكتور (عبد الله العبَّادي) .

فقال له (يوسف عز الدين) : أجز ، فقال له العبَّادي :ـ (في كل يومٍ وفي كل حالٍ)

ثم رجا الدكتور يوسف عز الدين أن يجلس بجواره .

فقال له : ـ (وَعشتَ في غبْطةٍ وطيبٍ) .

فرد عليه الدكتور العبَّادي : (يحدو بك الخيرُ والكمالُ) ، فتذكر الدكَتور (يوسف عز الدين) بأنه في أول السنة الهجرية الجديدة ، فقال له : (وعامنا في سيره الخصيبِ) ، فأجازه الدكتور عبد الله العبَّادي بقوله : (يعود بالنُّعمى وطيب المآلْ) .. . ونصوغ هذه المشاعرة التي دارت بين الدكتورين ، مرةً أخرى ، على النحو التالي : ـ

١) ـ صُبّحتَ بالخيرِ حبيبي   في كلّ يومٍ وفي كلِّ حالِ

٢) ـ وعشْتَ في غبْطةٍ وطيبِ   يحدو بك الخيرُ والكمالُ

٣) ـ والعامُ في سيْره الخصيبِ   يعودُ بالنُّعْمى وطيبِ المآلْ

فنجد أنّ الأبيات ذات قوافٍ مختلفة ، جاءت القافية الأولى مكسورة ، والثانية مضمومة ، والثالثة ساكنة .

كما نجد أنّ الكسر قد طرأ على أبيات منها ، وتستقيم هذه المشاعرة إذا جاءت هكذا :ـ

١) ـ صُبّحتَ بالخيرِ يا حبيبي　　في كلّ يـومٍ وكـلّ حـالِ

٢) ـ وعشتَ في غِبْطة وطيبِ　　يحْدُو بـك الخيـرُ للكمـالِ

٣) ـ والعامُ في سيره الخصيبِ　　بحيثُ أنـتمْ مـنَ المعـالي

وقد أجرْيتُ بعض التصرف ، حتى تأتي الأبيات الثلاثة من وزن واحد ، هو (مخلّع البسيط) الذي وزنه : -

مسْتفْعلنْ / فاعلنْ / فَعولنْ ـــ مستفْعلنْ / فاعلنْ / فعولنْ

ولم أجْرِ هذا التعديل إلاّ بعد أنْ نظرتُ إلى الأبيات الثلاثة ، التي جاءت في الكتاب ، فوجدت أنّ الشطر الأول من البيت الأول (صُبّحتَ بالخير حبيبي) ، لاوزن له ، وكذلك الشطر الثاني (في كلّ يومٍ وفي كلّ حالِ) ، لاوزن له أيضاً ، ووجدتُ أنّ ثلاثة أشطر من الأبياتً الثلاثة ، وهي :(وعشتَ في غبْطةٍ وطيبِ) ، و (يحدو بك الخير والكمالُ) ، (والعام في سيره الخصيبِ) ، بتغيير عامنا إلى (العام) .. هي من بحر (مخلّع البسيط) ، الذي غلب على الأبيات الثلاثة .

وقد جاءنا الدكتوران (يوسف عز الدين والعبَّادي) بلون من المشاعرة ، لم نعهده في شعر الشعراء الذي نقلته إلينا أمّهات كتب الأدب .

ونعود إلى أبيات الشاعرين الدكتورين (يوسف عز الدين والعبَّادي) ، ونقرأ هذا الشطر (يعود بالنّعْمى وطيب المآلْ) بسكون القافية اللامية ، فنجده من البحر السريع ، ووزنه (مفاعلنْ مسْتفعلنْ فاعلاتْ) بسكون تاء التفعيلة الأخيرة ، وقد دخل الخبن التفعيلة الأولى ، فصارت (مسْتفْعلنْ) .. (مفاعلنْ) أو (متَفْعلنْ) ، وجاء الضرب : ـ مطْويّاً موْقوفاً (فاعلاتْ) بسكون التاء .

ونقرأ الشطر الأول من البيت الثاني : (وعشْتَ في غبْطةٍ وطيبِ) ، فنجده من بحر (مخلّع البسيط) ، وكذلك الشطر الثاني من البيت الثاني : ـ (يحْدُو بك الخيرُ والكمالُ) ، إذا كانت القافية اللامية مضمومةً ، فهو من (مخلّع البسيط) ، هذا البحر الذي استحسنه شعراء العصر العبّاسي ، ومن جاء بعدهم ، فأكثروا من النظم فيه .

ولا أدري كيف سمح الدكتور (يوسف عز الدين) لهذه الأبيات الهزيلة أنْ ترى النور ، وهو منْ هو في علمه وأدبه ، حتى

قرأتها منشورة في جريدة (الشرق الأوسط) ، بقلم الكاتب العراقي المعروف (خالد القشطيني) ، نشرها لما للدكتور يوسف عز الدين من مكانة أدبية مرموقة ، ولم يدر القشطيني ـ عفا الله عنه ـ أنّ مثل هذه الإخوانيات لايجب نشرها ، لأنها قيلت دُونَ تأنّ ورويّة ، وفي نشرها إساءة إلى أصحابها .

ونسوق للقراء مشاعرة ، دارتْ بين حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، وبين ابنته ، وكانت شاعرة .. قال حسان وقد أرق ذات ليلة ، فعنَّ له الشعر ، فقال : ـ

متاريكُ أذْناب الأمور إذا اعْترتْ
أَخذْنا الفُروعَ واجْتَثَثْنا أُصُولَها

ثم أجْبلَ (أيْ انقْطعَ) فلم يجد شيئاً ، فقالت له بنته .. كأنك قد أجْبلتَ يا أبَهْ . فقال : أجلْ . قالت : فهل لك أنْ أُجيزَ عنك ؟ قال وهل عندك ذلك ؟ قالتْ نعم ، قال : فافعلي . فقالت : ـ

مقاويلُ بالمعروفِ خُرْسٌ عن الخنا
كِرامٌ يعُاطُونَ العشيرةَ سُولَها

فحمي الشيخ فقال :ـ

وقافيةٍ مثْل السنانِ رُزِئْتُهــا   تناولْتُ من جوّ السماءِ نُزولَها

فقالت : ـ

يَراها الذي لا يُنْطَقُ الشعْرُ عنْدهُ   ويَعْجزُ عن أمثالِها أنْ يقولَها

فقال حسان : ـ لا أقول بيت شعْر وأنت حيَّة .

قالتْ : أو أؤمّنك ؟ قال : ـ وتفعلين ، قالت نعم ، لا أقول بيت شعر ما دمْتَ حيّاً ..[1] .

وذكر صاحب كتاب (دولة النساء) قال : ـ رَوى الأصمعي فقال : ـ كان عَقيل[2] بن عُلّفة (بضم العين وتشديد اللام) ، ومعه ابنه العملّس ، وابنته الجرباء ، حتى إذا كانوا ببعض الطرق ، قال عَقيل : ـ

---

[1] الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ج ١ ص ٢٦٧ طبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر سنة ١٣٦٤هـ .

[2] يقول صاحب (تاج العروس) : إنّ (عَقيلاً) كلّه بفتح العين إلاّ الآتية أسماؤهم فبضمها : عُقيل بن كعب : جد بني عُقيل ، وعُقيل بن هلال من فزارة ، وعُقيل بن هلال من أشجع ، وعُقيل بن طفيل الكلابي ، وعُقيل بن خالد الأيلي ، وعُقيل بن صالح الكوفي ، وعُقيل بن إبراهيم بن خالد بن عُقيل . . ومثلهم بالضم أيضاً : يحيى بن عُقيل المصري ، ومحمد بن عُقيل الغريابي ، وحسين بن عُقيل ، روى التفسير عن الضحّاك ، واختلفوا في إسحاق بن عُقيل ، شيخ الباغندي ، فقيل بالفتح وقيل بالضم ، قال الزركلي في كتابه (الأعلام) الجزء الخامس ، ص٣٩ : وإنما ذكرت هذه الأسماء ، وفي أصحابها من لا تراجم لهم هنا ، ليرجع إليها من يعرض له ذكر أحدها ، فلا يخطئ في ضبطه .

قَضَتْ وطَراً من ديْرِ سعْدٍ وربَّما

عَلاَ عُرُضٌ ناطَحْنَـــهُ بالجَمـــاجِمِ

ثم أقبل على ابنه فقال : أجزْ يا عملّس .. فقال عملّس : ـ

فأصبَحْنَ بالموماةِ يحمِلْـنَ فتْيــةً

نَشاوىٰ من الإدلاجِ مِيــلَ العمــائِمِ

ثم أقْبل على ابنته ، فقال أجيزي يا جرباء فقالت : ـ

كأنّ الكرىٰ [1] أســقاهُمو صَـــرْخَديّةً[2]

عُقاراً تَمشّتْ في المَطَــا [3] والقــوائِمِ

فأقبل على ابنته يضربها ويقول : والله ما وصفْتِها بهذه الصفة حتى شربْتِها ، فوثب إخوتها ، فحالوا بينه وبينَها .

وكان عقيل بن عُلّفة ، كما قال المبرّد في كتابه (الكامل) :ـ من الغيْرة والأنفة ، على ما ليس عليه أحد علمْناهُ .

ومن أراد أنْ يقرأ شعْراً جيداً في المشاعرة بين الشعراء ، فلْيقرأْ مادار بين أبي العلاء المعرّي ، والجُبّلي (بضم الجيم والباء الموحدة المشدّدة) ، وفيه قال أبو العلاء المعرّي قصيدته الرائعة التي أولها :ـ

غَيرُ مُجْدٍ في ملّتــي واعْتقــادي نَــوْحُ بــاكٍ ولا تــرنّمُ شــادي

[1] الكرى : النُعاس . [2] الصرخَديَّة : الخمر . [3] المطا : الظهر .

وأخيراً ، فإنّ كلَّ ما أنادي به وأطلبه ، أن من يكتب شعراً عمودياً أو حراً ، ذا تفعيلة معروفة ، فُرضتْ عليه الأصول والقواعد ، من عَروض ، ونحْو ، ولغة ، وصرف ، وعليه ألا ينتهك حُرمة هذه القواعد ؛ لأنَّ الضرورة السائغة للشعراء ، لا تعطيه الحق في انتهاك هذه الحرمة ، ولم يُجِزْ أحد من علمائنا الأوائل هذا الانتهاك .

وإني لأعْلم أنّ أبا تمام رحمه الله قد قال : ـ

ألا إنّ نفْسَ الشعْر ماتَتْ وإنْ يكـنْ

عَداها حِمامُ الموْتِ فهْيَ تَنازَعُ

قال ذلك أبو تمام من مئات السنين ، والشعْر شعْرٌ ، والشعراء لاَ يقولون إلاّ الشعر الجيد ، الذي يشنف الآذان ، ويأخذ بمجامع القلوب ، ثم جاء هذا الزمان الذي ابتلانا ببعض شعرائه ، ورأيْناهم يفرضون شعْرهم المحصْرمَ على السامعين بلا حياء ، ويتيهون عليهم بهُرائهم ، ويرددون قول الشاعر المغرور : ـ

أتيهُ على جنِّ البلادِ وإنْسها

ولو لم أجِدْ خلْقاً لتِهْتُ على نفْسي

أتيهُ فما أدْري من التيهِ منْ أنـــا

سوَى ماَ يقول الناسُ فيَّ وفي جنْسي

فإذا انتقدناهم ، رَمَوناَ بعُجَرهمْ وبُجَرِهمْ .



يدعوني إلى الكتابة تحت هذا العنوان : (ما هكذا يُكتب الشعر) ، ما أقرؤه يومياً من جرأة على قول الشعر ، هذا الفن الخالد ، الذي استباح حرمته كل قِرْزام متشاعر .. . .

يقول الزهاوي (رحمه الله) : ـ

لقد قرضَ الشعْرَ الكثيرون في الورَى

وأكثرُهُ ما فيه رُوحٌ ولا فكْرُ

إذا الشعرُ لم يهزُزْكَ عند استماعِه

فليْس خليقاً أنْ يقالَ له شعْرُ

ويُروَى البيت هكذا : ـ

إذا الشعرُ لم يهزُزْكَ عند سماعِه

فليْس خليقاً أنْ يقالَ له شعْرُ

وسماعه بدلاً من استماعه ، والكلمتان بمعنى واحد ، إلاّ أنّ (استماعَه) ، تجنبنا زحاف القبض من أن يدخل (فعولنْ) ، فتصير (فعولُ) في حشو البيت ، والقبض في حشْو البحر الطويل ، أجاز علماء العروض مجيئَهُ كثيراً في شعر الشعراء ، قديماً وحديثاً ، وقد ذكرت ذلك لأخي الحبيب الشاعر سعد الحميدين ، عندما أراد أن يتأكد من روايتي لهذا البيت ..

قال الزهاوي هذين البيتين ، وهو ينظر إلى شعر بعض معاصريه ، من الشعراء الذين خلا شعرهم من عذوبة اللفظ ، وجزالة المعني ، وحلاوة العبارة ، حتى أتوْا به في أقبح صورة ، وأسوأ تركيب ، ولم يتخلوْا عمّا يشينه من سفاسف الكلم ، وسُخْف اللفظ ، والمعني الغث .

ولم يخطرْ على بال شاعرنا الزهاوي ، أن يأتي شعراء لا يلتزمون إذا قالوا شعراً نظامَ الشعر ، وقواعده وأصوله ، من وزن ، و جرْس ، وإيقاع ، وتفاعيل ، لأنَّهمْ عدّوها قيداً يشل حركتهم ، ويحد من حريتهم في إرسال الكلام على عواهنه ، فأخفقوا في بناء قصيدة عربية صحيحة ، وجاءوا بشعر مهْزول ، ليس بمؤلّف البناء ، هشَّاً متهدِّماً .. وإذا رأينا إخْوة لنا يحملون أعلى الشهادات العلمية في اللغة العربية

وعلومها ، يكتبون الشعر ولم يلتزموا وزْنَهُ وتفاعيله ، تساءلنا : ـ هل البحور الخليلية ، والتفاعيل الشعرية ، التي جاءت عن الشعراء العرب ، أصبحت طلاسم وأحاجي ؟ فإذا كان الأمر كذلك ، قلنا لهم كما قال إمام العربية ابن فارس حيث قال : ـ ((ومن اضطرّكم أنْ تقولوا شعْراً ، لا يستقيم إلاّ بإعمال الخطأ ؟ ونحن لم نر ولم نسمع بشاعر اضطره سلطان ، أو ذو سطوة ، بسوط أو بسيف ، أن يقول في شعره ما لا يجوز)).. وممن تجرّأ على قول الشعر ، الابنة الكاتبة (سلطانة العبد الله) التي عرفتها كاتبة قصة ، ولكنَّ طوفان الشعر غمرها مع مَنْ غمر من المتشاعرين ، فأغراها بالدخول إلى ساحة الشعر التي دخلها قبلها كل مغمور ونكرة ، حتى أصبح نظم القصيدة ، أسهل من نظم الخرز الرديء ، في السلك الصدئ ، والدخلاء على الساحة الشعرية كثيرون ، والدخيلات قليلات .

فَلِمَ لا تجرّبُ حظها في زمن غاب فيه الحس ، والذوق ، والشعور ، وعَدا على حُرمة الشعر كل متطفل ، يريد أن يعرف حظه في هذا المضمار ، وتجرأت وقالت قصيدة عن الطائف ، وهذا من حقها ، ولكني لا أعرف سبباً يبرر [1] اختيار قصيدة الطائف المأنوس ، لتُؤطّرَ مطويّة بلدية محافظة الطائف ، التي طبعتها ووزعتها في الحفل ، الذي أقيم

---

[1] بَرَّرَ عمله :ـ زكّاه ، وذكر من الأسباب ما يُبيحهُ ، وهي كلمة محدثة ، أجازها مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ويقابلها بالفصحى :ـ سوَّغ .

على شرف معالي الدكتور محمد بن إبراهيم الجار الله ، وزير الشؤون البلديّة والقروية حينذاك ... والقصائد التي قيلت في الطائف كثيرات ، وقد جُمعتْ في كتاب طبعته لجنة التنشيط السياحي ، وهي قصائد حذّاء ـ بتشديد الذال المعجمة ـ ، ولعلّ في رجال البلدية من هو جدير باختيار قصيدة جيّدة من الكتاب ، تنشر فى المطوية التي قامت البلدية بطبعها ، في حفل افتتاح متنزه النسيم .

ابتدأت (سلطانة العبد الله) قصيدتها بقولها :ـ

يا طائفي المأنوس قلبي خفـــوقْ

وإليك روحي مـــا حييـــتُ تتـــوقْ

فسكّنت القافية ، وهذا من المطلق الذي لا يجوز تقييده ، وإنْ قالوا :ـ سكّنْ تسلمْ ، ولكنّ التسكين في هذه القصيدة يأتي في غير محله ، ويخل بوزن القصيدة ، ويكسر أبياتها ، ويجعلها قصيدة تشبه النبطيّة ، ويسلم وزن هذا البيت لو قالت : ـ

يا طائفي المأنوس قلبي خـــافقٌ

وإليك روحي مـــا حييـــتُ تتـــوقُ

وتضبط الكلمة الأخيرة من الشطر الأول (خافقٌ) بضمتين ، كما تضبط الكلمة الأخيرة من الشطر الثاني (تَتوقُ) بالضمة أيضاً .

وتأتي أبيات القصيدة كلها على هذا النمط ، أي من البحر الكامل الذي وزنه : ـ

متَفاعلنْ / متفَا علنْ / متَفاعلنْ   متَفا علنْ / متَفاعلنْ / متَفاعلْ

والأصل في (متَفاعلنْ) أن تكون التاءُ متحركةً ، غير أن زحاف الإضمار ، وهو تسكين هذه التاء من هذه التفعيلة يدخلها كثيراً ، وقد يدخلها الطيُّ ، وهو حذف الحرف الرابع الساكن ، فتصير (متَفاعلنْ) ، (مفْتَعِلُنْ) ، ولكنّ حدوثه في البحر الكامل نادر جداً ، وكل أبيات قصيدة (سلطانة العبد الله) يجب أن تكون عروضها صحيحةً (متفاعلنْ) ، وضروبها مقطوعة (متفاعلْ) بسكون اللام ، والضرب كما هو معروف : ـ التفعيلة الأخيرة من الشطر الثاني في البيت ، وتضبط هذه الكلمة بالضمة ، لا بالسكون في قصيدتها .

وقد جاءت قوافي بعض أبيات هذه القصيدة منصوبة ، كقافية هذا البيت : ـ

أدْمنْتُ حبّك حتى صـــار تــوهّجي

لـــورود خــــدّك حُمْــــرةً ورحيقـــا

إلاّ أنّ الروي (رحيقا) في هذا البيت ضبط مقيداً ، وجاء هكذا (رحيقْ) بالسكون ، فانكسر البيت .

والكلمة (رحيقاً) معطوفة على كلمة (حمرة) المنصوبة ، لوقوعها خبراً (لصار) ، والبيت على ما فيه من صورة جميلة ، إلاّ أن الشطر الأول منه قد كُسر أيضاً ، ولو قالت سلطانة : -

أدمنْتُ حبّكَ كيْ يصيرَ تــوهّجي

لـــورود خـــدّك حُمــــرةً ورحيقـــا

لاستقام وزن البيت ، على مافيه من إقواء ، وهو عيب من عيوب القافية ،يلازم هذا البيت حتى نتخلص منه ، بإعادة النظر فيه مرة أُخرى .... ومن أبيات القصيدة التي وقفْتُ عندها ، (وأنا أعلم أن سلطانة العبد الله ليست بشاعرة) ، و هذه الأبيات ، أثْبتتْ لي أنَّ تحت العباءة امرأةً ، ستكون شاعرةً في يوم ما ، إذا أرادتْ إدراك هذا الأمر وإنجازه ، وعرضت شعرها على أهل العلم والدراية ، ولم تستعجل نشره .

والأبيات التي وقفتُ عندها ، واسْترعتِ انتباهى ، هي : -

هو في فؤادي مقلةٌ وبصيرةٌ وعلى فمي أنشـودةٌ وبريـقُ

وقد وضعتُ (هو) ، وحذفتُ (له) ، فى أول شطر البيت ، حتى يكون هذا الشطر من البحر الكامل ، وليس من الطويل ، والكامل هو وزن القصيدة كلها ، [1]

ثم بعد هذا البيت تقول :-

هو طائف بين الجوانح والرؤى

وعلى الضفاف كواكـبٌ وبـروقُ

وإلى (الهدا) تهفو النفوسُ كأنهـا

طيرٌ تحلّـقُ والهـوَى موثـوقُ

بستانُ (جبْرةَ) أم حديقةُ فهْدِنا

أم قصر (شبرا) بالوصالِ خليـقُ

---

[1] لأن البيت جاء في قصيدتها هكذا : - (له في فؤادي مقلة وبصيرةٌ) ، فيكون وزنه من الطويل ، وأما إذا قالت الشاعرة : - (هو في فؤادي مقلةٌ وبصيرةٌ) ، فيكون من الكامل ، وهذا ما قمت بتعديله.

والقوافي في هذه الأبيات مطلقة مضمومة ، حسب موقعها من الإعراب ، ليكون ضربُها مقطوعاً (متفاعلْ) ، ولكنّها ضُبطتْ خطأً في المطوّية مقيدةً ساكنةً .

وفي القصيدة أبيات قوافيها مجرورة بالكسرة ، وأبيات جاءت قوافيها منصوبة ، وإن كان أكثر قوافي القصيدة مضمومة ، وهو الصحيح ، ليسلم وزن الشعر ، ولكن القصيدة شُوهتْ بتشكيلها بالسكون ، فقُيّدتْ القوافي بدون سبب ، ومردّ ذلك الجهل بعلم العروض ، هذا العلم الخالد ، الذي لو لم يكن فيه من المنفعة ، إلاّ الدخول في جملة أهل الفهم والدراية ، والخروج عن جملة الناس الذين لا يحسنون بجهلهم قراءة بيتٍ من الشعر ، بَلْهَ نظمه .

ومن الأخطاء النحوية التي وردت في بعض الأبيات قول (سلطانة) :ـ (أو لم يرى كيف الورود تفيقُ) ، و (أو لم يرى خضر الروابي عانقتْ) ، ولو قالت :ـ (أو لا يرى) لسلم قولها من اللحن ، وجاء بثبوت آخر الفعل المعتل (يرى) صحيحاً .

وأما إذا قالت : ـ (لم ير) ، فقد وجب حذف حرف العلة (الألف) ، فينكسر البيت ، وقد أُثبتتْ الألف المقصورة في

قصيدة سلطانة العبدالله اعتباطاً ، ولم يراع فيها أصول النحو وقواعده .[1]

وأخيراً غفر الله لمن نشر هذه القصيدة ، وأراها النور بأَمْتها واعوجاجها ، وتعست المجاملة التي تضر بأبنائنا ، وتسيء إلى سمعتنا العلمية والأدبية ، وحولنا من يحيط بنا ، من إخوان لنا ، يتصيدون أخطاءنا .

وإنى لعلى يقين من معرفة رئيس البلدية الحالي المهندس محمد عبد الرحمن المخرج ، بالأشعار المعيبة المسترذلة ، والمردودة المنفية ، ولوكان حاضراً حينذاك ، لنقدها ولم يبهرج منها ما يعيبها ، ولما أمر بإخراجها في مطويّة تُتلى على الناس .

وندع سلطانة وتجربتها في كتابة الشعر التي آمل أن تتكرر بلا مخالفة للمألوف في الشعر ، فما صح من الشعر فمقبول ، وما أبته العربية وقواعد الشعر فمردود على رغم أنف قائله .

---

(1) لا ألتفت إلى ما جاء شاذاً في بعض الشواهد ، كقول عبد يغوث بن صلاءة الحارثي :ـ من قصيدته المشهورة التي مطلعها : (ألا لا تلوماني كفى اللوم مابيا) ، يقول عَبد يغوث : ـ (وتضحك منّي شيخة عبشمية كأن لم ترى قبْلي أسيراً يمانيا) وكان الوجه أن يقول : ـ كأن لم تر ، بحذف الألف للجزم ، ولكن قالها على لغة من يجري المعتل مجرى الصحيح ، وهي لغة لا ألتفتُ إليها لأن ورودها قليل .

ونتجه بعد الشاعرة الناشئة ، إلى قصيدة للدكتور (حمود محمد الصميلي) ، المنشورة بعنوان (أنين الشعر) في ملحق جريدة المدينة المنورة في يوم الأربعاء ١ ربيع الأول من عام ١٤١٩ هـ .

يقول الدكتور الصميلي : -

تاه خطْوي وضيعتْني الدروبُ طوى الليلُ شرّتي والمغيبُ

ويستقيم الشطر الثاني - من - البيت بزيادة واو في أوله : -

وطوى الليل . . .

والشرّة بكسر الشين المعجمة والراء المشددة ، وهي حدّةُ الشباب ، وقصيدة الدكتور الصميلي من البحر الخفيف الذي عروضه صحيحة (فاعلاتنْ) ، وضربه صحيح (فاعلاتنْ) ، ثم يقول الدكتور الصميلي : -

أنكرتني مسارحي والمغاني وديارِي أعيش فيها غريبُ

والصواب أن يقول : (وديارِي أعيشُ فيها غريبا) ، لأن (غريباً) حال منصوبة بالفتحة الظاهرة ، وقد رفعها الدكتور بالضمة الظاهرة ، وليس من حقه أنْ يتمحّلَ لذلك تأويلاً ، وقد قال ابن فارس رحمه الله : - (وما الذي يمنع الشاعر إذا بنى خمسين بيتاً على

الصواب ، أن يتجنب ذلك البيت المعيب ، ولا يكون في تجنبه ذلك ما يوقع ذنباً أو يُزْري بمروءة) .

ويقول الدكتور الصميلي : -

كنتُ نهْراً موزّعاً في السـواقي
كان مـائي لكـل صـادٍ قريـبُ

وعلى الدكتور الصميلي أن يقول : (كان مائي لكل صادٍ قريبا) ، لأنّ قريباً خبر لكان ، وخبرها لا يأتي إلاّ منصوباً ، وقافية شاعرنا مرفوعة ، فِلمَ لا يأتي بها مرفوعة ، على الرغم من أنف سيبويه ونفطويه ، وكل نَحْويٍ ختم اسمه بكلمة (ويْه).

ولقد هجا الواسطي الأديب البغدادي ، - وكان خفيف الروح يقول الشعر ويودعه النكتة المستملحة - ، هجا الواسطي نفْطويْه ، بقوله : -

أحْرقَهُ اللهُ بنصْـفِ اسْـمِهِ   وصيّرَ الباقي صُـراخاً عليْـهْ

والنكتة في هذا البيت واضحة ، لا تحتاج إلى شرح ، وقد هجا الواسطي نفطويه ، لأنه تعرض لشعره بالنقد .

ثم يقول الدكتور الصميلي : -

وضيائي في كلِّ نـادٍ نـديماً   يفْتديهِ النُّهى وتحْيا القلـوبُ

والصواب أن يقول : (وضيائي في كل نادٍ نديمٌ) ، برفع (نديم) ، لأن نصبه لا وجه له من الإعراب ، ولا داعي لمخالفة المألوف من القواعد ، ويختتم الدكتور الصميلي قصيدته بهذا البيت المكسور : -

ما هَجوْتَ الزمانَ حاشا ولكنْ

ببنيه الزمان مخْطِئٌ ومُصيبُ

وله أن يقول (ليتجنب الكسر الذي جاء في الشطر الثاني) : -

ماهجوتُ الزمانَ قطُّ ولكنْ ببنيه الزمانُ يُخْطي يُصيبُ

وتأتي (قَطُّ) بدلاً من (حاشا) ، في موقعها الصحيح من البيت ، لأن العرب تقول : - (مافعلتُ هذا قطُّ) ، وهي ظرف زمان لاستغراق الماضي ، وتختص بالنفي .. وأما (حاشا) ، فلا تأتي إلاّ في قولك : - (نجح الطلاب حاشا زيد) بكسر زيد ، و (نجح الطلاب حاشا زيداً) ، و (قابلت الطلاب وحاشَيْتُ زيداً) ، أو (ولا أحاشي من الأقوْام من أحدٍ) ، و (حاشَ اللهِ وحاشا اللهِ وحاش للهِ وحاشا للهِ).

يقول الشاعر : -

(حاشا لدرَّةَ أنْ تُبْنى الخيامُ بها

وأنْ تروحَ عليها الإبلُ والشّاءُ)

من قصيدة أبي نواس الرائعة ، وأولها : ـ

(دعْ عنك لوْمي فإنّ اللوْمَ إغراءُ) التي يقول فيها : ـ

فقلْ لمنْ يدّعي في العلْم فلسـفةً

حفظْتَ شيئاً وغابَتْ عنْكَ أشْـياءُ

ونـدع الـدكتور المتخصص في اللغـة العربيـة ، الـذي أحـبَّ أنْ ينْضـويَ إلى جمْهـرة الشـعراء ، فضـلّ الصُـوى ، أعانـه الله علـى اجتيازها مّرةً أخْرى .

وأتجـه بعـد ذلـك إلى ديـوان شـعر مطبـوع ، باسـم (قصـائد مطْويّة) ، للدكتور حمد زيد الزيد ، وحمد الزيد يقول عنه الـديوان المذكور :ـ بأنه يكتب الشعر ، والقصة ، والمقالة ، وله خمسة كتب مطبوعـة ، منهـا مجموعتـه الشـعرية الأولى : ـ (حـروف علـى أفـق الأصيل) .. وقد أهْدَى إليَّ الأخ حمد الزيد من كتبه الخمسة ، هـذا الديوان (قصائد مطوية) .

قرأتُ الديوان ، وقرأت ما كتبه الأستاذ فاروق شوشة مقدّمةً للديوان ، ووقفتُ عند قوله : ـ (وإنّه لا يحتشد لتجاربه الشعرية ، بالقدر الذي تتطلبه ، من إعادة صياغة ، ودقة مراجعة مستأنية) ولا داعي لسرد بعض العبارات لفاروق شوشة ، التي أراد أن يبرّر [1] بها لما قاله ، صدْقاً في عبارته التى وضعْتُها بين حاصرتين ؛ لأَنَّ ما جاء فى الديوان يحتاج إلى إعادة نظر ، في الصياغة ، والتعابير ، والعروض ، والنحو ، واللغة .

وشعر حمد زيد الزيد في هذا الديوان ، شعر قال في مثله أحد الأدباء النقاد : ـ

(شعرٌ لاَيرِنُّ ولا يَطِنُّ ، أخْرسُ يتوكّأ على عَصَوْين ، ويتهادى بين اثنين)

والدكتور حمد الزيد ، في ديوانه هذا احتوى الشِعْر بنوعيه : ـ الشعْر العمودي ، وشعر التفعيلة ، وقد أخطأ في النوعين ، فلم يحسن الشعر العمودي ، كما لم يحسن شعر التفعيلة ، وأتى بالنوعيْن يتوكّآنِ على عَصويْن ، ويمشيان كسيحين بين اثْنين .. .

أخذتُ أفتش عن القصائد في الديوان ، لعلّي أجد فيها من النماذج الشعرية الحديثة أو القديمة ، التي تشجيك وتطربك وتهز

---

[1] تطرقت إلى صحة الفعل (يُبرّرُ) في الصفحة (٢٢٠) من الكتاب ، فلْتراجع الصفحة . . .

وجدانك ، ولكني خرجت بعد قراءتي ، خاليَ الوِفاض وكيف لا ؟ وأنا لم أقرأ لحمد الزيد إلاّ ألفاظاً وتعابيرَ جوفاءَ فارغَةً كالطبْل .

استمعْ إليه وهو يقول : ـ

يا ليلاً طال وروحي ليستْ في جسدي حيّةْ

فأنا أقْطنُ في جَبّانةْ / أندب فوق ضريحْ

ساكبٌ دمعي غسّله / آه لو تنبت صخرة ، لتحول غابات من حزْن كالحسكةْ / آه لو كنتُ حماراً لسعدتُ / لكني شاعرٌ إحْساسي يلهبني ؛ وسأبْقى دوْماً أو قِدُه / وانظر الديوان صفحة ١٤ـ ١٥ . فهذا ما يقوله حمد الزيد ، ويسميه شعراً ـ بارك الله فيه ـ ، ويسمي القصيدة (غُرْبة) ، وهي غربةٌ فعْلاً ، لأنها كلمات مبعثرة محصْرمة ، خالية من المعنى والجرس ، والإيقاع والتفعيلة .. ولعلّني لا أكون أخطأتُ ، وتجنيْتُ على الزيد ، فيتصدّى لي أحد المنظّرين ، الكبار ويقول :ـ متى تفهم ؟ ولنْ تفْهمَ ! إن هذا الشعرَ مُعَمَّى ، قد غرقت تعابيره في ضباب كثيف ، يجسّد الشاعر الأشياءَ ، ويُحِسُّ بروعتها ، ولا يبالي بك ، فَهِمْتَ أم لم تفَهم ..

وحمد الزيد ، قد أخفق كما أرى في شعر التفعيلة ، وفي الشعر العمودي أيضاً .

وأقرأ في الديوان قصيدة كنت أظنها من شعر التفعلية ، لوجود عبارات فيها تخضع لتفعيلة الرجَز (مستفْعلنْ / مستفْعلنْ) ، والرجز من أكثر بحور الشعر زحافاً واختصاراً ، ويدخل الرجز من الزحاف ثلاثة أنواع : ـ الخَبْن ، فتصير : ـ مستفْعلنْ : ـ متفْعلنْ ... ويدخله الطيُّ ، فتصير : ـ مستفْعلنْ : ـ مسْتعلنْ .. ويدخله الخَبْل ، فتصير مستفْعلنْ : ـ متَعلنْ .. والقصيدة هي (رسالة إلى رفاق النور) التي قرأتها من ألفها إلى يائها ، فوجدتها بعد قراءتي لها المتأنية ، لا تخضع لشعر التفعيلة .. يقول الزيد :ـ

حلّ الصباح هذا بل تقدّسا / يا رفقة النور المشع كمْ صلّتْ له روحي وأنفْدتْ أحْملها من الضراعة / لقد فُجِعتُ قبلكم يا صحبتي في والدي في أختي وفي حبيبتي .

ثم يقول الزيد مختتماً هذه القصيدة : ـ لن ينير الصفّة بغير هذي الشمس / لن تطّهروا مطْلقاً من الجهالة / ويضع حاشية على هذه القصيدة ، يقول فيها :ـ (تاريخ القصيدة عام ١٣٨٧ هـ ، ونُشِرَتْ بمجلة العرب في حينها ، وقدّم ـ لها علاّمة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر ، الذي أعجب بالقصيدة ، وقرّظها ونشرها في مجلته المرموقة ، رغم معارضته للشعر الحر .

وبهذه الحاشية ، يقرّر الزيد أن القصيدة من الشعر الحر ، ويثبت لنا أنَّهُ لا يعرف ماهو الشعر الحر (هداه الله) ، وأمَّا تقريظ الشيخ حمد الجاسر لهذه القصيدة ، والعهدة على الراوي ـ ، فمن التشجيع الذي يضر ، ولا ينفع الشباب ، فكل أديب كبير مثل حمد الجاسر ، يتأثر بعاطفته تجاه الشباب ، فيمدحهم ليدفعهم إلى التجويد والإتقان ، وقد فعل ذلك من قبله الأستاذ الأديب محمد حسن عواد (رحمه الله) .. فقال عن الشاعرة (ثريا قابل) : ـ (إن في شعرها نفحاتٍ وطنية لا توجد في شعر الشريف الرضي) . فمات شعر الثريَّا ، وبقي شعر الشريف الرضي خالداً حتى آخر الدهر .. . الشعر يا أخي حمد، ليس بفقاقيع صابون ، الشعر لحن نستريح له ، ونستطيب نغمه ، ويهزنا جرسه ، رضع العرب أفاويقه ، وتغذّوْا بلِبانِه ، ولن يشفع لقصيدتك ما قاله شيخنا حمد الجاسر (رحمه الله) تشجيعاً لك ، وأنت في شرخ الشباب ، ومتى عجز الشاعر أنْ يأتي ببديع المعاني والتعابير في شعره ، طلبنا منه أن يسكت ، فسكوته خير له وللقراء .

وكما أخفق حمد الزيد في شعر التفعيلة ، أخفق أيضاً في الشعر العمودي ، وأقرأ له قصيدة من الشعر العمودى .. يقول من قصيدته (دعْني) : ـ

ومازالتِ الكأسُ مترعةً بغيــر حُبــابْ
ومازال سامرُهمْ صاخِبٌ بكل الصــحابْ
فعجتُ عن السير كــيْلا يطــول الإيــابْ
وأبدْلتُ ربْعَ الهوى والشباب بربْع الكتابْ

فعلمتُ أنَّه يريد أن يقول شعراً من البْحر المتقارب ، فتكسّرتْ على يديه الأوزان ، واشتكتْ منه التفاعيلُ ، وما قاله من أبيات ، جاءت ناقصة التفاعيل ، لم يفطن لها ذهنه ، ولم يدركها طبعه ، وبشيء من التعديل نجريه على هذه الأبيات ، ليستقيم وزنها ، ويحسن رصفها ، ونستأذنه لنقول : ـ

فمـــا زالـــتِ الكـــأسُ مترْعـــةً
تَفـــيضُ تفـــيضُ بغيـــر حُبـــابْ
ومـــازالَ ســـامُرهمْ صـــاخباً
يعيـــثُ فســـاداً بكـــل الصـــحابْ
فعجْـــتُ عـــن الســـيْر فـــارقتُهمْ
وعُـــدتُ لـــئلاّ يطـــولَ الغيـــابْ
وبـــدَّلْتُ بـــالربْع ربْـــعِ الهـــوَى
صـــحاباً أســـامِرُهمْ بالكتـــابْ

وبهـذا التعـديل ، تسـتقيم القصـيدة الـتي جـاءت مـن البحـر المتقارب ، ووزنه : ـ

فعولنْ / فعولنْ / فعولنْ / فعولنْ

فعولنْ / فعولنْ / فعولنْ / فعولنْ

ولكنَّ ما قمتُ بتعديله من الأبيات جاءتْ : ـ عروضُها محذوفةً (فَعَلْ) ، وضربُها مقصوراً (فعولْ) بسكون اللام .

والبحـر المتقـارب عروضُـه صـحيحة (فعـولنْ) ، مـع جـواز قبْضها ، فتصيرُ (فَعولُ) بضم اللام مع حذف النـون ، أو حـذفها ، فتصيرُ (فعولنْ) : ـ (فَعَلْ) بفتح العين وسكون اللام .

وأما قـول الشـاعر : ـ (وأبـدْلْتُ ربـع الـهوى والشـباب بربـع الكتابْ) ، فهو معنى لا يريده الشاعر ، وإنما يريد أن يقول . " فبدّلت أو أبـدلت بربـع الـهوى والشـباب ربـع الكتـاب " بإدخـال البـاء علـى المتروك وهو الصحيح لغة ، ولكنه أراد أن يقلّد الشاعر الكبير أحمـد شوقي حينما قال [1] :ـ

---

[1] وقرأت أخيراً في جريدة (الأهرام) العدد الصادر في يوم الثلاثاء ٢٧ / ٤ / ١٤٢٥هـ الموافق ١٥ / ٦ / ٢٠٠٤م ، مقالة قيمة للأستاذ الدكتور علي أحمد طلب ، أستاذ اللغويـات بجامعـة الأزهـر ، جـاء فيها :ـ (أرى أن أمير الشعراء أحمد شوقي (رحمه الله) أصاب في هذا البيت ، فقد أدخل الباء علـى المتروك ، فهو يعبّر عن تجربة مربها ، تثبت أن الصاحب لا يغني عن الكتاب ، فيقول :ـ (أنا مـن بدّل بالكتْب الصحابا) أي من اختار الصحاب بدلاً من الكتب ، ولم يجد صـاحباً وافيـاً إلاّ الكتـاب ، وأخذ يشرح وجهة نظره ، وكانت مقبولة ، تستأهل الاهتمام . .

أنا منْ بدّلَ بالكتْبِ الصحابا   لم أجدْ لي وافياً إلاَّ الكتابَا

والبيت من قصيدة معروفة لأحمد شوقي ، وقد أخطأ أحمد شوقي ، ولم يعفه النقاد من هذا الخطأ اللغوي ، غير أن الشاعر الكبير أحمد شوقي لا يخطىء في أوزان الشعر البتة ، لأنه شاعر طبع وسليقة .

وأما قصيدة الزيد التي سماها (مراجعة) ، فهي تحتاج إلى مراجعة منه مكثفة ، حتى يستقيم وزنها ، والقصيدة من مجزوء الخفيف ، ووزنه : ـ

فاعلاتنْ / مستفْع لنْ

فاعلاتنْ / مستفْع لنْ

والقصيدة عروضها مخبونة (متَفْع لنْ) ، وضربها مخْبون (متَفْع لنْ) ، ويدخل الخبن (فاعلاتُنْ) ، فتصير (فَعِلاتُنْ) ، وهو ما يأتي به الشعراء كثيراً .

يقول الزيد : ـ

بدأَ الحظُّ يبتسمْ

بدأ القيْدُ ينحطمْ

بعدما عشْتُ يائساً

فـــي قطيـــع مـــن الغـــنمْ

وأعرف الزيد ليس راعيا للغنم ، لأنه من الحاضرة التي يعيش فيها من عهد والده وجده .

ولعله بهذا البيت يريد معنىً آخر لم أستدلَّ عليه ، والقصيدة مكوَّنة من أربعة عشر بيتاً ، استقام وزن ثمانية أبيات منها فقط ، ولم يستقم وزن ستة أبيات منها .

والأبيات المكسورة هي : -

وأَتـــى النـــورُ لـــي
مشـــرقاً يفتـــق الغُمـــمْ
ودَعىٰ النـــاسُ للزمـــانِ
فهمو الناسُ مـــن قِـدمْ
فيهم الخيْـــرُ والشـــرور
قســـمةُ ربّنـــا قســـمْ
فهمـــو كالنبـــات وردٌ
وشوكٌ وبعضُـــهم رِمَـــمْ
يَحســـدونَ الجَـــوادَ

في جوده ويكيدون للقِممْ

إلى أنْ يقول : ـ

زمن العُهْر فالطهّارةُ

والعِفّةُ ولّتْ مع القدمْ

فيكسر البيت على رأس الخليل بن أحمد ، كما كسر الأبيات الخمسة السابقة على رأس الخليل ، والأخفش ، والتبريزي ، وابن القطّاع ، وابن واصل الحموي الخ .

أهْلاً بالشاعر الدكتور (حمد الزيد) الذي ذكّرني بشاعر يقال له علي بن عبد العزيز بن علي بن جابر المغربي ، ومعروف بابْن المغربي ، من شعراء القرن السابع الهجري ، بغْداديٌ مغربيُّ الأصل ، كان من أظرف الناس وأخفهم روحاً ، نشأ وتوفي في بغداد في سنة ٦٨٤ من الهجرة .

قرأت قصيدته (الدنْدَبيّة) منذ خمسين سنة ، وهي من مجزوء الرجز ، الذي يشبه إيقاعه إيقاع مجزوء الخفيف ، وزن قصيدة الدكتور حمد الزيد ، ويعلم الله أنّ ابن المغربي لم يأت ببيت مكسور في قصيدته ، التي أربتْ على خمسين بيتاً ، ولم يرتكبْ خطأً في النحو واللغة ، مع أن القصيدة طويلة جداً ، يقول في مطلعها : ـ

دَدَنْ دَبِـــي دَدَنْ دَبِـــي
أنا على بْـنُ المغْربـي
عســـاكري تهيّئـــي
صـــناجقي تـــأهَّبي
أنا الذي أُسْـدُ الشـرَى
في الحرْب لا تحفَلُ بـي

وأسأل الدكتور الزيد عن كلمة (الغُمَمْ) التي جاءت قافية في قصيدة (مراجعة) ، يقول الزيد :ـ (مَشرقاً يفتق الغُممْ) ، هل يريد بها : جمع الغمام ، والغمام لا يجمع على (غُمم) ، وإنَّما يجمع على (غمائم) ، وأما (غُمَم) ، فهي جمع :ـ الغُمة ، وهي الحزْن والكَرْبُ والعياذ بالله .

وأقول له : إنّ (دعى) لا تكتب إلا هكذا (دعا) ، والأبيات المكسورة ، سأقوم بتعديلها حتى يستقيم وزنها ، نزولاً عند رغبته إذا طلب مني ذلك ، وليته لم يهد إليّ هذا الديوان الذي لم أجد فيه إلاَّ شعراً محصرماً ، مكسور الأبيات ، مبتذل التعابير ، واهياً لا يليق بالدكتور حمد الزيد الذي عرفته فتى طُلَعةً ، ريِّق الشباب ، متحمّساً

يثور عاطفة ، ولكنّ طوفان الشعر في هذه الأيام غمره حتى أغرقه ، لأنه لايحسن السباحة .

قال عمرو بن معد يكَرب : ـ

إذا لم تَستطعْ شيئاً فدعْهُ وجاوزْهُ إلى ما تستطيعُ

وصلْهُ بالزّماع فكلُّ أمرٍ سما لك أوْ سمَوتَ له ولوعُ

وأتجه أخيراً إلى ديوان شعر مخطوط للأستاذ الشاعر إبراهيم دخيل الوزّان ، سماه (وأنّكِ أصل الجهات) .

والوزان شاعر استطاع أن يخوض غمار الشعر ، ويأتي بقصائدَ حسان ، وله في هذا الديوان قصائد وضعته في طبقة الشعراء المبدعين ، إلاّ أنه أراد أن يستأنس برأي كل من الأستاذ الدكتور محمد مريسي الحارثي ، والأستاذ الدكتور حسن فهد الهويمل ، وحسناً فعل ، وقام الأستاذان الدكتوران بكتابة مقدمة للديوان .

اطلعتُ على ما كتبه الأستاذ الدكتور محمد مريسي الحارثي ، واستدعى التفاتي ما قاله في هذه المقدمة :ـ (وددت لو وقف أخونا الأستاذ علي العَّبادي على هذا المشروع الشعري ، ليتفقد بعض وحداته الإيقاعية التي تحتاج فعلاً إلى وقفات ، وهو صاحب أذن

موسيقية راقية ، ذات دراية ورواية بذلك ، ولا يشق لها غبار في مرحلتنا الحاضرة) ..

انتهى ما قاله الدكتور الفاضل العالم محمد مريسي الحارثي ، وأرجو من الله العلي القدير ، أن يجنبني الخطأ في الكلام ، ويحميني من كدورة الفكر ، ويعصمني من الزلل ، ويجعلني عند حسن ظن حبيبنا الدكتور محمد مريسي الحارثي ، وأنْ يتقبل ما أكتبه تعقيباً على كلامه بصدر رحب ، كعادة العلماء أمثاله .. ..

لقد قرأت بخطّه ما كتبه حاشية على هذا البيت : ـ

في بلادٍ قد حماها ربنا مــنْ كل موتورٍ وذي حقْـدٍ دفـينْ

والبيت من قصيدة للأستاذ الشاعر إبراهيم دخيل الوزان ، عدد أبياتها عشرة أبيات ، وهي من البحر الرمَل ، ووزنه في دائرته :ـ

فاعلاتنْ / فاعلاتنْ / فاعلاتنْ

فاعلاتنْ / فاعلاتنْ / فاعلاتنْ

والشائع في هذا البحر عروضان وستة أضرب ، لا داعي لذكرها في جريدة يومية [1] وعروض البحر الرمَل ، لا تأتي إلاّ

---

[1] العروض الأولى (فاعلنْ) ، لها ثلاثة أضرب : ـ الضرب الأول : ـ صحيح (فاعلاتنْ) ، وشاهده:

(أبْلغ النعمان عنى مأْلُكاً أنه قد طال حبْسى وانتظارى)

وتقطيعه :ـ أبلغ لنعمان عنى مألكن أننهو قد طال حبسي ونتظارى ـ

فاعلاتنْ / فاعلاتنْ / فاعلنْ   فاعلاتنْ / فاعلاتنْ / فاعلاتنْ

سالم / سالم / محذوف   سالم / سالم / سالم

العروض (مألكاً) ، وزنها (فاعلنْ) ، والضرب (وانتظارى) وزنه (فاعلاتنْ) ـ والضرب الثاني : ـ مقصور (فاعلانْ) ، وشاهده :

(أبلغ النعمان عني مألُكاً   أنه قد طال حبسي وانتظارْ)

إذا قيدنا حرف الرويّ ولم نطلقه ، والمقيد : ـ ماكان حرف رويّه ساكناً ، ليس حرف مدّ ، وتقطيعه هكذا :ـ

أبلغ ننعمان عني مألكن   أننهو قد طال حبسي ونتظارْ

فاعلاتن / فاعلاتنْ / فاعلنْ   فاعلاتن / فاعلاتنْ / فاعلانْ

سالم / سالم / محذوف   سالم / سالم / مقصور

الضرب الثالث : ـ محذوف مثلها (فاعلنْ) ، وشاهده : ـ

قالت الخنساء لما جئتُها   شاب بعدى رأس هذا واشتهبْ

فالعروض (جئتها) ، وزنها (فاعلنْ) ، والضرب (واشتهبْ) ، وزنه (فاعلنْ) أيضاً ، وهذا هو البيت الثالث من الرمل .

العروض الثانية : ـ مجزوءة صحيحة (فاعلاتانْ) ، وشاهده : ـ

ياخليليَّ اربعا واستخْبرا رسْماً بعُسْفانْ

فالعروض (ي ربعا وس) ، وزنها (فاعلاتنْ) ، والضرب (ما بعسْفانْ) ، وزنه (فاعلاتانْ) وهذا هو البيت الرابع من الرمل .

الضرب الثاني : ـ مجزوء صحيح مثلها (فاعلاتنْ) ، وشاهده : ـ

مقْفراتٌ دارساتٌ   مثل آياتِ الزبورِ

محذوفة في الرمل الوافي ، وأضرب الرمل الوافي لا تأتي إلاّ ضرباً محذوفاً (فاعلنْ) ، وضرباً مقصوراً (فاعلانْ) ، وضرباً صحيحاً (فاعلاتنْ) ، إلاَّ أنَّ علماء العروض ذكروا لوافي الرمل عروضاً صحيحة تامّة (فاعلاتن) ، لها ضرب مثلها (فاعلاتنْ) ، تأتي نادراً في الشعر العربي ، فمن ذلك ما قاله أبو الفتح البستي : -

رُبّ ليلٍ أخْمد الأنْوارَ إلاَّ نُورَ ثغْرٍ أوْ مُدامٍ أوْ نَدامِ
قد نَعِمْنا بدياجيهِ إلى أنْ سُلَّ سيْفُ الصبحِ من غِمْدِ الظّلامِ

والشعراء يتحاشون العروض التاَمة في الرمَل ، ولكنْ قد يأتي بيت ، أو بضعة أبيات ، عروضها تامة (فاعلاتنْ) ، في أثناء

فالعروض (دارساتُ) ، وزنها (فاعلاتنْ) ، والضرب (تِ زْزَبورِى) ، وزنه (فاعلاتنْ) أيضاً ، وهذا هو البيت الخامس من الرمل .

الضرب الثالث : - مجزوء محذوف (فاعلنْ) ، وشاهده : -

ما لما قرّتْ به العينان من هذا ثمنْ

العروض (رتْ به لْعيْ) ، (فاعلاتنْ) ، والضرب (ذاثمنْ) ، وزنه (فاعلنْ) وهذا هو البيت السادس من الرمل ، وهو المشهور من أعاريض الرمل وأضربه ، كما ذكر العروضيون .

وهناك بيت من الرمل ، مجزوء العروض مسبّغ الضرب ، وله شاهد : - ذكرناه سابقاً في العروض الثانية ، والشاهد : - يا خليليَّ اربعا واستخبرا رسماً بعُسفانْ .

وهذا الوزن لم تستعمله العرب ، وإنما هو من وضع الخليل بن أحمد ، وقد ذكر ذلك أبو العلاء المعري ، في كتابه (الفصول والغايات) .

القصيدة .. ومن ذلك ما وقع لمهيار الديلمي ، في قصيدته التي بدأها بقوله : ـ

دعْ ملامِي باللوَى أوْ رُحْ ودعْني
واقفاً أنشُدُ قلْباً ضاعَ منّي

ما سألتُ الدارَ أبغْي رجْعَها
رُبَّ مسئولٍ سِواهَا لم يُجْبني

إلى أن يقول فيها ، ويأتي بعروض تامة :.

فمنِ الراكبُ نجّتْه أمونٌ زَجرَتْ سانحتيْ خصْبٍ وأمْنِ

ومن ذلك ما وقع للشاعر الجواهري في قصيدته (أزفَ المَوْعد) وأولها : ـ

أزفَ الموْعدُ والوعْدُ يعنٌّ والغد الحلْوُ لأهليهِ يحِنُّ
والغدُ الحلْوُ بكمْ يشرقُ وجْهٌ من لدنْهُ وبكمْ تضحكُ سِنٌّ
والغدُ الحلْوُ بنوه أنتمو فإذا كان لكُمْ صُلْبٌ فنحْنُ
فخْرنا أنّا كشفْناه لكمْ واكتشافُ الغَدِ للأجيالِ فَنٌّ

إلى أن يقول قي القصيدة وهو الشاهد : ـ

ينعقُ الشاكون أنْ يخضرَّ حقْلٌ
بالشباب الغضِّ أوْ يورقَ غُصْنُ

فتأتي العروض تامة (فاعلاتنْ) ... و يقطّع البيتُ الشاهد هكذا : -

فاعلاتنْ / فاعلاتنْ / فاعلاتنْ   فاعلاتنْ / فاعلاتنْ / فعلاتنْ

وقد دخل الخبن تفعيلة الضرب الأخيرة فصارت فاعلاتنْ : - (فَعلاتنْ) ، وهو زحاف مقبول في البحر الرمَل .

وللمتنبي قصيدة من تسعة أبيات ، ارتجلها في مدح بدر بن عمّار ، جاءت كل أبياتها بعروض صحيحة ، وهي من بحر الرمل النادر الذي لم أقرأه قديماً ، إلاّ في قصيدة المتنبي هذه ، يقول :-

المتنبي : -

إنّما بْدرُ بْنُ عمّارٍ سحابُ   هَطلٌ منه ثوابٌ وعِقابُ

إنمّا بْدرٌ رزايا وعَطايا   ومنايا وطِعانٌ وضِرابُ

ما يجيلُ الطرْفَ إلاّ حَمِدتْهُ   جُهْدَها الأيدي وذمّتْهُ الرقَابُ

إلى آخر القصيدة التي نجد أن عروضها وضربها صحيحان (فاعلاتنْ) ، وقد قلتُ وأنا مقلٌّ في شعري قصيدة بعنوان (دلال المغربي) .

وهي الفتاة الفلسطينية ذات العشرين ربيعاً ، التى قامت ببطولة لا يقوى عليها الكثيرون من الرجال ، وهي من البحر الرمَل ذي العروض المحذوفة (فاعلنْ) ، والضرب الصحيح (فاعلاتنْ) ، وقد ابتدأتهُا بقولي : -

البطولاتُ استْقوها مــن دلالِ   وارفَعوها فوق أعْناقِ الرجَالِ
غادةٌ ما عرفَتْ طعْمَ الكَــرى   لا يذوقُ النوْمَ ذو داءٍ عُضــالِ

وهي قصيدة طويلة أقول فيها : -

يا كَعاباً لــو أرادَتْ عيشــةً   كلُّها زَهْوٌ لعاشتْ في اخْتيــالِ
ولأضْحتْ ذاتَ شأْنٍ في الورَى   بجمـــالٍ قـــد حَوتْــهُ ودَلالِ
كمْ فتاةٍ مثْلها فـــي حُسْــنها   غرَّها الحُسنُ فجاءتنا تُغــالي
كلما رامتْ مَرامـــاً وجَدتْــهُ   حاضراً طوْعَ يمينٍ أوْ شِــمالِ

وقصيدتي عروضها كلها محَذوفة (فاعلنْ) ، وأضربها كلها صحيحة (فاعلاتنْ) ، ما عدا البيت : -

كلّمــا رامَــتْ مَرامـــاً وجدتــهُ   حاضراً طــوْعَ يمــينٍ أوْ شِــمالِ

فعروضه (فاعلاتنْ) ، دخلها الخبن فصارتْ (فعلاتنْ) ، ولقدْ سردتُ هذا كلَّه لأصل إلى ماكتب الأستاذ الدكتور محمد مريسي

الحارثي ، حاشيةً على بيت من شعر الشاعر إبراهيم دخيل الوزان ، من قصيدة له بعنوان (بنت الوطن) ، وهي قصيدة جاءت عروضها كلها صحيحة (فاعلاتنْ) ، وأضربها كلها مقصورة (فاعلانْ) ، وقد قرأها الدكتور محمد مريسي ، وتوقف عند بيت واحد منها وهو : ـ

في بلادٍ قدْ حماها ربُّنا مــنْ كلِّ موتورٍ وذي حقْـدِ دفــينْ

فكتب الدكتَور مريسي بخطه بجانب البيت : ـ

فــي بــلادٍ قــد حماهــا ربُّنــا

منْ أَذى الموْتور ذي الحقْدِ الدفينْ

وما كتبه الدكتَور المريسي جعلني أخوض مع صاحب القصيدة الأستاذ الوزان في حديث طويل ، أدركتُ بعد هذا الحديث أنني طاوٍ ، والطاوي خالي الوفاض يؤثر عليه طواه ، فيلتزم العاقل السكوت .. وهذا ما كان مني ، إذِ التزمتُ السكوت ، حتى عدتُ إلى داري ، وأخذتُ أنظر في القصيدة ، وأمعن فيها النظر ، بعد استراحة طويلة ، فاتضح لي أنَّ قصيدة الوزان المذكورة من (البحر الرَمل) ، ذي العروض الصحيحة (فاعلاتنْ) ، والضرب المقصور (فاعلانْ) ، وهو لوْن لم أعهده حتى الآن في قصيدة غير قصيدة الوزان هذه ، لأن العروض

الصحيحة في البحر الرمل نادرة جداً ، وتأتي في بيت أو بيتين من القصيدة ، مع ضرب صحيح (فاعلاتنْ) ، وقد أوردتُ من الشواهد على ذلك ما يُكتفى بها ، ولكنّ العروض الصحيحة لا تأتي مع ضرب مقصور (فاعلانْ) ، كما أتتْ في قصيدة الوزان الذي لم يسبقه أحدٌ إلى هذا النوع ، ولا أعرف أحداً سبقه من الشعراء القدامى والمعاصرين ، ومظانّ الشعر كثيرة ، ولعلّ أحدَ الباحثين اطلع على شيء لم اطّلعْ عليه ، فيُدلي لنا بدلْوه ..

لذلك كله أقول : ـ إنَّ ما قام به الأستاذ الدكتور محمد مريسي الحارثي من تصحيح بيت في قصيدة الوزّان (بنت الوطن) ، وهو :ـ

في بلادٍ قدْ حماها ربُّنا مِنْ
كلِّ موْتورٍ وذي حقْد دفينْ

إلى : ـ

في بلادٍ قد حماها ربُّنا منْ أذى الموْتورِ ذي الحقْد الدفينْ

يكون صحيحاً ، لو كانت هذه القصيدة قد جاءت عروضها محذوفة (فاعلنْ) ، وسامح الله الأستاذ الفاضل الدكتور محمد مريسي الحارثي ، الذي أوقعني في حرَج شديد مع ابننا الأستاذ إبراهيم

الـوزّان ، حينمـا أردتُ أنْ أحـذُوَ حـذو دكتورنـا الفاضـل ، وأجـري التعديل على أبيات القصيدة كلها ، ممّا حدا الوزَّانَ على أن يصدّني عن المساس بقصيدته ، إلاّ بعد التأكد القاطع الذى لا مناص منه .. وللوزّان قصيدة أخْرى بعنوان (العاتـب المستعتب) ، مـن البحـر (الرمـل) عروضها صحيحة (فاعلاتنْ) ، وضربها مقصور (فاعلانْ) ، ولـه قصيدة أخْرى بعنوان (غدير الحب) ، عـدد أبياتهـا عشرة أبيات ، جـاءت كقصـيدة المتـنبي الـتي ذكرتهـا آنفـاً ، عروضـها صـحيحة (فـاعلاتنْ) ، وضـربها صـحيح (فـاعلاتنْ) ، وهـي مـن البحـر الرمل النادر .

ولا تثْريـبَ علـى حبيبنـا الـدكتور الفاضـل محمـد مريسـي الحارثي ، فقد التبس الأمر على شيخنا إمام اللغـة العربيـة في عصـرنا الحاضر ، الشيخ العالم النحرير محمد محيي الدين عبد الحميـد ، كمـا التبس على حبيبنا الدكتور الحارثي ، فقام الشيخ محمـد محيـي الـدين عبد الحميد بضبط رويّ قصيدة لعمر بن أبي ربيعة ، مكونة من سبعة أبيات ، قرأتها في ديوان عمر بن أبي ربيعة ، الذي قام بتحقيقه شيخنا محمـد محيـي الـدين عبـد الحميـد في طبعتـه الأولى في عـام ١٣٧١ هـ

/ ١٩٥٢ م ، وهـــي الطبعـــة الـــتي قمـــت بشـــرائها في ٢٥ / ٨ / ١٣٧٢هـ ، ومازلتُ أحتفظ بها في مكتبتي الخاصة .

لقد ضبط شيخنا محمد محيي الدين عبد الحميد (رحمه الله) رويَّ قصيدة عمر بن أبي ربيعة ، مطلقاً مكسوراً ، فجاء ضربها على (فاعلنْ) ، شاذاً عن ضروب البحر المديد المعروفة ، وقصيدة عمر بن أبي ربيعة هي : ـ (وأكتبها كما ضبطها خطأً شيخنا محمد محيي الدين عبد الحميد) :ـــ

زارَنـــا زَوْرٌ سُـــرِرْتُ بـــهِ ليتَ ذاك الـزَوْرُ لـم يعْجَـلِ
إذْ أتانـــا ليلـــةً وَجِـــلاً مـن عُيـونِ الخانـةِ العُـذَّلِ
وأَتانَـــا وهْـــوَ منْخـــرِقٌ وبِغـالُ الحـيِّ لـمْ تَرْحَـلِ
يا أَبا الخطّـابِ هْـل لكُمـو من رسـولٍ ناصـحٍ يُرْسَـلِ
بالـــذي أُخْفِـــي وأكْتمُـــهُ من جميعِ النـاسِ لـم أَقْبَـلِ
فَـــأَذاقتْني ـ علـى مَهَـلٍ طيّـبَ الأنْيـابِ لـم يُثْقَـلِ
تحْسبُ المسْكَ الزكـيَّ بـهِ وسُـلافَ الـراحِ والسلْسَـلِ

وقـد أخـذ الشيـخ محمـد محيـي الـدين يـبرّر [1] كسْـر الـلام في (يُرْسل) ، قافية البيت الرابع من القصيدة ، فقـال (رحمـه الله) : « جزم الشاعر (يُرْسَلِ) في جواب الاستفهام كما في قولهم أين بيتك أزرْكَ - وحرّكه بالكسر لأجْل الرويّ » وانظر ص ٣٢٢ من ديوان عمر ابـن أبـي ربيعـة ، الطبعـة الأولى الصـادرة في عـام ١٣٧١ هـ بتحقيـق الشيخ العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد (رحمه الله) .

وقصيدة عمر بن أبي ربيعة من البحر المديد ، عروضـه مخبونـة محذوفـة (فَعَلـنْ) .. .. والمعـروف أن لهـذه العـروض ضـربين : ـ أبـتر (فعْلنْ) بسكون العين ، وآخر محذوف مخبون (فعَلُنْ) بفتح العين .

وقصيدة عمر بن أبي ربيعة من البحـر المديـد الأبـتر الضـرب ، الذي يجيء على وزن : ـ

فاعلاتنْ / فاعلنْ / فعَلُنْ فاعلاتنْ / فاعلنْ / فعْلُنْ

ومع هذا أخطأ شيخنا محمد محيـي الـدين عبـد الحميـد (رحمـه الله) ، وهو مَنْ هو ، في اللغة العربية عَروضـاً ، ونحْـواً ، وصـرْفاً ، وبلاغةً ، عليه رحمة الله .. والصواب أن تكون قصيدة شـاعرنا عمر بن أبي ربيعة على وزن المديد الشائع .

---

[1] تكلمت عن الفعل (يبرّر) في حاشية بعض الصفحات من هذا الكتاب . . .

زارنـــا زَوْرٌ سُــــرِرْتُ بـــهِ   ليْتَ ذاك الـــزَوْرَ لـــم يعْجَـلْ

حتى نصل إلى البيت الرابع من القصيدة وهو : ـ

يا أَبَا الخَطَّــابِ هــلْ لكُمُــو   من رَســولٍ ناصِــحٍ يُرسَــلْ

وتـأتي القافيـة مقيـدة بالسـكون ، ولا داعـي للتكلّـف في إخـراج القافية مكسورة مطلقة ، ولكنّ ما قام بـه شيخنا محمـد محيي الـدين عبد الحميد ، يسمَّى بأوهـام الكبار ، وهـو مـا وقـع لحبيبنا الـدكتور ـ محمد مريسي الحارثي ، حينما قرأ قصيدة الشاعر إبراهيم دخيل الـوزان (بنت الوطن)..... وقصيدة عمر بن أبي ربيعة بوزنها النادر ، إلاّ أنَّ القارىء لا يعْدم أنْ يجد مثل هذا الوزن في شعر الشعراء القدامى ، فهذا عدي بن زيد يقول : ـ

يـــا لُبينَـــى أوْقِـــدي النـــارا   إنّ مـــنْ تَهْـــوينَ قـــدْ حـــارا

رُبَّ نـــارٍ بـــتُّ أرْمقُهـــا   تقضَـــمُ الهِنْـــدِيَّ والغـــارا

وللمعرّي : ـ

شَـــرُّ أشْـــجارٍ علمـــتُ بهـــا   شـــجَراتٍ أثْمَـــرتْ ناســـا

حَمَلَـــتْ بِيضـــاً وأغْرِبـــةً   وأَتَـــتْ بـــالقَوْمِ أجنْاســـا

وقد قال أبو العلاء المعرّي ـ (والمديد وزن ضعيف لا يوجد في أكثر داووين الفحول ، والطبقة الأولى ليس في ديوان أحد منهم مديد ، أعني امرأ القيس وزهيراً والنابغة والأعشى في بعض الروايات) .

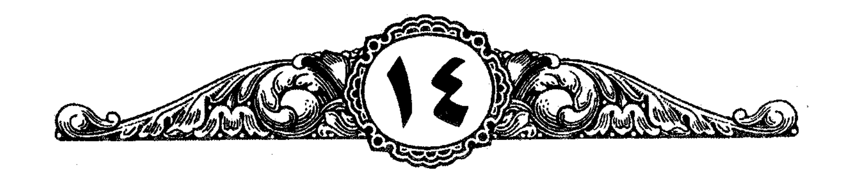
ذكر ذلك أبو العلاء المعرّي في كتابه (الفصول والغايات) ، إلاّ أنّ البحر المديد ، رأيناه كثيراً في شعر عمر بن أبي ربيعة ، والعرْجي ، وأبي نواس ، وغيرهم من الشعراء الذين يميلون إلى قصار القصائد ، وأكثر أبياته شيوعاً ما جاء على وزن : ـ

فاعلاتنْ / فاعلنْ / فَعَلنْ ــــ فاعلاتنْ / فاعلنْ / فَعَلنْ

أي ما كانت عَروضه محذوفة مخبونة (فَعَلُنْ) ، وضربه محذوفاً مخبوناً مثلها .

وانظرْ كتب العروض وما أكثرها وفيها علم كبير .

وأختم مقالتي هذه بقول شيخنا العلامة محمود محمد شاكر (رحمه الله) : ـ (رحم الله الخليل بن أحمد ، فلو هبَّ من رقاده ، فاطلع على أهل هذا الجيل ، كيف يخوضون فيه وفى عروضه ، لرأى العقل الذي في الجماجم قد عاد راراً ـ أيْ مخّاً ذائباً ـ وأيُّ رجل كان الخليل لو كان لعلمه ورثة ، وجزاه الله عنّا أحسنَ الجزاء) .



استدعت اهتمامي القصيدة المنشورة في ملحق جريدة المدينة الغراء ، في العدد الصادر في يوم الأربعاء ٢٩ من شهر ذي القعدة ، من عام ١٤١٩ هـ ، في الصفحة السابعة والثلاثين ، وهي قصيدة رائعة بديعة ، لم تأخذ حظها من اهتمام المشرفين على ملحق الجريدة ، لأنَّ صاحب القصيدة (جاسم محمد عساكر) غير معروف عندهم ، وغير معروف عندي ، ولم أقرأ له من قبل .. وقصيدة هذا الشاعر المبدع (جاسم محمد عساكر) جاءتْ من البحر السريع ، وهو بحر من أقدم بحور الشعر ، على قلّة ما جاء منه في الشعر العربي القديم ، ونُدْرة ما جاء منه في الشعر الحديث المعاصر ، لخوف الشعراء المعاصرين ، من الخوض في تجربة النظم ، في بحر لا يحسنون السباحة فيه ، وهو بحر ذو أمواج متلاطمة ، ومياه صاخبة .

وأُذنُ الشاعر بطبيعتها تميلُ إلى ما ألفَتْ سماعه ، من الشعر ذي الموسيقى الهادئة ، والنغمات الجميلة الرنّانة ، التي يخلو منها البحر السريع . .

يقول الشاعر جاسم محمد عساكر لا فُضَّ فوه : -

وجَّهْتُ وجْهي نحْوَه فاتَّجَهْ فما أُحَيْلاهُ وما أدْعجَهْ

أسرجْتُ قَلْبي في هواهُ فهلْ تراهُ مثْلي في الهَوَى أسْرجَهْ

قدْ داعَبَ الحسنُ لَهُ طلْعَةً كالشمْسِ في أنوارِها المبهجَهْ

وجْهٌ تجلَّى الصبْحُ في خدّهِ ما كان أسناهُ وما أبْلَجَهْ

ويستمر الشاعر في قصيدته التي تتكوّن من تسعة عشر بيتاً ، ويجعل قافيتها (الجيم) المفتوحة ، ويصلها بالهاء ، وهي من القوافي الصعبة التي يقلّ ورودها في الشعر العربي -، وتنساب القصيدة بكلماتها في روعة وافتتان ، انسياب النهر بين الأزهار الفواحة ، والأشجار اليانعة ، فيذكّرُني هذا الشاعر بشاعرنا الكبير حسين سرحان (رحمه الله) ، حينما بعث في بدء حياته الأدبية ، بقصيدة (القريب البعيد) ، إلى الأستاذ الأديب الكبير أحمد حسن الزيّات

صاحب مجلة الرسالة المصرية ، وقد ابتدأها الأستاذ حسين سرحان بقوله : ـ

ظلْتُ ألقاكَ ليلتـينِ وأخْـرى فمضتْ ليلـةٌ ومـرّتْ ليـالي
والثـواني كـأنهُنَّ شـهورٌ والليالي تُرْبي على الأحْـوالِ
وقَفَ الدهْرُ وقْفةَ الطَوْدِ قُدَّامي وأمْسيتُ قابَ قَـوْسٍ حِيـالي
أيُّ قُرْبٍ ؟ لكنَّه أبْعـدُ البُعْـدِ وأنْأى من النُّجـومِ العَـوالي

ويستمر الأستاذ حسين سرحان في الرسم بالكلمات الرائعة ، إلى أنْ يصل إلى قوله : ـ

وإذا ما قدْ عُدتَ تسْألُ عنْهـا بعْد بُعْدٍ فمـا غَنـاءُ السُّـؤَالِ
حُلُمٌ ما تنـي طلـيحَ هـواهُ عالِقاً منهُ في الكرَى بالمُحـالِ
فإذا مـا ألـمَّ بعْـدَ ارْتحـالٍ أوْ أجَدَّ الوصالَ بعْـدَ تَقـالي
فهْوَ شيءٌ لا تَستطيعُ الليالي والمُنى أنْ تصوغَهُ في مِثَـالِ

وقد نُشرتْ القصيدة كاملةً في ديوانه (الطائر الغريب) المطبوع في نادي الطائف الأدبي ، فتستدعي هذه القصيدة التفات واهتمام الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات (رحمه الله) ، ويسأل عن الشاعر حسين سرحان الذي اقتحم بريده الأدبي ، ويعجز الحاضرون عن

الجواب ، ويفرح الزيات بالقصيدة ، وهو غير مصدق أن بطاح مكة المكرمة ، قد أنجبتْ شاعراً بعد ماطال سكوتها ، وينشر الأستاذ الزيات قصيدة الشاعر حسين سرحان في مجلته الخالدة الرائعة (الرسالة) ، في إطار جميل وإخراج رائع ، وكان ذلك في أُولَيات الستينات الهجرية .

والذي أريد أن أقوله : ـ إنّ الشاعر المبدع يفرض نفسه ، وإن القصيدة الرائعة يجب أن تأخذ مكانها الذي يليق بها ، وتبرز للقراء في شكل صحيح ، سواءٌ أكانتْ القصيدة لشاعر مشهور ، أم لشاعر مغمور ، وعلى المشرفين على الملاحق الأدبية ، والأستاذ فهد الشريف أحدهم ، وقد عرفته ممن يميز الزغل في الذهب ، ويعرف الغث من السمين ، ولا إخاله يتقرّب إلى أصحاب الشعر البهْرج الهُزْروفي [1] ، ولا يهمه قول ابن نباتة السعْدي : ـ

يَهْوَى الثناءَ مقصّرٌ ومبرّزٌ حُبُّ الثناءِ طبيعةُ الإنسانِ

وليتعزّ قراء الملاحق الأدبية العارفون إذا ما قرءوا قصائد مخزيات ، بما جاء في كتب التراث من حكايات ، يتأسون بها إذا لم يلتفتوا إلى النظم الغث ، والقريض المهلهل ، ولا تثريب عليهم إذا

---

[1] البهْرج :ـ الرديء ، والهُزْروفي :ـ السريع

ألقَوْا بالشعر المحنَّط في وجوه هؤلاء المتشاعرين ، غير مبالين بغضبهم وقَوارص كلامهم .

كيف أجد مسوِّغاً يسمح لقصيدة (جاسم محمد عساكر) ، أن تنشر في ملحق الأربعاء في مكان لا يليق بها ، وتُنشر قصيدة (هينمات شاعر) لشيخ عمر البار في مكان بارز ، وإطار جميل ، وتأخذ حّيزاً كبيراً من الملحق ، والقصيدة قد كُسرتْ ثمانية أبيات منها .

وأقرأ بعد ذلك في جريدة (الجزيرة) ، في العدد الصادر في يوم الأحد ٢٢ / من شهر صفر من عام ١٤٢٠ هـ ، قصيدة للأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، يمدح فيها نظيره الأستاذ الأديب الكبير عبد الله عبد الجبار .. والقصيدة جاءتْ من البحر المديد ، ذي العروض المحذوفة المخبونة (فعَلُنْ) بتحريك العين ، والضرب الأبتر (فَعْلنْ) بسكون العين ، وهو وزن نادر ، قرأتُ منه قصائد ومقطّعات قليلة في كتب التراث ، منها أبيات غنتْها عُلية بنت المهدي ، تقول فيها : ـ

إنّ ناساً في الهوَى غَدرُوا ... أحْدثُوا نقْضَ المواثيقِ

لا تَراني بعْدَهُمْ أبداً ... أشْتكِي عشْقاً لمعْشوقِ

وهذان البيتان ، وقصيدة الدكتور الخفاجي ، وزنهما : ـ

فاعلاتنْ / فاعلنْ / فَعَلنْ ـــــ فاعلاتنْ / فاعلُنْ / فعْلنْ

ويدخل هذا الوزن من الزحاف (الخبنْ) في كل (فاعلاتنْ) ، فتصير (فَعِلاتنْ) ، وفي كل (فاعلنْ) ، فتصير (فعَلنْ) بتحريك العين ، ويجوز الكفّ في (فاعلاتنْ) ، فتصير (فاعلاتُ) بتحريك التاء ، وحذف النون ، وقد يجتمع فيها الكفُّ والخبْن ، وهو ما نسميه (الشكْل) ، فتصير (فعلاتُ) بتحريك التاء مع حذف الألف بعد الفاء ، ويدخل هذا كله في الحشو فقط ، وأمّا بالنسبة إلى عروضه وضرْبه ، فسأتكلم عن ذلك عند نقدي لبعض الأخطاء العروضية ، التي وردتْ في قصيدة الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي . .

والبحر المديد الشائع فيه ثلاث أعاريض ، وستة أضرب ، لاداعي[1] لذكرها ، ولا نلتفت إلى من اختصر هذا البحر ، وحصره في شكلين هما : -

---

[1] الشائع في البحر المديد ، ثلاث أعاريض ، وستة أضرب : ـ

١) العروض الأولى (فاعلاتنْ) ، مجزوءة صحيحة ، لها ضرب واحد مجزوء صحيح مثلها ، (فاعلاتنْ) ، وشاهده :

يالَبَكْرٍ انْشِروا لي كُلَيْبا   يالَبَكْرٍ أين أين الفِرارُ

وتقطيعه هكذا :ـ   يالبكرنْ / انشرو / لي كليبنْ   يالبكرنْ / أين أيْ / ن لْفرارو

فاعلاتنْ / فاعلنْ / فاعلاتنْ   فاعلاتنْ / فاعلنْ / فاعلاتنْ

العروض (لى كليبنْ) ، فاعلاتنْ ، والضرب (ن لفرارو) ، فاعلاتنْ أيضاً

فاعلاتنْ / فاعلنْ / فعَلنْ / مكررة بتحريك العين ..

والثاني : ـ

فاعلاتنْ / فاعلنْ / فعْلنْ . . . مكررة بسكون العين ..

---

٢) العروض الثانية ، محذوفة (فاعلنْ) ، ولها ثلاثة أضرب : ـ

الضرب الأول :ـ مقصور (فاعلانْ) ، وشاهده : ـ

لا يَغُرنَّ امْرأً عيْشُهُ   كلُّ عيْش صائرٌ للزوالْ

فعروضه (عيْشهُ) ، وزنها (فاعلنْ) ، والضرب (للزوالْ) ، وزنه (فاعلانْ)... الضرب الثانى :ـ محذوف مثلها (فاعلنْ) ، وشاهده :

اعْلموا أنِّي لكمْ حافظٌ   شاهداً ماكنْتُ أوْغائبا

فعروضه (حافظ) ، والضرب (غائباً) ، وكلاهما على وزن (فاعلنْ) ،

الضرب الثالث ، أبتر (فعْلنْ) ، وشاهده : ـ

إنما الذلْفاءُ ياقوتَةٌ   أُخْرجتْ من كيس دِهْقانِ

فعروضه (قوتتنْ) ، وزنها (فاعلنْ) ، والضرب (قانِ) ، وزنه (فعْلنْ)

٣) العروض الثالثة :ـ محذوفة مخبونة (فَعَلُنْ) ، ولها ضربان : ـ

الضرب الأول : ـ محذوف مخبون مثلها ، وشاهده : ـ

للفتى عقْلٌ يعيشُ به   حيثُ تَهْدي ساقَهُ قدمُهْ

العروض (شُ بِهِ) ، وزنها (فَعَلنْ) ، والضرب (قَدمُهْ) ، وزنه (فَعَلنْ) .

الضرب الثاني :ـ أبتر (فعْلنْ) ، وشاهده : ـ

رُبَّ نارٍ بتُّ أرْمُقُها   تقْضم الهنْديَّ والغارا

العروض (مقها) ، وزنها (فَعَلنْ) ، والضرب (غارا) ، وزنه (فعْلنْ) ، وللمديد شواذ يستطيع مراجعتها من يريد في كتب العروض .

وهذا الاختصار ، رأيت الأستاذ الدكتور عبد الله الغذّامي يميل إليه ويصرّح به في كتابه (الصوت القديم الجديد) ، الصادر ضمن سلسلة كتاب الرياض . . وقد أثبت لنا الدكتور عبد الله الغذّامي ، في كتابه هذا أن له دراية بعلم العروض ، مما يغاير ما عرف عنه ، وما يقوله عن نفسه (سامحه الله) في كل مناسبة أجتمع به فيها .

ومع درايته التي ظهرتْ لنا بعلم العَروض ، إلاّ أنني أخالفه الرأي ، ولا أنْساقُ خلْف من يحصر البحر المديد في هذين الشكْلين فقط ، ونترك ماقاله الدماميني وغيره من علماء العروض ، وإنَّ ما قاله الأستاذ مصطفى جمال الدين في كتابه (الإيقاع في الشعر العربي من البيت إلى التفعيلة) ، ونقله إلينا في كتابه الأستاذ الدكتور عبد الله الغذَّامي حيث قال : ـ (إن البحر يعني المديد بتشكيلته الكاملة صعب المراس ، وتحاشاه أكثر الشعراء من القدامى والمحدثين) فليس هذا القول من بنات أفكار الأستاذ جمال الدين ، وإنما هو مستمدٌّ مما قاله أبو العلاء المعرّي في هذا الصدد ، حيث قال في كتابه (الفصول والغايات) : ـ (والمديد وزن ضعيف ، لا يوجد في أكثر دواوين الفحول ، والطبقة الأولى ليس في ديوان أحد منهم مديد ، أعني امرأ القيس وزهيراً والنابغة والأعشى في بعض الروايات) ويستطرد أبو

العلاء المعرّي ويذكر لنا بعض القصائد التي جاءت من البحر المديد ، لطَرفة بن العبْد ، والمهلْهل ، وقصيدة (إنّ بالشّعْب الذي دون سلْعٍ) ، المنسوبة إلى تأبطّ شراً ، ومع ما ذكره أبو العلاء المعرّي وغيره من علماء العروض ، إلاّ أن الأكثر شيوعاً ما جاء من المديد على وزْن :

فاعلاتنْ / فاعلنْ / فعَلنْ .. .. مكررة بتحريك العين

ومنه قصيدة طرَفة بن العبْد : -

أشَجَاكَ الربْعُ أمْ قِدَمُهْ أمْ رمادٌ دارِسٌ حُمَمُهْ

وقصيدة امرئ القيس : -

رُبَّ رامٍ من بني ثُعَلٍ مُتْلِجٍ كفّيْهِ في قُتَرِهْ

وهناك قصيدة لأبي نواس من هذا الوزن ، كنت أحفظها استظهاراً في صباي ، وهي القصيدة التي يقول فيها أبو نواس : -

أيّها المنتابُ عنْ عُفُرِهْ لستَ من ليلِي ولا سَمَرِهْ

لا أذودُ الطيرَ عن شجَرٍ قدْ بلَوْتُ المُرَّ من ثمرِهْ

ثمّ يأتي بعد ذلك في الكثرة والشيوع ، ما جاء على وزن : -

فاعلاتنْ / فاعلنْ / فاعلاتنْ .. . مكررة

وقد شكّ الأستاذ الدكتور / عبد الله الغذّامي في تمكن العواد من علم العروض ، وعرض أمثلة كثيرة مما وقع للعواد من أخطاء ، عندما تحدث العواد عن البحر المديد ، في كتابه (الطريق إلى موسيقى الشعر الخارجية) . . . مما يجعلنا نشك مثل الغذّامي ، ونقف معه على الأخطاء العروضية التي وقعتْ للأستاذ / محمد حسن عواد (رحمه الله) ، إلاّ أننا نقول ما قاله الغذّامي ، في ختام حديثه عن العواد :ـ (والعوّاد يعد أحد رواد التجديد ، والداعين له منذ مطلع حياته ، وكتابه (خواطر مصرّحة) ، شاهد على ذلك) .

ومع شك الغذّامي في تمكن العواد من علم العروض ، إلاّ أننا لانجد بيتاً واحداً من قصائد العواد الكثيرة ، قد تطرقّ إليه الكسر ، لأنّ العواد شاعر متمكن من بناء شعره ، وله سليقة جيدة يسترسل في شعره ، فيتكلم عن طبع من غير تكلف ولا مشقّة .

وأعود إلى قصيدة الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي المنشورة في جريدة (الجزيرة) ، وقد ابتدأ الخفاجي قصيدته مخاطباً ممدوحه (عبد الله عبد الجبار) بقوله :ـ

أيهّا الرائدُ في فِكْرِهْ فرْقَداً نعشوا إلى نُورهْ

والقصيدة مكونة من أربعة وعشرين بيتاً ، وأتجاوز عن (السِنَاد) الذي لحق هذا البيت [1] ، وهو عيب من عيوب القوافي التي لا يجهلها الدكتور الخفاجي .. يقول ذو الرمة : -

---

[1] السناد : - هو اختلاف ما يراعى قبل الروي من الحروف والحركات ، من قولهم : - متساندين على آراء شتى ، فهم مختلفون غير متفقين ، فكذلك قوافي الشعر المختلفة ، بسبب السناد الواقع فيها ، وهو خمسة أقسام : -

١) سناد الرِّدْف : - بأن تكون إحدى القافيتين مردوفة ، والأخرى غير مردوفة ، كقوله : -

إذا كنتَ في حاجة مرسلاً　　فأرسلْ حكيماً ولا توُصِهِ
وإنْ بابُ أمر عليك الْتوَى　　فشاورْ لبيباً ولا تَعْصهِ

والشاهد فيه ، جاء البيت الأول مردوفاً بالواو قبل الصاد المهملة ، والثاني غير مردوف ، وأمّا الهاء فيهما فهي وصل .

٢) سناد التأسيس ، بأن تكون إحدى القوافي مؤسسة ، والأخرى غير مؤسسة في قصيدة واحدة ، ويكون سناد التأسيس أقلَّ قبحاً ، إذا كان مابعد الألف فتحة ، يقول أبو العلاء المعري في تعليل ذلك : - (وفي مجيء الفتحة بعد التأسيس ما يخرج السامع عن العادة ، لأن أكثر ما أسس من أشعار العرب ، إنما يكون بعد ألفه كسرة : - كحامل وراسم ، وفي قصيدة العجَّاج : - (مكرَّمٌ للأنبياء خاتم)

فإن روي بكسر التاء ، فهو أشنع ، وإنْ روي بفتحها ، فهو أسهل ، وإنْ همز ، أي قلت : - (خأتم) ، خرج عن علّة السناد) .

ومما وقع فيه سناد التأ سيس قول الشاعر : -

لو انَّ صدورَ الأمْر يبـدون للفتـى　　كأعقـابـه لم تلْقه يتنـدَّمُ
إذِ الأرضُ لم تجهَلْ عليَّ فُروجُها　　وإذْ ليَ عن دار الهوانِ مُراغَمُ

وكلما بعدت ألف التأسيس عن نهاية البيت ، كان سناده أيسر احتمالاً

٣) سناد التوجيه : ـ اختلاف حركة ما قبل الروي المقيد

وذلك كقول أبي القاسم الشابي : ـ

إذا الشعب يوماً أراد الحياةَ   فلابدَّ أن يستجيب القدَرْ

ولابـدَّ لليْـل أنْ ينْجلـي   ولا بدَّ للقيد أن ينكسرْ

ولا عيب في تغييرها عند الكثيرين من علماء العروض ، وهو بأن يجعل في بيت قبل الروي فتحة ، وفي بيت ضمة أو كسرة ، وكان الخليل ابن أحمد (رحمه الله) يرى :ـ أن الضمة مع الكسرة جائز ، وينكر الفتحة معها ، مع أن التبادل بين الكسرة والفتحة لا يحدث نشازاً في القصيدة ، كما ورد في البيتين السابقين لأبي القاسم الشابي ، وقد قرأنا تبادلاً بين الحركات الثلاث في أرجوزة رؤبَة ابن العجاج : ـ (وقاتم الأعماق خاوي المُخْتَرَقْ) ، وقد أجاز بعض علماء العروض (رحمهم الله) سناد التوجيه ، ولم يعدوه عيباً ، لكثرة ماورد منه في قصائد كبار الشعراء .

ورأينا بعض الشعراء الكبار يتحاشونه ، وقد تحاشي العجاج والدُ رؤْبة سناد التوجيه في أرجوزته الرائية ، التى يقول فيها : ــ (قد جبرالدين الإله فَجَبَرْ) وافتخر هؤلاء الشعراء بخلو شعرهم من هذه العيوب ، يقول ذو الرمة : ــ

وشعْرٍ قد أرِقْتُ له طريفٍ   أُجَنِّبُهُ المساند والمَحالا

ويقول جرير : ــ

فلا إقْواءَ إذْ مَرس القوافي   بأفْواهِ الرواةِ ولاسِنَادا

ويقول سهل بن محمد السجْستاني : ــ

لم يُقْوِ فيه ولم يُساندْهُ ولم   يُوطئْ فيوهي نظْمَهُ إيطاُؤهُ

وقد استوفى أبو العلاء المعري الحديث عن السناد بأنواعه في مقدمة (اللزوميات) ، وفيه فائدة لمن يريدها .

ويدور حديث بين عمرو بن كلثوم وبين ابن القارح ، كما يصوره أبو العلاء المعري في رسالته (الغفران) ، يقول عمرو : ــ

علينا كلُّ سابغةٍ دلاص   ترى تحت النِجّادِ لها غُضونا

وشعرٍ قد أرقْتُ لـه غريـبٍ   أجانبـهُ المَسـانِدَ والمُحـالاَ

يقول ذلك ذو الرمة ، لأنه شاعر كبير لا يريد أن تلحق عيوب الشعر قصائده ، كما لحقتْ قصائد صغار الشعراء ، وذو الرمة كبير شعراء التشبيهات في العصر الإسلامي ، وكان يقول : ـ ((إذا قلت كأنَّ ولم أجدْ مخْلصاً منها ، فقطع الله لساني)) .

ويقول عدي بن الرقاع :ـ

وقصيدة قد بتُّ أجمع بينها   حتى أقوّم ميلَها وسِنادَها

وأقرأ البيت السابع من قصيدة الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي وهو : ـ

زاهدٌ والوفْرُ من حوْلـهِ   وعبيرُ المسْكِ من زهْرِهْ

فأصطدم بالكسر الذي لحق الشطر الأول من البيت ، وأتساءل كيف يخطئ الأستاذ الدكتور الخفاجي وهو منْ هو ؟ .. وأترك الجواب له ، فلعلَّ هناك خطأً مطبعياً لم ينتبه إليه الدكتور الخفاجى قد لحق بالقصيدة ، والشطر : ـ (زاهدٌ والوفْر من حوْلـهِ) ليس من وزن

كأنَّ متونَهُنَّ متونُ غُدْرٍ   تُصفّقُهـا الرياحُ إذا جَرَيْنا

وفي البيتين اختلاف بين الفتحة من جهة ، وبين الضمة من جهة أخرى ، يجعل الردف ليناً مرة ، ومداً أخرى ، وهو غير جائز ، والحديث بينهما طريف ، وهو مدون في الصفحة (٣٣٠) من رسالة الغفران لأبي العلاء المعري طبعة دار المعارف بمصر بتحقيق الدكتورة / عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) .

القصيدة ، ويستقيم لو قال الخفاجي : ـ زاهِدٌ والمالُ في يدِهِ) ونقطعه هكذا : ـ

زاهدنْ وَلْ	مالُ في	يدهي
٥١٥١١٥١	٥١١٥١	٥١١١
فاعلاتُنْ /	فَاعِلُنْ /	فَعَلُنْ

وأما قوله : ـ (زاهدٌ والوفْرُ منْ حَوْلِهِ) ، فهو من المديد الذي عروضه (فاعِلنْ) ، وضربه (فاعِلُنْ) أيضاً ، وشاهده : ـ

اعْلمــوا أنّــي لكــمْ حــافظٌ شــاهداً مــا كنــتُ أوْ غائبــا

ولا يجوز إطلاقاً أن نجمع بين عروض محذوفة ، وضربها محذوف ، وعروض محذوفة مخبونة ، وضربها أبتر ، في قصيدة واحدة ، إلاّ إذا كانت هناك شواهد من الشعر الفصيح ، لم نطّلعْ عليها .

ثم أقرأ البيت الثامن من القصيدة ، وهو : ـ

ظــامئٌ والنــاسُ أجمعُهــمْ يتمنَّــونَ الــوِرْدَ مــن نهْــرِهْ

فأجد الشطر الثاني من البيت مكسوراً ، ويستقيم لوقال : ـ

ظــامئٌ والنــاسُ أجمعُهــمْ يشْربونَ المــاءَ مــن نهْــرِهْ

ونقطع البيت هكذا : ـ

ظامئن ون	ناس أجـ	معهمْ	يشربون ل	ماء منْ	نهْرهْ
٥١٥١١٥١	٥١١٥١	٥١١١	٥١٥١١٥١	٥١١٥١	٥١٥١
فاعلاتنْ	فاعلنْ	فَعَلنْ	فاعلاتنْ	فاعلنْ	فعْلنْ

ثم أقرأ البيت الثالث عشر وهو : ـ

كـرمُ الـنفْسِ لـهُ ديْدَنُـهُ ويحـارُ العقـلُ فـي سِـرّهْ

فخرج الخفاجي بوزن هذا البيت ، من المديد ذي العروض المحذوفة المخبونة (فَعَلنْ) بتحريك العين ، والضرب الأبتر (فَعْلنْ) بسكون العين ، إلى المديد الذي عروضه محذوفة (فاعلنْ) ، وضربه أبتر (فَعْلنْ) ، وهو أمر غير وارد في الشعر العربي ، إلاّ في حالة التزام الشاعر هذا الوزن في أبيات القصيدة كلها ، وإني لأتساءل : ـ كيف يقع الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في هذا الخطأ العروضي الكبير ، وهو من ألّف في علم العروض ، وله كتاب مشهور ، يُتْلى على الطلاب [1] ..

---

[1] صدر هذا الكتاب بعنوان (الشعر العربي ، أوزانه وقوافيه) مطبوعاً في سنة ١٣٦٧هـ بمطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، وأهدى المؤلف كتابه إلى الإمام الشيخ محمد مأمون الشناوي (رحمه الله) ، شيخ الجامع الأزهر الشريف ، والكتاب قام بتصحيحه علماء من الأزهر ، برئاسة الشيخ أحمد سعد علي (رحمه الله) .

ويستقيم وزن بيت الدكتور الخفاجي لوقال : ـ

كـــرمُ الـــنفْس لـــه خلُــقٌ ويحـــارُ العقـــلُ فـــي ســـرّهْ

ونقطع هذا البيت هكذا : ـ

كرم ننف	س لهو	خلقن	ويحار ل	عقل في	سررهْ
٥١٥١١١	٥١١١	٥١١١	٥١٥١١١	٥١١٥١	٥١٥١
فعلاتنْ	فعلنْ	فَعَلنْ	فعلاتنْ	فاعلنْ	فعْلنْ
مخبون	مخبون	مخبون محذوف	مخبون	سالم	أبتر

ثم أقرأ البيت السادس عشر وهو : ـ

مخلصُ الوجْهِ لمــولاهُ فـــي سعةِ العـــيْشِ وفـــى عُسْـــرِهْ

ويقع الخفاجي فى الخطأ العروضي الـذي لحق البيت الثالـث عشر من قصيدته ، ويستقيم البيت هكذا :ـ

مخْلـــصُ الوجْـــهِ لخالقـــهِ سعةً في العـــيْشِ أو عُسْـــرِهْ

ثم أقرأ البيت العشرين من قصيدة الخفاجي وهو : ـ

ســـنواتٌ ومضَـــتْ خلْســـةً أين منها اليـــوم فـــي جمْـــرِهْ

ويقع الخفاجي في الخطأ العروضي الذي ذكرته آنفاً ، ويستقيم وزن البيت هكذا : ـ

سـنواتٌ خِلْسـةً ذهبـتْ   أيْن منها اليـوم فـي جمْـرِهْ

وإن كنت لم أفهم معنى الشطر الثاني من البيت ، ولعلّ خطأً مطبعياً قد لحقه .

ثم أقرأ البيت الذي يليه وهو : -

لكَ عبـدُ اللهِ منّـي الـدعاء   ضُحى العيـدِ وفـي فجْـرِهْ

وهو بيت مكسور ، ويستقيم لو قال الخفاجي : -

ودعـائي لَـكَ فـي سَـحَرٍ   في ضُحى العيدِ وفـي فَجْـرِهْ

ونقطع البيت هكذا : -

ودعائي	لك في	سحرن	في ضحـ لعيـ	دو في	فجْرهْ
٥١٥١١١	٥١١١	٥١١١	٥١٥١١٥١	٥١١١	٥١٥١
فعلاتُنْ	فَعَلنْ	فَعَلنْ	فاعلاتنْ	فَعَلنْ	فعْلُنْ
مخبون	مخبون	مخبون	سليم	مخبون	أبتر
	محذوف	محذوف		محذوف	

وبعد ما انتهيت من قراءة قصيدة الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، في مديح الأستاذ الكبير عبد الله عبد الجبار ، تذكرت ما كتبه أحد المحررين الكبار في مجلة الهلال المصرية الصادرة في شهر مارس من عام ١٩٩٧ م ، وهو يردّ على أحد القراء الذي عاتب مجلة

الهلال ، التي تهمل قصائده ولا تنشرها له ، وهو الشاعر الذي ترحّب به المجلات والجرائد الخليجية .

ويكتب هذا المحرر الكبير في مجلة (الهلال) ، ويقول : ـ (قصيدتك يا أخي مكسور أكثر أبياتها ، فيتعذّر علينا نشرها ، وأما المجلات الخليجية التي تنشر إنتاجك وترحب به ، فإنها مجلات لا تفرق بين وزن الشعر ووزن برميل النفْط) .

ومن المصادفات العجيبة ، أن أقرأ بعد ذلك مقالة للأستاذ الأديب المصري المعروف (إسماعيل النقيب) ، منشورة في جريدة الأخبار ، في العدد الصادر في يوم الاثنين ١٠ من مارس ، من العام ١٩٩٧ م ، يقول فيها الأستاذ إسماعيل النقيب مانصه : ـ (رحم الله ذلك الشاعر القديم ، الذي قال هذا البيت الجميل ، من قصيدته الجميلة ، وهذا البيت يقول : ـ

وأطيبُ الأرض ما كان للفؤادِ فيه هوىً

(سَمُّ الخِياطِ) مع الأحْباب ميْدانُ

فعجبت من كاتب كبير ، كإسماعيل النقيب ، لا يحسن قراءة بيت شعر واحد ، وتساءلت في عجب !! من الذي لا يفرّق بين وزن الشعر ، وبين وزن برميل (....) ، وأحذف اسم البرميل من كلامي ، لأن

أنواع البراميل كثيرة في بلدي الثاني مصر ، وأطلب الجواب من مجلة الهلال المصرية الموقّرة .

والبيت الذي أورده الأستاذ النقيب ، لايستقيم وزنه إلاّ إذا قلنا : ـ

وأطيبُ الأرض ما للقلب فيه هوىً

(سَمُّ الخياط) مع الأحباب ميْدانُ

وهو من البحر البسيط ، ووزنه هكذا : ـ

متفْعلنْ / فاعلنْ / مستْفعلن / فَعَلُنْ

مستْفعلنْ / فعَلُنْ / مستْفعلنْ / فاعِلْ

وقد قمت بتصحيح الشطر الأول من البيت من الذاكرة ، مراعياً بذلك وزن الشطر الثاني ، وآمل أنْ يكون مطابقاً لنص البيت ، لأنه بيت مشهور ، يدور على ألسنة الناس ، ممن يعشقون الشواهد الشعرية ، التي تدعو إلى الحكمة ، والموعظة الحسنة ..

ذكرت ماقرأته في مجلة (الهلال) وما قرأته في جريدة (الأخبار) المصريتين ، ودوّنته في مقالتي هذه ، ليقرأه حبيبنا الدكتور عبد الله المعيقل ، ويرفع عنّي عِتابه الذي صرّح به في جريدة الرياض الغراء ، الصادرة في يوم الخميس ١٦ من محرم ، من عام ١٤١٨ هـ ، حيث قال : ـ

(إنني أغبط الأستاذ العبّادي على علْمه الواسع والعميق في الشعر وبحوره ، وهو علم لا يتأتّى بالدراسة وحْدها ، وإنّما أيضاً بالفطْرة والسليقة وامتلاك الحس ، الذي يميز بين الإيقاعات المختلفة ، وليس الغرض هنا تتبع المسائل التي تعرّض لها الكاتب الكريم ، وهي كثيرة ، ولا التعبير عن اختلاف معه فيما طرحه من قضايا في علم الشعر والقافية ، ولا تعدو كتابتي هذه كونها تداعيات بسبب العنوان ((ماهكذا يكتب الشعر)) ... ثم يقول الدكتور عبد الله المعيقل : ـ

(لقد بدا لي أن صياغة العنوان بهذا الشكل ، لم تخل من سلْطوية قمْعية ، كما تحمل خطورةً ربما لم ينتبه إليها ولم يقصدها الأستاذ العبّادي ، ثم يقول الدكتور المعيقل : ـ

ولعلّي هنا أتساءل مع الأستاذ العبادي : ـ

هل للشعر حدود ؟ ومن يضع هذه الحدود ؟ وهل يعرف الشعر ؟ حتى نتعلمه ونعلمه ، أم أنّ الشعر يكتشف ، وما يُكتشفُ لا يعرف ، لأنه متجدد ومتغير ، يسْتعْصي على التقنين والتجديد والتعريف) .

وأقول لحبيبنا الدكتور عبد الله المعيقل : ـ

إني والله لم أحرر مقالتي للسلطة والقمْع ، وأنا رجل مسالم مكثتُ في التدريس ثلاثاً وأربعين سنة ، وتعمَّلْتُ[1] من أجل تلامذتي ، وأشعر بما تعنّيتُ واجتهدتُ ، في احتفائهم بي ، بعد ما رأيت منهم العالم النحرير ، والوزير الكبير ، والمدرس القدير ، والمدير الناجح الأمين ..

الشعر يا حبيبنا عبد الله موجود في كل نفس من ذكر وأنثى ، ولكني رأيت الكثيرين في هذا العصر رجالاً ونساءً ، قد انتحلوا هذا الاسم ، وألحقوه بهم ظلماً وعدواناً ، إلحاق الواو بعمرو .

رأيت شعراء يقتحمون الشعر العمودي ، وهم لا يحسنون صنعاً ، جفاة الطبع ، لم تجتمع لهم آلة الشعر ، وآخرين يقتحمون شعر التفعيلة ، وهم كالعميان ، يتناولون الأشياء ويضعونها في غير موضعها ، وهم لا يعلمون أنهم عميان .

ورأيت من يكتب (قصيدة النثر) التي يسمونها ، فيأتي بكلام منقول بحذافيره ، مما يقرؤه من شعر الشعراء الأجانب المغمورين ، فيترجمه إلى اللغة العربية ، مستعيناً بمعرفته بلغة القوم ، وينسبه إليه ...

---

[1] تَعمَّلْتُ :ــــ من أجل فلان وله وفي حاجاته ، اعتنيت به واجتهدت .

وقد ترجم لي أحدهم بعض هذه القصائد ، وأجْرى عليها بعض التعديلات .

وقال لي : ـ

((أربأ بنفسي أن أضعها في موضع لا تحسنه هذه النفس ، وأَرسلُ هذه القصائد إلى الصحف منسوبة إليَّ ، لتشق طريقها إلى النجاح ، في زمن اختلط فيه الحابل بالنابل)) ...[1]

وأسوق إلى الدكتور عبد الله المعيقل ، بعض الحكايات التي أردت أن أسردها ، عندما قلت في مقالتي هذه : ـ وليتعزَّ محررو الملاحق الأدبية العارفون ، إذا ما تلقّى بريدهم القصائد المخزيات ، وليتعزوا بما جاء في كتب التراث من حكايات ، تعينهم على أن لا يلتفتوا إلى الشعر الغث ، والقريض المهلهل .... ولا تثريب عليهم إذا ما ألقوا بالشعر المحنّط في وجوه أصحابه ، غير هيّابين بنقدهم ونقد أتباعهم ، وهم عصبة لها شأن .

روى العتبي قال : ـ قال أبي : ـ

وأنشدني أبو وائل ـ وهو من الشعراء المَرْورين : ـ

ما أوجَعَ البيْنَ مـن غريـبٍ فكيف إنْ كـانَ مـن حبيـبِ

[1] وقائل هذا القول :ـ هو ابنى الطبيب الجراح د / حاتم العبادي

يكــادُ مــن شــوْقه فــؤادي   إذا تذكّرتُـــــــهُ يمـــــــوتُ

فقال له أبي : ـ

(إنّ قافية البيت الأول (باء) ، وقافية البيت الثاني (تـاء) ، فقـال لأبي :

لا تنقط شيئاً ... فقال له أبي : ـ

ياهذا ، إن الأول مخفوض ، والبيت الثاني مرفوع ...

فقال لأبي : ـ أنا أقول لا تنقّط ، وهو يشكّل)

والعتبي هذا قد دخل عليه أبو العيناء يعوده وقد مرض .. فقال العتبي لأبي العيناء : ـ

ما أجزع من الموت ، كجزعي من (أبي مسلم الخلق) ، لأني أخاف أن يرثيني كما رثى الأصمعي .

وأبو العيناء هذا يقول : ـ

((عــرض رجــل علــى الأصــمعي شــعراً رديئــاً ، فبكــى الأصمعي ، فقيل له ما يبكيك ؟ قال : ـ يبكيني أنْ ليس لغريب قدْرٌ

وحرمة ، لو كنت ببلدي بالبصرة ، ما جسر هذا أن يعرض عليّ هذا الشعر وأسكتُ عنه ، ولا أضربه ضرباً مبرّحاً ، حتى يتوب)) [1] .

فهل يريد منا الدكتور عبد الله المعيقل ، أن نفعل مثلما فعل الأصمعي ، أو يريد منا أن نقول مثلما قال : ـ علي بن المنجّم : ـ

(أكثر هذه الأشعار الساذجة الباردة تسقط وتبطل ، إلى أنْ تُرْزق حمقى ، فيحملون ثقلها ، فتكون أعمارها عدة أعمارهم ، ثم ينتهي بها الأمر إلى الذهاب ، لأنها تُنفى مع الزمن وتبطل) .

فإذا أخذنا بقول ابن المنجّم ، فسننتظر طويلاً ، ولا ننبس بكلمة ، حتى يموت أصحاب هذه القصائد المحصْرمة ، ويموت رواتها ، وقد يموت النقاد قبلهم .

والدكتور عبد الله المعيقل يعلم حق العلم : ـ (أن الشعر مزلة العقول ، وذلك أن أحداً ماصنعه قط فكتمه ولو كان رديئاً) ، كما صرح بذلك ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة ، ولقد صدق ابن

---

[1] وكان أبو الينبغي من الشعراء العباسيين ، يستعمل اللغة العامية في شعره ، ولا يهتم بالإعراب ، ويتعمد ذلك ، ليشيع شعره على ألسنة العامة ، وقد أمر المأمون بإحضاره لينشده ، فأنشأ يقول :ـ

كنتمُ انتمْ ثلاثهْ ... كلكم نسلُ الملوكْ

ذهب الموت بواحدْ ... ما أرى ذاك يَسُوكْ

فغضب منه المأمون ، ثم رضي عنه ، بعد ما قال على جنونه شبيهاً بالحق .

رشيق القيرواني ، فرأينا ما تعج به الصحف والمجلات من شعر رديء غث ، يقول أصحابه عنه وأتباعهم : ـ إنه شعر مطبوع ، ونقول لهم : ـ إنه مطبوعٌ على قلوبهم ، ونستشهد بقول أبي إسحاق الصابي : ـ

لقد شانَ هذا الشعرَ قومٌ ، كلامُهم
إذا نظموا شعراً من الثلْج أبردُ

فيا ربّ إنْ لمْ تهدِهمْ لصوابهِ
فأضْللْهمو عن وزْن ما لم يجوّدوا

وليعذرْني أحبائي القراء الكرام ، إذا رأوني أستطردُ في الكلام ، وأنتقل من أمر إلى آخر ، وأعود إلى ما كنت بصدده ، ويطّردُ الأمر لهم بعد ذلك إن شاء الله ، ولا ينقطع .

وأقرأ في جريدة (عكاظ) الغراء ، في عددها الصادر في يوم الأحد ، التاسع من محرم ، من عام ١٤٢٠ هـ ، قصيدة للشاعر (محمد صالح باخطمة) ، والشاعر قد عرفته شاعراً قديراً ، له شعر يأخذ بمجامع القلوب ، ويشنّف الآذان ، ويطرب السامعين ، إلاّ أنّ

قصيدته (خُطىً وأهْداف) ، المنشورة في العدد من عكاظ الذي أشرت إليه آنفاً ، جاءت مكسورة الوزن ، مضطربة معانيها ، قد لحق الكسر خمسة أبيات من القصيدة التي لا تتعدّى أبياتها عشرة أبيات ، يقول الأستاذ الشاعر محمد صالح باخطمة : ـ

في المصْعد رائحة الأحلامِ ورؤى تشتاق لأن تسعدْ

فيأتي بالبيت مكسوراً ، ويستقيم لو قال : ـ

في المصعد رائحة الأحلامِ رُؤىً تشتاق لأنْ تسْعدْ

فنحذف الواو ، التي عطفت (رؤى) على (الأحلام)

ونقطّع البيت هكذا : ـ

فلمصـ	ـعدرا	ئحةلـ	أحْلا	م رؤنْ	تشْتا	ق لأنْ	تسْعدْ
٥١٥١	٥١١١	٥١١١	٥١٥١	٥١١١	٥١٥١	٥١١١	٥١٥١
فعْلنْ	فعَلُنْ	فعَلنْ	فعْلُنْ	فعَلُنْ	فعْلنْ	فعَلُنْ	فعْلُنْ

وقصيدة شاعرنا من البحر (المتدارك) أو (المحدث) ، ووزنه في دائرته :ـ فاعلنْ / فاعلنْ / فاعلنْ / فاعلنْ .. .. . مكررة ، والشائع في هذا البحر عروضان ، وأربعة أضرب ، لا داعي لذكرها [1] ، لأن هذا البحر معدوم في الشعر القديم ، ولم يأتِ به إلا

---

[1] وقد ذكرتها آنفاً في كتابي هذا .

المتأخرون من الشعراء ، ولم نقرأ تفعيلات هذا البحر (سالمة) على (فاعلنْ) ، في قصيدة كاملة .

قال الصّبان : (حَكَم كثيرٌ بشذوذ هذا البحر سالماً ، وأن المطّرد استعماله مخبوناً) انتهى ما قاله الصبّان ..

ونقول : -

إنّ الخبن في (فاعلنْ) ، لتصير (فَعَلنْ) بتحريك العين ، وإنّ القطْع في (فاعلنْ) ، لتصير (فاعلْ) ، وتحوّل إلى (فعْلُنْ) بسكون العين ، كثيراً ما يأتيان في تفعيلاته ، فيأتي بعضها مخبوناً (فعَلنْ) بتحريك العين ، وبعضها مقطوعاً (فَعْلُنْ) بسكون العين ، مثل : -

يا لَيْلُ الصبُّ متى غدُهُ   أقيامُ الساعةِ موعدُهُ

وقد يدخل القطع جميع أجزائه ، مثْل :-

إنَّ الدنيا قدْ غرَّتْنا   واستهوْتنا واستلْهتْنا

وقد يدخل الخبنْ جميع أجزائه ، مثل : -

كُرةٌ طُرحتْ بصوالجةٍ   فتلقّفَها رجُلٌ رجُلُ

وتأتي عروض هذا البحر (المتدارك) مخبونة ، وأخرى مقطوعة ، في القصيدة الواحدة ، وأما الضرب ، فلايأتي إلاّ مخبوناً ،

أو مقطوعاً ، فلا يأتي ضرب مخبون ، وآخر مقطوع ، في قصيدة واحدة .

وقد التزم شاعرنا باخطمة الضرْبَ المقطوع في قصيدته ، فجاءت أضرب قصيدته كلها على وزن (فعْلُنْ) بسكون العين .

ثم يقول باخطمة في قصيدته : ـ

وغيـــومٌ حُبْلَـــى بـــالأفراح   وتكـــاد لمـــا تحمـــلْ ترعـــدْ

فيكسر البيت ، ويستقيم وزناً ولغة لو قال : ـ

وغيـــومٌ حُبْلـــى فـــى فَـــرَحٍ   كـــادتْ مـــن أفـــراحٍ ترْعـــدْ

لأن الشطر : ـ (وتكاد لما تحمل ترعدْ) قد خان شاعرنا التوفيق حين قاله ، إذْ أتى به مكسوراً ، كما كسر الشطر الأول ، بزيادة حرف الحاء ، من كلمة (الأفراح) ، وجملة : ـ (وتكاد لما تحمل ترعد) . . جملة سقيمة ، تحتاج إلى إعادة نَظَرٍ من الشاعر .

ونقطع البيت هكذا : ـ

وغيو	منْ حب	لى في	فرحنْ	كادتْ	من أف	راحنْ	ترعد
٥١١١	٥١ ٥١	٥١ ٥١	٥١١١	٥١ ٥١	٥١ ٥١	٥١ ٥١	٥١ ٥١
فعَلنْ	فعْلنْ	فعْلنْ	فعَلنْ	فعْلنْ	فعْلنْ	فعْلنْ	فعْلنْ

ثم يقول الشاعر محمد صالح باخطمة : ـ

من أيْنَ أتــتْ ولأيْــن تريــدُ   وإلى منْ في الــدارةِ تقصــدْ

فيكسر البيت ، ويستقيم لو قال شاعرنا : -

من أيْن أتَــتْ ولأيْــن تريــدُ   إلــى مــنْ فــي دارٍ تقصُــدْ

ونقطّع البيت هكذا : -

من أي	ن أتتْ	ولأي	ن ترى	د إلى	من في	دارن	تقصدْ
٥١٥١	٥١١١	٥١١١	٥١١١	٥١١١	٥١ ٥١	٥١٥١	٥١٥١
فعْلنْ	فعَلنْ	فعَلنْ	فعَلنْ	فعَلنْ	فعْلنْ	فعْلنْ	فعْلنْ

ثم يقول باخطمة : -

لحبيــــبٍ قــــدمتْ يكـــذِبها   تكْذبــــهُ بالحـــبّ وبالوجْــدْ

فيكسر البيت ، ويستقيم لوقال شاعرنا : -

لحبيــــبٍ جــــاءتْ يكـــذبُها   كذبتْــــهُ بحُـــبٍّ لا يُجْحــدْ

ونقطع البيت هكذا : -

لحبيبنْ	جاءتْ	يكذبها		كذبتْه		بحبن	لاُ يجْحدْ
٥١١١	٥١٥١	٥١٥١	٥١١١	٥١١١	٥١١١	٥١٥١	٥١٥١
فعَلنْ	فعْلنْ	فعْلنْ	فعَلنْ	فعَلنْ	فعَلنْ	فعْلنْ	فعْلُنْ

ثم يقول شاعرنا باخطمة : -

ومضــيتُ إلــى شــتّى الأقــوالِ   لــم أرْسُ علــى قــولٍ أوْحــدْ

فيكسر البيت ، ويستقيم لو قال : -

ومضَيْتُ لشتَّى أقوالي لم أرْسُ على قوْلٍ أوحَدْ

ومضيْ	تُ لشت	تا أقْ	و الي	لمْ أرْ	سُ على	قولنْ	أوْ حَدْ
٥١١١	٥١١١	٥١٥١	٥١٥١	٥١٥١	٥١١١	٥١٥١	٥١٥١
فعَلنْ	فعَلنْ	فعْلنْ	فعْلنْ	فعْلنْ	فعَلنْ	فعْلنْ	فعْلُنْ

ثم يختتم شاعرنا قصيدته ببيتين مستقيمين .

وأتجه بعد ذلك كله إلى ملحق جريدة المدينة الغراء ، الصادر في يوم الأربعاء ١٨ من شهر صفر ، من عام ١٤٢٠ هـ ، لأقرأ قصيدة للدكتورة سلوى محمد عمر عرب ، رئيسة قسم اللغة العربية بجامعة الملك عبد العزيز ، وقد عرفت الدكتورة سلوى بعد أن قرأت رسالتها (شرح جمل الزجَّاجي) لا بن خروف ، التي أعدتها لنيل درجة الدكتوراه ، وقد أهْدى إليَّ هذه الرسالة في جزءين ، حبيبنا الأستاذ الدكتور عياد بن عيد الثبيتي ، وهو أستاذ في علم النحو ، والصرف ، والعروض ، وأحد أعضاء إدارة النادي الأدبي بالطائف ، وقد قرأت الرسالة ، فسرني ما كتبته ابنة الطائف الدكتورة سلوى محمد عمر عرب ، وأعلنتُ سروري وإعجابي لحبيبنا الدكتور عياد الثبيتي ، وهنأته بمثل هذه الطالبة الجليلة ، رحم الله والدها ، حبيبنا وصديقنا الشيخ محمد عمر عرب ، وأسكنه فسيح جناته .

وأعود إلى قصيدة ابنتنا الدكتورة سلْوى التي تكونتْ من أربعة عشر بيتاً ، وتطرّق الكسر إلى بيتين منها ، ولولا احترامي لا بنتنا الفاضلة سلْوى لغضَضْتُ النظر ، وما نطقتُ بحرف ، ولا ترمْرمتُ بلفظة .. إلاّ أنني رأيتها لم تأخذْ لأمر الشعر أُهْبته ، ففرَّطَتْ وتوانتْ ، ولو تريثتْ وعرضَتْ ماكتبته على أستاذها الدكتور عياد الثبيتي ، لدلَّها على الصحيح ، فاستفادتْ منه ، وإني لم أر مثله في طبقة المعاصرين من علماء العروض ، وقد يتكاءدني أمر في هذا العلم فالجأُ إليه ، فأجد عنده بغْيتي ، ومفْضَى أمري ... تقول الشاعرة الدكتورة سلْوى : -

قد تنامَى بأنّ كلَّ عظيمٍ خلفَهُ بنت حوّاءَ تقبعْ

والبيت من البحر الخفيف ، الذي عروضه صحيحة (فاعلاتنْ) ، وضربه صحيح (فاعلاتنْ) ، وبيت الشاعرة سلوى مكسور ، ويستقيم لو قالت : -

قد تنامَى بأنّ خلْفَ عظيمٍ إبنةً من بنات حوّاءَ تقبعْ

أو قالت : -

قدْ تنامَى بأنّ كلَّ عظيمٍ خلْفَهُ إبنةٌ لحواءَ تقبعْ

ونقطع البيت هكذا : -

قد تنامى	بأن ن كل	ل عظيمن	خلفهو إب	نتن لحو	واء تقبعْ
٥١٥١١٥١	٥١١٥١١	٥١٥١١١	٥١٥١١٥١	٥١١٥١١	٥١٥١١٥١
فاعلاتنْ	متفْع لنْ	فعِلاتنْ	فاعلاتنْ	متفْع لنْ	فاعلاتنْ

وتقول الشاعرة سلوى : ـ

إنَّ قلباً أسرتيه حبّاً وشــوْقاً كيف ياسموَّ الأميــرةِ يصــنعْ

والشطر الأول من البيت مكسور ، ويستقيم لو قالتْ : ـ

إنَّ قلباً أســرتِهِ ذابَ شــوْقاً كيف ياسموّ الأميــرةِ يصــنعْ

ونقطعه هكذا : ـ

إن ن قلبن	أسرتهي	ذاب شوقن	كيف ياس	مو و لأمي	رة يصنعْ
٥١٥١١٥١	٥١١٥١١	٥١٥١١٥١	١٥١١٥١	٥١١٥١٥١	٥١٥١١١
فاعلاتنْ	متفْع لنْ	فاعلاتنْ	فاعلاتُ	مسْتفْع لنْ	فعلاتُنْ
سليم	مخبون	سليم	مكفوف	سليم	مخبون

ونجـد أيضـاً أن التفعيلـة الأولى مـن الشـطر الثـاني قـد دخلـها (الكـفّ) ، وهـو حـذف الحـرف السـابع السـاكن ، والعروضـيون يعدون دخول هذا الزحاف في البحر الخفيف شاذاً ، فيحسن بالشعراء أن يتجنّبوه .

والكف قد دخـل التفعيلـة الأولى مـن الشـطر الأول مـن البيـت الثاني ، من قصيدة الشاعرة سلوى وهو : ـ

(أنْتِ في دُنا العلْمِ جوهرُ عِزٍّ)

ونقطعه هكذا : ـ

أنت في د	نلعلم جو	هر عززن
١٥١١٥١	٥١٥١ ٥١١	١١ ٥١٥١
فاعلاتُ	مستفْع لنْ	فعِلاتنْ
مكفوف	سليم	مخبون

والبحر الخفيف يدخله من الزحاف الخبْن ، وهو حذف الثاني الساكن ، فتصير (فاعلاتنْ) بالخبْن (فَعِلاتنْ) ، وبالكفّ (فاعلاتُ) ، وبالشكْل (فَعلاتُ) ، وتصير (مستفْع لنْ) بالخبن (مفاعِلُنْ) ، أو (متفْعِلنْ) ، وبالكف (مستفع لُ) ، وبالشكل (مفاعلُ) ، وتجري هذه الزحافات في الخفيف ، وفق قاعدة المعاقبة ، والمعاقبة أنواع يطول الحديث عنها [1] ، ويمتنع الطي في الخفيف ، وهو حذف الرابع الساكن من (مسْتفْع لنْ) ، أعَروضاً كانت أم ضرْباً ، أم حشْواً ، لأنّها هنا ذات وتد مفروق لايدخله

---

[1] وهي تجاور سببين خفيفين في تفعيلة واحدة ، أو تفعيلتين متجاورتين سَلِما معاً من الزحاف ، أو زوحف أحدهما ، وسلم الآخر ... والحديث عن المعاقبة يطول شرحه ، ولا يفهمه إلاّ الخاصة من القراء ، فأدع الحديث عنها إلى مقالة أخرى ، إذا كان في العمر فسحة ...

الزحاف ، ويجوز التشعيث في (فاعلاتنْ) ، إذا وقعتْ ضرباً ، فتصير (فالاتنْ) أو (فاعاتنْ) ، وتحوّلُ إلى (مفعولنْ) .

وقصيدة الدكتورة (سلوى) قصيدة جميلة لشاعرة مقلّة ، لم نقرأ لها قصائد من قبل هذه القصيدة ، ولعلّ في الجعبة شعراً تقصَّتْ فيه الغاية ، وبلغتْ فيه النهاية ، فتوثّقتْ عُراه ، واستقامتْ دعائمه ..

وأخيراً لقد تلقيتُ من مدةٍ ، رسالة كريمة من الابن الكريم المفضال الدكتور حمود محمد الصميلي ، يعقّبُ على ما كتبته في جريدة الرياض ، حول قصيدته (أنين الشعر) التي نشرها في ملحق جريدة المدينة ، الصادر في يوم الاربعاء ٢١ من ربيع الأول من عام ١٤١٩ هـ ، تقول الرسالة : -

(أتمنى لسعادتكم الصحة والعافية ودوام التوفيق ، وأشكركم على تناول قصيدتي (أنين الشعر) بالنقد والتصحيح ، في زاويتكم الناجحة بجريدة الرياض ، وأغلب ملاحظاتكم صحيح ، ويزيد القصيدة اكتمالاً ، ثم أخذ الدكتور الصميلي يناقشني بهدوء ، متحلياً بأخلاق العلماء الفضلاء ، وكان على صواب في كثير مما ساقه دفاعاً عن قصيدته ، وكنتُ متسرّعاً في بعض ما كتبته عن القصيدة المذكورة ، وقد اضْطررْتُ أن أعود إلى قراءة قصيدته (أنين الشعر) ، المنشورة في كتاب (الموسم الثقافي لكلية اللغة العربية) ، الذي أهداه إليَّ

الابن الأديب الدكتور حمود الصميلي .. . وقرأت معها قصيدتين للشاعر الصميلي ، الأولى (رسالة إلى جاحد) ، والثانية (مرارة الوداع الأخير) .. . فأعترف بعد قراءة هاتين القصيدتين ، أني غمطتُ حق شاعرنا الصميلي ، وهو شاعر يشق طريقه إلى الكمال ، ويتسامَى بأسلوبه بين عواصف العجْمة ، وظلمات العامية التي راج سوقها ، وكثر روادها .

وأما قوله في رسالته الكريمة : ـ (وأرجو ألاَّ يبخل علينا سعادتكم بالنقد والتصحيح ، في جريدة أو غيرها ، لأني لست من الذين يعاودون تصحيح القصيدة كثيراً ، وسمعت عنكم كل خير في القدرة العلمية ، والاطلاع الواسع ، وأتمنَّى لسعادتكم المزيد) .

فإني أقول له : ـ

(بارك الله فيك ، وأكثر الله فينا مثلك ، وسيكون لك شأنْ كبير في الشعر ، وستأتي به مجلوّاً مسفراً مفعماً بالنفحات الشعرية ، والومضات [1] العبقرية ، ورسالتك حملتْ إليَّ أخلاق العلماء ، ولكني ألومك إذا لم تعدْ إلى قصائدك مصحّحاً ومراجعاً ، كغيرك من

---

[1] وقد صدق فيه حدْسي ، فأخرج له النادي الأدبي بالطائف ديوان (تجاعيد المرايا) في حلة قشيبة ، وقد احتوى على قصائد حذّاء ، قد حازت رضى القارئ ، و توفي رحمه الله فى حادث مروري بمكة فى يوم الثلاثاء ١٤٢٤/٦/٢٨هـ ودفن فى مساء هذا اليوم بمكة المكرمة ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

الشعراء الذين يحرصون على شعرهم ، ويعاودون قراءته ، مرة بعد أخرى ، والوهم يقع فيه الكبار قبل الصغار من العلماء الأجلاّء .

١٥

قال بشَّار بن بُرْد : ـ

إنَّ في بُرديَّ جِسْماً ناحلاً … لو توكَّأْتِ عليْهِ لا نْهدَمْ

وقال ابن الرومي : ـ

أنا منْ دقَّ واستدقَّ فما يشْـ … ـغُلُ أرْضاً ولا يسُدُّ فضاءا

وقال المتنبِّي : ـ

كفَى بجسْمي نُحولاً أنَّني رجلٌ … لولا مخاطَبتي إيّاكَ لمْ ترنِي

وقال أبو تمَّام : ـ

ذبتُ من الشوْق فلو زُجَّ بي … في مقْلةِ النائمِ لم ينتبِهْ

قدْ كانَ لي فيما مَضَى خاَتمٌ … فالآنَ لو شئْتُ تمنْطقْتُ بِهْ

وقال آخر : ـ

لو أنَّ إبرةَ رفَّاءٍ أُكَلِّفُها … جريْتُ في ثُقْبِها من دقّةِ البدَنِ

فالشعراء الخمسة ، تصدّوْا إلى معنًى واحدٍ ، وهو النحول ، فلو قال أحدهم : ـ إني نحيل ، أو إنَّ من أُحبها نحيلة ، ضاوية الجسم ، أي عبّر عمَّا يريد أن يصف به نحوله أو نحولَ غيره ، تعبيراً مباشراً واضحاً صريحاً ، لما سمّيْنا قوله شعراً ، لخلو قوله من الجمال اللفظي الذي هو أساس الشعر وأصله .. أو كما قال أبو العلاء المعري :ـ ((لخلوه من الكلام الموزون الذي تقبله الغريزة ، على شريطة إن زاد أو نقص أبانه الحس)) [1] .

وأين الجمال اللفظي فيما نقرؤه في هذه الأيام ، من شعر تنشره الجرائد اليومية ، والمجلات الأسبوعية والشهرية ، ينشر أصحابها والمشرفون عليها قصائدَ ميتةً محنّطةً ، وكأنهم واثقون أن العارفين بالشعر قليلون ، والعالمين بفنه وأصوله غائبون ...

وقد ذكر لنا تراثنا شعراء لم يقولوا إلاَّ بيتاً واحداً ، من الشعر ،أو قصيدة واحدة ، أو بضع قصائد ، فكان اقتصارهم على

---

[1] ومما يستملح قول ابن شادة في هذا المعنى :ـ

قد صِرْتُ نِضْواً فوق فَرْش الهوَى ... كأنّني من دِقّتي خَطُّ

وقوله :ـ

ها أنذا يُسْقطني للْبلَي ... عن فُرُشي أنْفَاسُ عُوَّادي

لو حَسدَ السِّلْكُ على دقّةٍ ... خَلْقاً لأمْسَى بعضَ حُسّادي

ذلك ، دليلاً على أنهم لم يستكْرهوا طبْعهم ، ولم يتعسّفوا فكْرهم ، فيقولـون البيت الواحـد ، أو القصـيدة الواحـدة ، ولا يزيـدون علـى ذلك شيئاً ، خوْفاً من أن يكونوا ممن عناهم الشاعر حين قال : -

وشِعْرٍ يُحشْرجُ مـــن شـــاعرٍ كأنْ قـــد تغرْغَـــرَ بالعَوْســـجِ

أمِنْ قلّةِ الطيرِ ذاتِ الصفير (م) قرعْتُمْ إلى ....

وأحذف بقية البيت حرجاً وأدباً .. وُجلٌّ ما ينشرونه من شعر في هذه الأيام ، إماً منسوخاً ، و إمَّا مسلوخاً ، وإمَّا ممسوخاً ، لم يسلم من الأخطاء العروضية ، أو النحوية ، أو اللغوية .

وقد أشار عليّ الكثيرون من إخوانى ذوي الكفاءات العلمية ، بـأنْ أسكت مجاملـةً ، وأنْ أصـانع في الأمـر الـذي أصـبح متفشياً بـين الشـعراء إلا القلـيلين مـنهم ، وأن أتجاهـلَ مـا أقـرؤه مـن عيـوب وأخطاء ، ترد في شعر بعض المعاصرين من المتشاعرين .. وكيف لي أنْ أتجاهـل مـا يصـمُّ الأذن ، ويُعشـي البصـر ، ويغـثُّ الـنفس ، وكـأن الشاعرة الأعرابية نظرتْ إليَّ حين قالت : -

سقَوْني وقالوا لا تُغَنِّ ولو سَقَوْا

جبالَ حُنيْنٍ مـــا ســـقَوني لغنَّـــتِ

وهذا البيت ، ثالث أبيات بديعة ، قرأتها منذ أربعين سنة ، إن لم تخني الذاكرة ، في كتاب من كتب التراث العظيمة ، التي زودتنا بعلوم وفوائد ، نتلمَّظ بحلاوتها في شيخوختنا هذه الأيام .

تقول الأعرابية لا فُضَّ فوها ، وإخالها من بنى جُشَم من هوازن : -

تمنّتْ أحاليبَ الرِعاءِ وعيشةً بنجْدٍ فلمْ يقدرْ لها ما تمنَّتِ

لها أنَّةٌ بعد العِشاء وأنَّةٌ سُحُيراً ولولا أنّتاها لَجُنَّتِ

سقَوْني وقالوا لا تُغَنِّ .. البيت الشاهد ..... وقد أشار إلى هذه الأبيات الرائعة الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي (رحمه لله)، في كتابه (وحيْ القلم) ، الذي أدعو شبّاننا وشاباتنا إلى قراءته مراتٍ ومراتٍ ، وسيجدون فيه السحر الحلال ، والكتاب كله أحاديث كأنها ماء يترقرق في نهر ، يجري بين أشجار باسقة ، وحدائق غنَّاء ،أوكما قال ابن الرومي : -

ولقدْ سئمتُ مآربي فكأنَّ طيِّبَها خبيثُ

إلاَّ الحديثَ فإنَّهُ مثْلُ اسْمِهِ أبداً حديثُ

وأعود إلى ما أنا بصدده ... فلقد أهْدتْ إليَّ دار المعلمي للنشر كتاباً، أوكتيباً ، احتوى ما قيل في الفريق المعلمي :ـ الأديب المعروف ، يحيى بن عبد الله المعلّمي (رحمه الله) ، والكتاب بعنوان (المعلّمي رجل الثقافة لعام ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م) ، قام بجمع ما فيه من مقالات وتعليقات ، الأستاذ سعيد محمد عويضة ، الذي أطلق على المعلمي اسم : ـ (صاحب السيف والقلم) ، فيكون المعلّمي على رأي سعيد محمد عويضة ، ثالث ثلاثة ، أطْلق عليهم المؤرخون هذا اللقب ، وأنا لا أعرف سيرة الأستاذ عويضة الأدبية والتاريخية ، ولعلّه من المؤرخين الثقات الذين أجهلُهم ، ولكنَّ الأستاذ عويضة يجهل ما قاله ، وإلاّ لما أطلق على المعلمي هذا اللقب .

وأولُ هؤلاء الثلاثة ، أصحاب السيف والقلم : ـ

١)ـ بدر بن عبد الله الجمالي ، أمير الجيوش المصرية ، ووالد الملك الأفضل شاهنشاه الذي قلده المستنصر صاحب مصر ، وزارة السيف والقلم .

ولقد توفّي في سنة ٤٨٧ من الهجرة ، وإليه ينُسب حيٌّ الجمالية بالقاهرة ، هذا الحي الذي استقى منه الأديب الكبير نجيب

محفوظ ، رواياته الثلاث : ـ زقاق المدق ، وبين القصرين ، والسكرية ..

والجَمَالي : بفتح الجيم والميم غير المشددتين .

٢) ـ والثاني :ـ محمود سامي البارودي ، أولُ ناهض بالشعر العربي من كبْوته في عصرنا الحاضر ، وأحد القادة الشجعان ..

٣) ـ والثالث :ـ يحيى بن عبد الله المعلمي (رحمه الله) ، نزولاً على رغبة سعيد بن محمد عويضة ، الذي قرأت كتابه بتؤُدة ورويّة .. .

ووقفْتُ على موضوعاته ، واسترْعى نظري ، واستدعى اهتمامي ، موقف الأستاذ المعلّمي من الشعر العامّي ، ويُطلق المعلّمي هذه التسمية فقط على الشعر الشعبي ، ويعترض على تسميته بالشعر الشعبي ، ويقول رحمه الله : ـ

إن هذه التسمية افتئات ، فالشعب ليس مجموعة من العوام ، بل منهم الكثيرون من المثقفين ، وأساتذة الجامعات ، وأساتذة المدارس وطلا بها ، ورجال الأعمال والبنوك .

وليس لكاتب هذه السطور اعتراض على تسميته بالشعر العامّي ، لأنّ العامّي من الكلام ، ما نطق به العامَّة ، على غير سنن

الكلام العربي الفصيح ، والعامّية لغة العامّة ، وهي خلاف الفصحى ...

وأقول : ـ لا تثريب علينا إنْ سميناه بالشعر الشعبي ، فالشعْب : ـ الجماعة من الناس ، تخضع لنظامٍ اجتماعّي واحد ، والجماعة تتكلم لساناً واحداً ، والذين يقرضون الشعر الشعبي ، هم جماعة من القبائل العربية ، تتكلم لساناً واحداً ، ولهجة واحدة .. . كما فسر ذلك علماء المعاجم العربية .

وأعود إلى الكتّيب ـ تصغير كتاب ـ الذي قام بتأليفه وجمعه الأستاذ سعيد محمد عويضة ، الذي سمح لشعر محصْرم رديء أنْ ينشر في كتيبه ، يؤرخ فيه سيرة أديبنا الفريق يحيى عبد الله المعلّمي (رحمه الله) ، وهو أحد الأعضاء المراسلين للمجمع اللغوي بالقاهرة ، حماة اللغة العربية ..

يقول أحد شعراء الكتّيب ، واسمه المشتاق ناصر مصطفى ، يمدح المعلّمي : ـ

يا عمادَ الآداب علَّمْتَ أجيالاً   ودرّسْتَ منْهجاً عسْكريّا

والبيت يمشي ظالعاً ، وروح الشعر فيه تنازع ، كما يقول أبو تمام (رحمه الله) ، وفي الشعر الشعبي أبيات جميلة بديعة ، تفوقه حُسْناً وإبداعاً .. ثم يقول المشتاق : ـ

وكتبتَ التأليف عن قادة الإسلامِ فكانتْ مراجعاً عصْريّاً

ويقصد الشاعر : مراجِعَ عصريّةً .. لأن الصفة تتبع الموصوف ، ولكنّها القافية جرّته إلى أنْ يُخطئ هذا الخطأ الواضح ، ويخطئ أيضا في الوزن ، فيكسر الأبيات وهي من البحر الخفيف ، والقصيدة مكونة من اثني عشر بيتاً ، لم يسلم منها من الكسر ، سوى بيتين فقط ، ومن أبياته المكسورة ، أسوق هذا البيت .. وهو قوله : ـ

أنتَ من بيت علْمٍ وبيت صلاحٍ

ولقد حُزْتَ نسباً عربيّا

وكقوله : ـ

أنت ربٌّ اليراع في الأمن فريقٌ

تنساب كوكباً قبْليّا

وأطلبُ من أهل المعرفة أنْ يشرحوا لي معنى : " تنساب كوكباً قبليا " ، ولهم الأجر والثواب .. والأبيات كلها نمط سيِّئ ،

تمشي عرجاء على عصوين ، قد تكسّرتْ وزْناً ، وتعثرتْ عَروضياً .. فحزنتُ على لغتنا الجميلة ، اللغة العربية الشاعرة التي استهان بها كلُّ جاهل أحمق ، امتلأ رأسه خواءً ، واختار القشور ، وترك اللباب ، ووجد من يشجعه ، ويأخذ بيده ، في زمن فسدتْ فيه القرائح ، وانعدم الابتكار .

ثم أقرأ قصيدة للشاعر محمد حسن العمري ، وهو شاعر معروف ، وله ديوان شعر مطبوع ، وقصيدته من البحر الكامل الذي عدَّه أبو العلاء المعري : ـ((من عامة الشعر ، لأنه والبحر الوافر ، لا يبْلُغ أملاك الشعر)).. كما جاء في كتاب (الصاهل والشاحج) لأبي العلاء المعري ص ٥٨٧ طبعة دار المعارف بمصر .. .

وقصيدة العمري ، مكوّنةٌ من اثنين وأربعين بيتاً ، لحق الكسر أبياتاً منها ، ومن هذه الأبيات المكسورة ، قوله : ـ

أليْس شعر العامية كما العمى بلى بلــى بشــهادة الأجــوادِ

فالشطر الأول من البيت مكسور ، ويستقيم لو قال : ـ

ما جاء عاميّاً أراهُ كما العمى بلى بلــى بشــهادة الأجْــوادِ

وكقوله : ـ

حيّ (الهويْملَ) و (المفرِّجَ) دون أنْ تنْسى (المعلمي) رائد الروّاد

فيكسر الشطر الثاني من البيت ، ويستقيم لو قال : ـ

حيّ الهويْملَ والمفرّجَ دون أنْ تنسى المعلّمَ رائد الروّادِ

فيحذف (ياء) النسبة من (المعلّمي) ليستقيم الوزن ، ويشير الشاعر في هذا البيت إلى الأديبين المعروفين :ـ الدكتور حسن فهد الهويمل ، والأستاذ محمد موسم المفرّجي ، وقد أحسن الشاعر صنْعاً بحذفه ياء النسبة من لقب (المفرّجي) ، فاستقام شطر بيته الأول ، ولم ينتبه إلى ضرورة حذف ياء النسبة من لقب (المعلمي) ، ليستقيم شطر بيته الثاني ... وكقوله : ـ

وعلى الصحافة حين تنشر كلَّ ما

هبَّ وما دبَّ علي الأشْهادِ

فيكسر الشطر الثاني من البيت ويستقيم لو قال : ـ

وعلى الصحافة حين تنشر كلَّ ما

هبَّتْ به ريحٌ على الأشْهادِ

وأبيات القصيدة كلُّها ، ضحْلة ركيكةٌ ، وفي الشعر الشعبي : ـ قصائد حذّاء ـ بتشديد الذال المعجمة ـ جياد ، تفوق هذه القصيدة ، سبْكاً ومعنىً ولفظاً .

وقصيدة الأستاذ محمد حسن العمري من البحر الكامل ، ووزنه في دائرته : ـ

متَفاعلنْ / مَتفاعلنْ / مَتفاعلنْ   مَتفـاعلنْ / مَتفـاعلنْ / مَتفـاعلنْ

ولـه ثـلاث أعـاريض ، وتسـعة أضـرب علـى المشـهور [1] ،

---

[1] ومن شواذ هذا البحر ، أن يجيء الضرب في وافي هذا البحر مذيلاً أومرفّلاً ، لأن التذييل والترفيل والتسبيغ من علل الزيادة ، لا تـأتي إلاّ في البحـور المجـزوءة ، تعويضـاً عمّـا حـذف منهـا ، وأتـى العروضيون بشاهد على البحر الكامل المذيَّل ، وهو : ـ

يهب المئين مع المئين وإنْ تتا   بعتِ السنونَ فنار عمْرٍو خيرُ نارْ

وأتوا بشاهد على البحر الكامل المرفَّل ، وهو قول الشاعر : ـ

ولنا تهامة والنجود وخيلُنا   في كل فجٍ ما تزال تثير غارهْ

ولقد كتبت قصيدة بعنوان (دنيا خالد) ، نشرتها لي (مجلة الندوة) ، في عددها الصـادر في شـهر شوال من عام ١٣٨٢ هـ ، وكان ابني خالد لا يتجاوز عمره ثلاث سنوات ، وكانت القصيدة مكونة من أربعة وعشرين بيتاً ، تبدأ بأربعة أبيات من الضرب الثالث : ـ

مجزوء صحيح ، مثل العروض (متفاعلن) ، ثم ببيت خامس مصرَّع ، مـن البحـر الكامـل المرفَّـل ، وتبدأ القصيدة بقولي : ـ

لو كنْتَ تعلمُ يا صغيري ما يجيء به الزمنْ

لأتتْ لنا بسمات وجهك بالكآبة والشجنْ

لكنّك الطفْلُ البريءُ طهُرتَ ثوْباً وبدنْ

لا تعرِفُ الدنيا الخبيثة إنّها أمُّ المحنْ

دنيا صغيري روضةُ أنُفٌ رحيبهْ

لكنَّها في ناظريَّ هي المصيبهْ

وقصيدة العمري ، عروضها صحيحة (متَفاعلنْ) بتحريك التاء ، من الضرب الثاني المقطوع (فعَلاتنْ) بتحريك العين ، غير أنَّ الإضمار ، وهو زحاف معروف ، يدخل تفعيلات البحر الكامل ، وهو تسكين الثاني المتحرك ، فتصير (متفَاعلنْ) مثل (مسْتفْعلنْ) ، ويجوز أن يدخل الإضمار هذا الضرب المقطوع ، فتصير (فعَلاتنْ) بتحريك الثاني ، (فعْلاتنْ) بتسكين الثاني ... كقول المتنبي : -

يا من يعزٌّ على الأعزَّةِ جارهُ ويَذلُّ من سطَواتِه الجبَّارُ

والقصيدة منشورة كاملة ، في الصفحة السابعة من (مجلة الندوة) ، العدد السادس ، الصادر برئاسة الأستاذ صالح محمد جمال (رحمه الله) ، وسكرتير التحرير الأستاذ محمد صلاح الدين (أطال الله بقاءه) ، وللأستاذ الشاعر أحمد سالم باعطب ، قصيدة طويلة من البحر الكامل المرفّل ، ألقاها في إحدى حفلات الجنادرية ، وقد ابتدأ ها بقوله : -

قفْ يازمانُ فها هنا الوطنُ العظيمُ المسجدانِ هنا وزمزمُ والحطيمُ
وهنا تفجرّتِ الصخورُ حضارةً وإليه تنتسبُ الكواكبُ والنجومُ

وهي طويلة ، بلغت أبياتها خمسة وعشرين بيتاً ... وقد كتب أبو العتاهية قصيدة من البحر الكامل المذيَّل ، يقول فيها : -

فتجافَ عن دار الغرور وعن دوا عيها وكن متوقعاً للحادثاتْ
من كان يخشى الله أصبح رحمةً للمؤمنين ورحمةً للمؤمناتْ

وقد دخل الإضمار الضرب ، في جميع أبيات قصيدة المتنبي هذه التي أشرتُ إلى بيت منها ... وهو نادر كقصيدة العمري ، لأن الإضمار يدخل الضرب في بعض أبيات القصيدة ، لا القصيدة كلّها ، وهو المعروف السائد ، والبحر الكامل يدخله أحياناً (الإقعاد) ، وهو اختلاف أعاريض الأبيات في القصيدة الواحدة ، وهو عيْبٌ من عيوب الشعر ، ولكنَّه عيب مقبولٌ .. كقول عمر بن أبي ربيعة : -

علق النّوارَ فؤادُه جَهْلا   وصبا ولم يتركْ لهُ عقْلا

وتعرَّضَتْ لي في المسير فما   أمْسى الفؤادُ يرى لها مِثْلا

فعروض القصيدة كلها (حذّاء) بتشديد الذال المعجمة (فعَلنْ) بتحريك العين ، والضرب مضمر (فعْلنْ) بتسكين العين ، ما عدا الشطر الأول من البيت الأول ، لأنه مصرّع .. .

غير أنّ عمر بن أبي ربيعة يقول في آخر القصيدة : -

فأجبْتُها إنَّ المُحبَّ مكلَّفٌ   فدعي العتابَ وأحْدِثي بذْلا

فيأتي بعروض صحيحة (متَفاعلنْ) بتحريك التاء ، تخالف أعاريض قصيدته (الحذَّاء) (فعَلنْ) بتحريك العين .. وهذا هو الإقْعاد ..

وأعود إلى قراءتي لهذا الكتيّب (المعلّمي رجل الثقافة لعام ٢٠٠٠ م) ، فأُلقي إليه نظري ، وأمدُّ نحوه بصري ، لعلّي أجد حلْو الكلام ، وأعذبه ، وأبتعد عن العبث ، الذي لاطائل تحته ، فأقرأ قصيدة الفريق الأستاذ يحيى عبد الله المعلّمي ، التي ألقْاها (رحمه الله) في حفل الجنادرية ، في العام الماضي ١٤٢٠ من الهجرة [١] ، الذي نال تكريمه فيه ، وأجد في قصيدته بيْتاً مكسوراً ، و لعلّه سبق قلم من المعلّمي (رحمه الله) ، وهو ما يعرف بأوهام الكبار ، أو لعلّه خطأ غير مقصود ، وقد قرأت هذه القصيدة بخطئها العروضي ، في كتيّب حفل الجنادرية الذي حضرته ، لأنني من ضيوفه ، وعليَّ أن أُكاشف جامع الكتاب الأستاذ عويضة ، بهذا الخطأ ، وألاّ أداجيه ، وأقول له : ـ

إن البيت المكسور هو : ـ

كيْ أحيّي الأمير عبدالله ذا النبْل والحِجا والمفاخرْ

ويستقيم البيت هكذا : ـ

وأُحيّيك يا وليّاً لعهْدٍ يا أميراً ومَنْ كمثْلكَ آمِرْ

يا أميراً لك العُلا والمفاخِرْ ولك المجْدُ كابِراً عن كابِرْ

وقد أضفتُ بيتاً آخر على بيت المعلّمي ، ليحتوي البيتان على السجايا العظيمة ، لصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد

---

[١] حين كتابة هذه المقالة .

العزيز (حفظه الله ورعاه) ، التي عناها الفريق المعلمي في بيته : - (كي أحيي الأمير عبد الله) ، وقصيدة المعّلمي من البحر الخفيف ، عروضه صحيحة (فاعلاتنْ) ، وضربه صحيح مثلها (فاعلاتنْ) أيضاً ، ويدخل هذا البحر من الزحاف : الخبْن والكفّ والشكْلُ ، تدخل هذه الزحافات الثلاثة حشوه ، فتصير (فاعلاتنْ) بالخبْن (فعِلاتنْ) وبالكفّ (فاعلاتُ) بضمّ التاء ، وبالشكل (فَعِلاتُ) بحذف الثاني وحذف الأخير وضم التاء ، وتصير (مسْتفْع لنْ) بالخبْن (متفْع لنْ) ، وبالكفّ (مستفْع لُ) بضم اللام ، وبالشكْلِ (مفاعِلُ) بضم اللام أيضاً .

أما بالنسبة إلى أعاريضه وضروبه : -

فيمتنع الكفُّ في (فاعلاتنْ) و (مستفْع لنْ) الواقعتين ضرْباً ، ويجوز الخبن في (فاعلاتنْ) و (مستفْع لنْ) و (فاعلنْ) ، سواءٌ أوقعتْ عروضاً أمْ ضرْباً ، فتصير بالخبن (فعلاتنْ) و(مفاع لنْ) و (فعلنْ) ، ويجوز التشعيث في (فاعلاتنْ) إذا وقعت ضرْباً ، فتصير (فالاتنْ) وتحوّل إلى (مفْعولنْ) ، ويجوز التشعيث فيها إذا كانتْ عَروضاً في حالة التصريع ، كقول عبد الرحمن بن حسان بن ثابت من قصيدة له : -

طال ليلي وبــتُّ كــالمحْزُونِ   واعترتْني الهمومُ في جيْحونِ

إلاّ أنَّ ابن القطّاع ، وهو من علماء العروض أجاز التشعيث في العروض التامة ، سواءٌ أوقَعتْ تصريعاً أم غير ذلك ، واستشهد ببيت من الشعر لعمر بن أبي ربيعة وهو : ـ

دُمْيةٌ عنــد راهــبٍ قسّــيسٍ   صوّروها في جانبِ المحــرابِ

فالعروض مشعّثة ، والضرب مشعث ، ونقطعه هكذا : ـ

دميتن عن	دراهبن	قسّيسنْ	صوّروها	في جانبل	محرابي
فاعلاتنْ	مفاعلنْ	مفعولنْ	فاعلاتنْ	مستفْع لنْ	مفْعولنْ
سالم	مخبون	مشعَّث	سالم	سالم	مشعّث

والبيت من قصيدة رائعة من روائع عمر بن أبي ربيعة ، يقول فيها : ـ

أذْكرتْني من بهجة الشمس لمَّــا

طلعــتْ مــن دُجُنَّـــةٍ وسَــحابِ

فارجحنَّتْ في حُسنِ خُلْقٍ عمــيمٍ

تتهــادى فــي مشْــيها كالحُبــابِ

غَصبتْني مجَّاجةُ المسْكِ نفســي

فســلُوها مــاذا أحــلَّ اغْتصــابي



ثـم أمضـي ولم أربَـعْ علـى نفسـي ، ولم يمـنعْني دون القـراءة مانع ، فأقرأ في جريدة (الشرق الأوسط) في العـدد ٧٩٤٣ ـ الصـادر في ٢٧ / ٨ / ٢٠٠٠ من الميلاد ، المنشور فيها قصيدة للشاعر السفير الدكتور عبد العزيز محيي الدين خوجة ، والدكتور خوجة عرفته طالباً في جامعة القاهرة في أخْرياتِ السبعينات الهجرية ، وكنت أراه حينما أزور القاهرة ، في تلك السنين الغابرة ، يلازم شقيقي الدكتور عبد الله العبَّادي (أبـو هـانئ) ـ رحمـه الله ـ وأسـكنه فسيح جناتـه ، وأرى معهما كثيرين ممن يدرسون في تلك الفترة في جامعة القاهرة ، وكنـت أرى الخوجة ، فتىً ريِّق الشباب ، طُلَعةً يمتلئ نشاطاً ، كثير المحاسن ، جليل الفضائل ....

ومن أسباب زيارتي للقاهرة فى تلك السنين ، الاطمئنان على شقيقي عبد الله (أبي هانئ) ـ رحمه الله ـ ، وعلى مسيرته العلمية ، وكنـت أكبره كـثيراً ، وأعمـل مـدير مدرسـة معروفـة مشـهورة في مدينـة الطـائف ، الـتي

تخرّج منها جماعات من الطلاب النابغين ، الذين أسعدوني بمراكزهم الكبيرة ، التي يشغلونها في وقتنا الحاضر .

والدكتور عبد العزيز محيي الدين خوجة ، أقرأ شعره كثيراً ، وأجد فيه راحتي ، وأهربُ بشعره من بكْم العجماوات ، وفي شعره ألوانٌ تستدعي الاهتمام ، ولولا عمله الدبلوماسي ، لاحتفل بشعره ولروّأ في قصيده ، ولأخذ عدته واحتشاده . . غير أنه قد انتحى ، فبَعُد كل البعد عن جادة الصواب ، حين كتب قصيدته (اعتراف طفل) ، التي نشرت في جريدة (الشرق الأوسط) ، التي أشرتُ إلى عددها آنفاً ..

والقصيدة مكونة من اثني عشر بيتاً ، وهي من البحر الكامل ، عروضه حذّاء ، بتشديد الذال المعجمة (فعَلنْ) بتحريك العين ، وضربه أحذ (فعَلنْ) بتحريك العين أيضا .. يقول الخوجة :

مسكونةٌ باللوْم والغضَبِ كالبحرِ من عبثي ومن شَغَبي

وهو بيت موزون ، من البحر الكامل ، عروضُه حذّاء ـ بتشديد الذال المعجمة ـ (فعَلنْ) بتحريك العين ، وضربه أحذّ (فعَلنْ) بتحريك العين أيضا ...

ثم يقول الخوجة :

نسيتْ بأنّي طفلُها وحبيبُهـا   ألْهو ببعض الـدُّمْيِ واللُّعَـبِ

فيأتي بعروض صحيحة (وحبيبها) (متفَاعلنْ) بتحريك التاء ، تخالف أعاريض قصيدتهِ الحذّاء (فعَلنْ) ، وهذا عيب في الشعر ، يسمى (الإقعاد) ، وقد تكلمتُ عنه آنفاً ، ولكنه عيب يرد في قصائد كبار الشعراء قديماً ، وحديثاً ، وقد جمع الدكتور خوجة الدمية على (دُمْيِ) ، بضم الدال ، وسكون الميم ، وتحريك الياء .. وليس للدمية جمع سوى (دُمَىً) بدال مضمومة ، وميم مفتوحة ، وبعدها ألف لينة ..

ثم يقول الخوجة : -

هذا أنا كالغصْنِ في عصْـفٍ   من الأنْواءِ لا أقْوى على الهرَبِ

فيكسر البيت ، ويستقيم لو قال : -

هذا أنـا كالغصْـنِ يعصـفُهُ   نَوْءٌ فلا أقْوَى علـى الهـرَبِ

ثم يقول الخوجة :-

طفْلٌ أنا في خاطري اجْتمعتْ   أهازيجُ المُنى في أفقهِا الطربِ

فيكسر الشطر الثاني من البيت ، ويستقيم لو قال : -

طفْلٌ أنا في خاطري اجْتمعتْ   كلُّ المُنى في أفْقِهـا الطـربِ

ثم يقول الخوجة : ـ

أنْتِ الوحيدةُ منْ ألــوذُ بهــا   إذا ضاقت بنا الأيَّامُ في الكُرَبِ

فيكسر الشطر الثاني من البيت ، ويستقيم لو قال : ـ

أنتِ الوحيدةُ من ألــوذُ بهــا   إنْ ضاقَتِ الأيامُ فــي الكُــرَبِ

ثم يقول الخوجة : ـ

لا تعْجَلي فالموْجَةُ الرعْنــاءُ   تأخذُني إلى بحْرٍ مــن العتَــبِ

فيأتي (با لإقعاد) في هذا البيت ، وهو عيْبٌ من عيوب الشعر ، نتجاوز عنه ، كما تجاوز عنه العروضيون في غيره من شعر الشعراء .. ..

ثم يقول الخوجة : ـ

إنّي تعبْتُ وطال بي ســفَري   فهْل أذْنبْتُ إنْ خفّفْتُ من تعبَي

فيكسر الشطر الثاني من البيت ، ويستقيم لو قال : ـ

إنّي تعبْتُ وطالَ بى سَــفَري   ما الذنبُ إنْ خفّفْتُ منْ تعَبــي

ثم يقول الخوجة : ـ

المهْرةُ السمراءُ قد روّضْتُها   أجْري بها في ملْعبي الرحِــبِ

فيأتي (بالإقعاد) في هذا البيت ، وهو عيب من عيوب الشعر ، نتجاوز عنه ، كما تجاوز عنه العروضيون من قبلنا في غيره من شعر الشعراء ..

ثم يقول الخوجة : -

والقطة البيضاء ما زال على صدري بقايا ظفْرِها السغبِ

فيكسر الشطر الأول من البيت ، ويستقيم لو قال : -

والقطةُ البيضاءُ مازالتْ على صدْري بقايا ظفرها السغبِ

ولكن (الإقعاد) يدخل شطر البيت الأول ، وهو مقبول عن الكسر ، وقد جاء (الإقعاد) في غيره من قصيدة د. عبد العزيز الخوجة .

ثم يقول الخوجة : -

والدّمية الشقْراءُ أُلبسُها

من الألوان منْ روحي ومن شُهبي

فيكسر الشطر الثاني ، ويستقيم الوزن لوقال : -

والدّمْية الشقْراءُ أُلبسُها أَلْوانَ من روحي ومن شُهبي

وقد منعْتُ (ألواناً) من الصرف ، و يجوز للشاعر أنْ يمنع المنصرف من الصرف ، وفي الشعر شواهد كثيرة منه .. . وقد أجاز الكوفيون والأخفش للمضطر أن يمنع صرف المنصرف ، واختاره ابن مالك ، وقال ابن هشام : ـ هو الصحيح لكثرة ما ورد منه ، وهو من تشبيه الأصول بالفروع .. وشاهده قول الشاعر [1] : ـ

وما كان حصْنٌ ولا حابِسٌ   يفوقانِ مرْداسَ في مجْمعِ

فمنع مرْداساً من الصرف وهو منصرف .. والضرائر في الشعر كثيرة ، وقد حصرها علماء اللغة في مسائل يطول شرحها ..

ثم يقول الخوجة : ـ

غضبانةٌ يا ويلتيَ يا أسفي   جاوزتُ حدّي في مدى اللُّعَبِ

فيكسر الشطر الأول ويستقيم لو قال : ـ

غضْبانةٌ ، ويْلي ويا أَسفي   جاوزت حدّي في مدى اللُّعَبِ

---

[1] البيت من ثلاثة أبيات ، رواها ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) ص ٢٥٩-٢٦٠ ، ج (١) ، طبعة دار احياء الكتب العربية بمصر ، سنة ١٣٦٤هـ ، رواها للعباس بن مرداس السلمي ، وقد قالها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولها قصة ، وانظر تفصيلها في الكتاب المذكور ، وقد جاء فيه :ـ (وما كان بدْرٌ ولا حابسٌ) .

وأضربُ صفْحاً عما كتبته آنفا [1] ، لأصل إلى قراءة مُقطّعتين من الشعر ، نشرهما في جريدة الندوة ، الدكتور عدنان المهنا ، المشرف على صفحة (جياد) الأدبية ... والدكتور عدنان المهنا ، أحترمه وأقدّره ، وأكنّ له الود الخالص ، ولكنني أَعيبُه إذا ما استخفّ قراءه ، وأخذ يطنطنُ طنْطنةً جوفاءَ ، ويُسبغ على من لا يستحق الثناء كلَّ تقريظ ، ويُهلّ عقيرته بالمحاسن والمناقب ...

قرأت له ما كتبه في جريدة الندوة ، في العدد ١٢٦٨٧ ، الصادر في يوم الأحد ١٤ من شهر ربيع الآخر ، من عام ١٤٢١ هـ.

يقول المهنّا : ـ كتب المؤرخ والموسوعي الشريف محمد بن منصور آل عبد الله ، قصيدة وثّابة ، ومعروشة بالعتب ، لصديق أهرق مكانة الكتاب ، وإني لأسأل د / المهنّا عن كلمة (موسوعي) التي أضافها على ممدوحه الشريف محمد بن منصور آل عبد الله ، ونحن نعلم

---

[1] تلقيت بعد مقالتي هذه رسالة جليلة من الأديب الكبير الشاعر الدكتور عبد العزيز محيي الدين خوجة ، تحمل إليّ ديوانيه (من ديوان عبد العزيز محيي الدين خوجة) و(الحب النبوي) ، وقد كتب شاعرنا الكبير هذه الرسالة بروحه الشفافة ، وأدبه الفياض ، وأخلاقه الحميدة ، وسجاياه الكريمة ، وقرأت الديوانين ، وفيهما شعر أصيل ، يأخذ بمجامع القلوب ، ويطرب له السامع ، وتستسيغه الأذن ، لا ينبو عنه الطبع ، ولا تقتحمه العين ، ولم يلحقه لحن أو خطأ عروضي ، وعجبت كيف تطرّق الخطأ إلى قصيدته التي انتقدتها ، المنشورة في (جريدة الشرق الأوسط) ، وهي قصيدة غريبة بين قصائده الرائعة ، وقد تاهتْ بين شعره المتميز ، وكأنها تستشهد ببيت من شعر شاعرنا :

تهتُ في الإبحار يا قلبي طويلا وشراعي أخطأ الأفق البديلا

أنَّ كلمة (موسوعي) إذا أُطلقتْ على شخص ما ، علمنا أن هذا الشخص ، يحتوي صدره على جميع ما يدخل في دائرة العلوم ، في جميع الميادين ، ولا نجد من علمائنا القدامى والمعاصرين من يستحق لقب (موسوعي) إلاّ القليلين ، ومنهم على سبيل المثال : ـ العلامة أحمد بن عبد الوهاب القرشي التيمي البكري ، المعروف بشهاب الدين النويري ، نسبة إلى (نويرة) من قرى بني سويف بمصر ، وولادته ونشأته بقوص من أعمال صعيد مصر ، توفي في سنة ٧٣٣ من الهجرة ، وقد ألّف كتاب (نهاية الأرب في فنون الأدب) في ثلاثين مجلداً ، ألّفه في عصر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، من سلاطين المماليك بمصر ، حكم اثنتين وثلاثين سنة ، وخطب له بمصر وسوريّة وطرابلس الغرب والحجاز والعراق ، وخلّف آثاراً رائعة .
وقد تكلّم النويري (رحمه الله) في كتابه : ـ

عن السماوات والآثار العلوية ، والأرض والعالم السفلي ، والإنسان وما يتعلّق به ، والحيوان والنبات والطب والتواريخ ..

والأخ الشريف محمد بن منصور ، يربأ بنفسه أنْ يتحمَّل وزر هذا اللقب الكبير .. وندع كلمة (الموسوعي) جانباً ، لنصل إلى القصيدة (الوثّابة) وهي تسمية جديدة ، لم أعرفها من قبل ، ولم تتسم بها أية قصيدة ، قرأتها قديماً أو حديثاً ، لأحد من شعرائنا الكبار .. يقول الشاعر محمد بن منصور آل عبد الله : ـ

كتابي لا تلمْني فأنت شــهْمٌ تعفُّ عن الملامــة للصــديقِ

والبيت يدل على أن الشاعر يريد أن يقول شعراً من البحر الوافر ، الذي وزنه في دائرته : ـ

مفاعلَتنْ / مفاعلَتنْ / فعولنْ مفاعلَتنْ / مفاعلَتنْ / فعولنْ

ولكنه يخطئ في هذا البيت الوثّاب ، فيكسر الشطر الأول ، ويستقيم وزنُه لو قال : ـ

كتابي لا تلمْني .. . أنْتَ شَهْمٌ تعفُّ عن الملامــةِ للصــديقِ

وقد استقام البيت حينما حذفْتُ (الفاء) من (أنْـتَ) . . . ونقطّع البيت هكذا : ـ

كتابي لا / تلمْني أنْ / تَ شَهْمنْ

مفاعلْتنْ / مفاعلْتنْ / فعولنْ

٥١٥١٥١١ ٥١٥١٥١١ ٥١٥١١

تَعفّفُ عَنِ لْ / مَ لامةِ لص / صديقي

مفاعلَتنْ / مفاعلَتنْ / فعولنْ

٥١١١٥١١ ٥١١١٥١١ ٥١٥١١

ويقول محمد بن منصور آل عبد الله : ـ

فخاب الظنُّ فيه يــا كتــابي وبــان بأنّــه غيــرُ الرفيــقِ

فيكسر الشطر الأول من البيت ، ويستقيم وزنه لو قال : ـ

" فخابَ الظنُّ فيهِ أَياَ كتابي " بزيادة ألف على (يا) النداء .. ثم يقول ابن منصور : -

وراحَ يصْــــرخُ دونَ فهْــــمٍ

في وجْهكَ (بالنقيقِ) وبـــالنَّعيقِ

فيكسر البيت بشطريه ، ويستقيم وزنه لو قال عفا الله عنه : -

ويصْرخُ جاهلاً من دونِ فهْمٍ بوجْهك (بالنقيقِ) وبـــالنَّعيقِ

والمقطّعة ليستْ في مستوى الرجل الموسوعي .. .

ثــم أقــرأ لمحمــد بــن منصــور آل عبــد الله ، قصــيدة في صــفحة (جياد) في العدد ١٢٧١١ من جريدة الندوة ، الصادرة في يوم الأحد ١٣ من جمادى الأولى من عام ١٤٢١ هجرية ، بعنوان : -

إلى (صديقي ابن هند) ، والقصيدة تُعرّض بأحد أصدقائه ، أو بمن ظنَّه صديقاً ، فخاب ظنُّه فيه ، لأنه يحمل للشاعر كُرْهاً وبغْضاً ، ويخدش سمعته ، ويكيل له التجريح في كل مجلس ، ويصرّحُ ابن منصور في هذه القصيدة : - أنه من صميم العرب ، وأنه من بني العلياء .. ومن معاني العلياء : - الشرف ، ويصف صديقه الذي أظهر عداوته ، بأنه من الدخلاء :- جمع دخيل .. والدخيل لغة : - من دخل في قوم وليس منهم ، والضيف لدخوله على المضيف ، ولها معانٍ

أُخر .. ففهمتُ أن الشاعر يهجو أحد أصدقائه ، ويعرّض بنسبه ... ونسي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال :ـ

(من أبطأ به عمله ، لم يُسرع به نسبه) [1] .. وقد أشار ابن تيمية (رحمه الله) [2] ، في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم) ، في صفحة (١٦٨) الطبعة الصادرة في سنة ١٣٦٩ هـ ، المطبوعة على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير منصور بن عبد العزيز (رحمه الله وأسكنه فسيح جناته) ، بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقي (رحمه الله) ، رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية .. وقد طبع سمو الأمير منصور (رحمه الله) ، كتباً قيمة ، منها : ـ (طبقات الحنابلة) لابن رجب .. يقول ابن تيمية (رحمه الله) : ـ روى الحافظ أبو طاهر السلفي ، بإسناده عن أبي شهاب الخيَّاط ، حدثنا جبار بن موسى ، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي .. قال :ـ (من ولد في الإسلام فهو عربي).. وفي حديث آخر رواه ابن تيمية قال : ـ

---

[1] من حديث طويل ، رواه الإمام مسلم في صحيحه ، في كتاب (الذكر والدعاء) ، باب (فضل الاجتماع على تلاوة القرآن) . .

[2] هو شيخ الإسلام ، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ، ولد سنة ٦٦١ هـ في حرّان ، قرب دمشق ، وانتقل إلى دمشق ، فقيه حنبلي ، أتقن علوم القرآن والحديث والفقه ، وسلك على سنة الأقدمين من علماء المسلمين ، ومن كتبه :ـ منهاج السنة ، والسياسة الشرعية ، واقتضاء الصراط المستقيم ، ومجموعة الفتاوى ، وغيرها من الكتب النافعة ، توفي في عام ٧٢٨ للهجرة ودفن بدمشق .

روى السلفي ، من حديث الحسن بن رشيق ، حدثنا أحمد بن الحسن بن هارون ، حدثنا أبو بكر الهذلي ، عن مالك بن أنس ، عن الزهري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، قال :ـ

" جاء قيس بن حَطاطة إلى حلقة فيها صهيب الرومي ، وسلمان الفارسي ، وبلال الحبشي .. فقال : ـ هؤلاء الأوس والخزرج ، قد قاموا بنصرة هذا الرجل ، فما بال هؤلاء ؟ فقام معاذ بن جبل : فأخذ بتلابيبه ، ثم أتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بمقالته ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم مغضباً ، يجر رداءه ، حتى دخل المسجد ، ثم نودي : ـ أن الصلاة جامعة ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، إنَّ الرب واحد ، والأب أب واحد ، والدين دين واحد ، وأن العربية ليست لأحدكم بأب ولا أم ، وإنما هي لسان ، فمن تكلّم بالعربية فهو عربي ، فقام معاذ بن جبل ، فقال : بم تأمرنا في هذا المنافق ؟ فقال رسول الله :ـ (دعه إلى النار) ، فكان قَيْس ، ممن ارتدَّ ، فقُتلَ في الردة " .. وبهذا الحديث ، وما سبقه من حديث ، يقرر ابن تيمية (رحمه الله) عن رسول الله ، (صلى الله عليه وسلم) :ـ أن العروبة ليست رابطةَ دماء ، وإنَّما العروبة لسان ، فمن تكلم العربية فهو عربي ، فيدخل في عروبتنا علماء أجلاَّء نحارير ، خدموا العربية والدين ، أكثر من بني جلدتها ،

كأبي حنيفة رضي الله عنه [1] ، والإمام البخاري [2] ، وسيبويه ، وابن سينا :ـ الشيخ الرئيس ، وغيرهم كثيرون.

يقول ابن تيمية (رحمه الله) في الصفحة (١٦٤) من الكتاب المذكور آنفا : ـ " فنهى سبحانه وتعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، عن نوعَيْ الاستطالة على الخلْق ، وهي الفخْر

---

[1] هو : النعمان بن ثابت ، فارسي الأصل ، ولد بالكوفة في سنة ٨٠ للهجرة ، ونشأ بها ، وورث تجارة الحرير عن أسرته ، ولم تمنعه من التعليم والدرس ، وبدأ بالكلام ثم انتقل إلى الفقه ، روى عن التابعين وتابعيهم في العراق والحجاز ، وأخصُّهم إبراهيم النخعي ، وشيخه حماد ، ومنهجه : الأخذ بالكتاب والسنة ، وفتاوى الصحابة ، ثم بالقياس والاستحسان ، توفي في سنة ١٥٠ للهجرة ، ودفن في بغداد ، وصار مذهبه المذهب الرسمي للدولة العباسية ، والدولة العثمانية ، وفي مصر ، والشام ، وغيرها من البلدان الإسلامية .

[2] هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ولد بمدينة بخارى في سنة (١٩٤هـ) ومات أبوه وهو صغير ، بدأ حفظ الحديث وهو في العاشرة ، وحفظ منه الكثير ، ولما يبلغ السادسة عشرة ، واستنّ في جمع الحديث سنة جديدة ، ورحل إلى الأقطار والأمصار في طلب الرواة والحفّاظ ، قضى في رحلته ست عشرة سنة ، زار فيها مصر والشام ، والحجاز والعراق ، ميّز بين الحديث الصحيح والضعيف بفضل حافظته القوية ، ومعرفته الوافية بتاريخ الرجال ومذاهبهم الدينية والسياسية ، وضع كتابه (الجامع الصحيح) في ست عشرة سنة ، محاولاً الاقتصار على الأحاديث الصحيحة التي يتصل سندها من الراوي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكل راوٍ عدل ، ضابط ، وهذه شروط الإمام البخاري ، ويشتمل كتابه على (٧٣٩٧) حديثاً متصلاً بالمكرر ، وينقسم إلى (٩٧) كتاباً ، ويعد أصح كتب الحديث ، وأشهر شروحه (فتح الباري) لابن حجر ، توفي الإمام البخاري في سنة (٢٥٦هـ) .

والبغْي ، لأن المستطيل إن استطال بحق فقد افتخر ، وإنْ بغير حق فقد بغى ، فلا يحل لا هذا ولا هذا .. .. ثم يقول (رحمه الله) : ـ فإنْ كان الرجل من الطائفة الفاضلة ، مثل أنْ يذكر فضل بني هاشم ، أو قريش ، أو العرب ، أو العجم ، أو بعضهم ، فلا يكون حظُّه :ـ استشعار فضل نفسه ، والنظر إلى ذلك ، فإنه مخطئ في هذا ، لأنَّ فضْل الجنْس لا يستلزم فضل الشخْص ، كما قدمناه ، فربَّ حَبَشيٍّ أفْضل عند الله من كثيرين من قريش » ، انتهى ما قاله ابن تيمية .. .. وإلى هذا نظر ابن الرومي الشاعر العبَّاسي الكبير ، حينما هجَا أحدَ الأشراف ، الذي لم يجدْه في مستوى نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خُلُقاً وديناً ، فقال بيته المشهور : ـ

لقد فخرْتَ بآباءٍ ذوي شرَفٍ

لقد صدقْتَ ولكنْ بئسَ ما ولدوا

وقال شاعر آخر :ـ

وما ينْفعُ الأصلُ منْ هاشِمٍ إذا كانتِ النفْسُ لا تخْجلُ

وأعودُ إلى قصيدة الأخ محمد بن منصور آل عبد الله التي عنوانها (صديقي ابن هند) ، وهي قصيدة ضخْلة محصْرمة ، جاءتْ من بحر قصيدته الأولى البحر الوافر ، الذي وزنه في دائرته

مفاعلَتنْ / مفاعلَتنْ / فعولنْ مفاعلَتنْ / مفاعلَتنْ / فعولنْ

يقول الشريف محمد بن منصور آل عبد الله : -

أبا هندٍ حسْـبتُك لـي صـديقاً تـذودُ معـي العِـدا والحاقـدينا

والبيت موزون ، وهو من البحر الوافر ، وقد جاء في شطره الثاني فعل (تذود) ، وماضيه (ذاد) ، وهو فعل لا يتعدّى إلاّ بحرف جر (عن) ، تقول : ذاد عن حرمه ، وعن وطنه ، وذاد عنه الهم ، وذاد الدواب عن الموارد ، وأما (تذود معي العدا والحاقدينا) ، وهو يقصد (تذود عني العدا) ، فلم أسمع به ، ولعلَّ عنده ما يفيدنا .

ثم يقول الشريف محمد بن منصور : -

وبانَ بـأنَّ ودَّك لـي هـراءٌ وأنَّ في قلبك الـداءَ الـدفينا

فيكْسر الشطر الثاني من البيت ، ويأتي بكلمة (هراء) في الشطر الأول ، والهراء : الكلام الكثير الذي لا نظام له ، ورجل هراء : إذا كان كثير الكلام هذّاء (بتشديد الذال) ، ولا يوصف الود بالهراء ، ويستقيم بيته وزْناً ولغةً لو قال : -

وبان بأنَّ ودّك لـي خـداعٌ وقلبك يحمـلُ الـداءَ الـدفينا

ثم يقول الشريف محمد بن منصور (غفر الله له)

وعدْتَ أنا كحرٍّ قـد تسـامَى عن أقـوال تصـمُّ السـامعينا

وقد كتب تسامى هكذا (تساما) ، والصواب أنْ تكتب بألف لينةٍ (تسامى) ، والشطر الثاني مكسور ، وأتركه له ليصححه عَروضياً ، وأظنُّه قادراً إن شاء الله .

وأمَّا قوله : (وعدت أنا كُحرٍّ) ، فالصواب أن يقول : ـ (وعدتُ حرّاً) ، لأن الكاف حرف جر للتشبيه ، وهو يريد أن يقول : ـ (أنا حر) ، ولا يريد أن يقول : أنا كالحر ... وأما قوله (عن أقوال تصم السامعينا) ، فهو يريد أن يقول : " تصم آذان السامعينا " غير أنه اختار تركيب هذه الجملة ، وهي جملة فعلية حداثية ، يثاب عليها إنْ شاء الله .

والأخ محمد بن منصور آل عبد الله ، في هاتين القصيدتين ، مقلّد وجامدٌ ، يعكف على الشعر القديم ويقلّده ، فيجره قلمه إلى الصنعة المتكلّفة ، وكان بوسعه أنْ يترك الشعر لأهله ، ويتفرغ لكتابته عن (علم الأنساب) هذا العلم الذي امتهنه كل جاهل [1] ، ولكنه أراد أنْ يشارك في (عاهات الشعر) ، مع غيره ذوي العاهات من المتشاعرين ، الذين امتلأت بهم الصحف والمجلات .

---

[1] لم يكن في عبارة (هذا العلم الذي امتهنه كل جاهل) أي تباين عندي ، وإنما أشير إلى من اتّجه إلى هذا العلم الجليل (علم الأنساب) ، وهو خالي الوفاض ، لا يريد منه إلاَّ النيل ممن يختلف معه ، فيشتم هذا ، ويرفع من شأن هذا ، ويطعن في نسب هذا ، ويخوض في المثالب ، ولا يذكر شيئاً من محاسن الناس . . .



صدرت لي مقالتان ، بعنوان :ـ (ماهكذا يكتب الشعر) ، في جريدة الرياض الغراء ، في العدد ، (١١٩١٠) ، والعدد (١١٩١٧) ، الصادرين في يومي الخميس ٧ / ١١ / ، والخميس ١٤ / ١١ / ١٤٢١ هـ ، وقد تعرّضْتُ في المقالة الثانية لشعر الشريف محمد بن منصور آل عبد الله ، وقلتُ فيه رأيْي بصدق ، ولم أنوِ التعقيب على من غضب عليَّ ، وأرسلَ سجيته بالسبّ والشتيمة والتشنيع ، وأخذ يعارض كل ما قلته عنه ، غير أنّي رأيتُ أنْ أكتب مرةً أخْرى ، تأكيداً لما كتبته عن الشعر الرديء ، الذي أخذ ينتشر في غفلة من الزمان ، انتشار النار في الهشيم ، وسأتمسّك بالرد العلمي ، كما تعلمتُ على أيدي مشايخي (رحمهم الله) ، وألتزمُ أدبَ التحاور ، ولا يضيرني من يُضْفي على نفسه لقب المؤرخ ، والموسوعي ، والنسَّابة ، ومن يحشر نفسه في زمرة الشعراء ، ولا يبالي إذا قام بانتهاك العَروض ، والنحوْ ، واللغة ، كغيره من

المتشاعرين الذين كثروا في هذا الزمان ، فهذا متشاعر عمودي ، وذاك متشاعر حُر ، وآخر متشاعرٌ نبطيٌّ (شعبي) ، وكلهم يعرضون شعرهم المحصْرم علينا بلا حياء ولا خجل ، ويتيهون علينا بهرائهم ، ويرددون على مسامعنا قول الشاعر المغرور : -

أَتيهُ علـى جـنّ الـبلاد وإنْسِـها
ولوْ لم أجدْ خَلْقاً لتِهْتُ على نفْسي
أَتيهُ فما أدْري منَ التيهِ مـنْ أنـا
سِوى ما يقول الناسُ فيَّ وفي جِنْسي

فلمَّا تصديتُ لهؤلاء ، رمَوْني بعُجَرهمْ وبُجَرِهمْ ، ولا يضيرُني منْ يرْميني ، لأنني آليتُ على نفسي أنْ أتصدَّى لهؤلاء ذوي الآفات والعاهات ، التي لحقَتِ الشعرَ العربي في عصرنا الحاضر ، وشوَّهتْه وأساءتْ إلى فن الشعر ، حتى قال عنَّا أحد النقاد العرب في مجلة الهلال ، الصادرة في شهر مارس من عام ١٩٩٧ م ، : ــ (بأن المشرفين على جرائدنا ومجلاتنا الأدبية ، لا يميزون بين وزْن الشعْر ووزْن برميل النفْط) ..

وقد قرأتُ ماكتبه الأخ محمد بن منصور آل عبد الله بعنوان (التجويد مطْلَب وتحرّي الدقة واجب) ، المنشور في جريدة الرياض ، في العدد ١١٩٤٤ ، الصادر في يوم الخميس ٢ صفر من عام ١٤٢٢ هـ ، وفي المقالة تُرَّهات ، رماني بها ـ من شُبٍّرَ فتشبَّر ، فعَدا طَوْره ، وجاز غايتَه ، وتخطّى نهايته ، وسأردّ عليه متمسكاً بأصول النقد البنّاء الهادف ، مبتعداً عن المهاترات ، وسيعود على المرء ما يأتمر ، ومن خاصم بالباطل أنْجحْتَ به .

إنَّ شعرك الذي نشر في معجم البابطين ، يعود الفضل في نشره إلى شيخنا الأستاذ الكبير محمد سعيد بن حسن آل كمال (رحمه الله) ، الذي ألحَّ عليّ ، وطلب منّي أنْ أنظر في شعرك ، وأقوّمه وأبعثه من قبل نادي الطائف الأدبي ، وهو المكلّف رسمياً بملْء استبانات الشعراء الذين يرشحهم النادي ، وقد لبَّى النادي رغبة شيخه محمد سعيد بن حسن آل كمال ، وقمتُ بتصحيح قصائدك ، حتى يتسنّى لها النور ، وقد نشر المعجم أبياتاً من الشعر منسوبة إليك ، ووضع المعجم بجانبها صورةً فتوغرافية ليست لك ، بل هي للشريف منصور بن سلطان ، عضو مجلس إدارة نادي جدة الأدبي ، وقد لزمنا الصمت مراعاةً لك ، ولقينا منك ما يسوء العدو قبل

الصديق ، والشيء بالشيء يذكر ، فآل (كمال) أسرة سعودية أصيلة ذات شأن في تاريخنا المجيد ، ولهذه الأسرة أياد بيضاء على طلبة العلم في مدينة الطائف ، ويشترك معها في الفضل (آل سراج) ، وكلتا[1] الأسرتين لاينكر فضلهما ، وعلمهما ، وحسبهما ، ونسبهما ، إلاّ جاهل حاقد ، ومن هذه الأسرة الكريمة ، الأستاذ المربي حسين بن حسن آل كمال (رحمه الله) ، الذي قام في زمن قلّ فيه المعلمون ، وأخذ يلقنك مع غيرك من الصبية في كتّابه في (الوهط) ، مبادئ القراءة والكتابة ، ويحميك من اللعب والعبث بين الهضاب وقنن الجبال ، لصيد العصافير بالحصوات ، كما أشرْتَ إلى ذلك في قصيدة لك محصْرمة ضحْلة ، تقول فيها : ـ

وَدرجْتُ ألعبُ في تلاعِك لاهياً
بين الهضابِ وسامقِ الربَوَاتِ
كم قد غَدوْتُ مع الصباح مبكّراً
لأصيدَ عُصفورَ الخَلا بحَصاةِ

وتختتم قصيدتك ببيت مكسور ، فتقول : ـ

---

[1] (كلْتا) مؤنث (كِلا) ويضاف إلى المثنّى المؤنث ، ويعود الضمير إليه على لفظه ، نحو :ـ وكلتا الأسرتين لا ينكر فضلها ، ويقل عود الضمير إليه ، على معناه ، نحو :ـ وكلتا الأسرتين لا ينكر فضلهما ، قال الفرزدق :ـ كلاهما حين جدّ الجرْيُ بينهما قد أقلعا وكلا أنْفيهما رابي

فأرجع الضمير إلى (كلاهما) مرة مثنىً ، ومرةً مفرداً . . .

يا طائفي جادتْك أنْــواءُ الســـما

ولا عَدِمْتُ رُبـــاك طُـــول حيـــاتي

فالشطر الثاني مكسور ، ويستقيم لو قلت : ـ

(لا لاعدمتُ رُباكَ طُولَ حياتي)

لأن مـا كتبتـه شـعْرٌ محصْـرمٌ ، جـاء مـن البحـر الكامـل ، ووزنـه في دائرته : ـ

متفَاعلنْ / متفَاعلنْ / متفَاعلنْ متفَاعلنْ / متفَاعلنْ / متفَاعلنْ

هـذه فائـدة مـن فوائـد علـم العـروض الـذي سـخرْتَ منـه ، ولا يسـخَرُ من هـذا العلـم إلاّ جاهـل ، جهلُه مركّبٌ ، ورحـم الله الخليل بـن أحمـد الفراهيـدي ، الـذي رأى بعـض المتشـاعرين ، وقـد خـانهم طـبعهم ، وتخلـت عـنهم سليقتهم ، فخرجـوا عـن الأوزان العربية ، بزيادة أو نقصان ، فجمع العزيمة ، وشحذ الخاطر ، وكـان على علم بالنغم الذي ألّفَ فيه كتابيْ (النغم) ، و (الإيقاع) ، كما ذكر ذلك ابن النديم في كتابه (الفهرست) ... فاعتزل النـاس ، حتـى أخرجَ لهم هذا العلم الجليل ، فكان الخليل (رحمه الله) هو الأول ، والآخر ، في هذا العلم ..

ورحم الله شيخنا العلاّمة **محمود محمد شاكر** ، صاحب كتاب (نمطٌ صعْبٌ ونَمطٌ مخيفٌ) ، الذي قال فيه : ـ (رحم الله الخليل بن أحمد ، فلو هَبَّ من رقدته فاطّلعَ على أهل هذا الجيل ، كيف يخوضون فيه وفي عَروضه ، لرأى العقل الذي في الجماجم قد عاد ـ راراً ـ أي مُخّاً ذائباً ـ وأيُّ رجلٍ كان الخليل بن أحمد ، لو كان لعلمه ورثة ، وجزاه الله عنَّا أحسن الجزاء) .. .

ولعلّك تقرأ ما كتبه الأستاذ إدريس الكريوي في (جذور) ، في العدد الثالث ، الصادر في شهر ذي القعدة ، من عام ١٤٢٠ هـ .. وجذور دورية ، يقوم نادي جدة الأدبي بإصدارها ، فقد كتب الكريوي مقالة بعنوان :ـ (ما أشد حاجتنا إلى نقد عروضي) .. .

ففي المقالة ، ما يجعلك تحترم علماء العروض ، وتقدّر جهودهم ، وتجلس باحترام أمامهم ، وتستقي منهم ما يفيدك ، وتنجو ممّنْ عقولهم (رارٌ) ، من أهل هذا الجيل .

وأما استشهادك برأْي الدكتور عالي سرحان القرشي في شعرك ، فهذا من حقك ، ولكنَّ حبيبنا الدكتور عالي لا يرْضى منك أنْ تنال أستاذاً ومعلّماً ، خدم التعليم والعلم والأدب في مدينة الطائف ، نصف قرن من الزمان ، لا يرضيه أن تناله بالسباب

والشتائم، وتلحقه بأدعياء العلم والأدب ، ولعل الأستاذ « عالي » يردُّ عنّي تهجمك عليّ وسبابك ، فهو الخبير ببواطن الأمور ، وكأنّ الشاعر عناه حين قال [1] : ـ

ويفْهَمُ قولَ الحُكْلِ لو أنَّ ذرَّةً   تُساوِدُ أخْرى لم يفُتْهُ سِـوادُها

وأما قولك : ـ (فالأستاذ العبَّادي اختار من كل مقطوعة ثلاثة أبيات ، وزعم أن في هذه الأبيات خللاً في الوزن ، وراح كعادته يقوّم هذا الخلل .. . والحقيقة أن الخلل في حسه الفني ، وذوقه الشعري ، وقراءته للأبيات ، وإن البيت : ـ

كتابي لاتلمني فأنْـتَ شـهْمٌ   تعفُّ عن الملامـة للصـديقِ

غير مكسور ، فهو رعاه الله يشبع بعض الحركات التي لاتحتاج إلى إشباع ، ويترك إشباع الحركة المحتاجة إليه ، فمن هذه القراءة

---

(1) البيت للشاعر : العُماني الراجز ، ويُقال في لسانه حُكْلة ، إذا كان شديد الحبْسة مع لَثَغ ، والسِّواد :ـ المسارَّة ، واسم الشاعر : محمد بن ذُؤيب الفقيمي ، ولم يكن من أهل (عُمَان) ، وإنما نظر إليه دُكَين الراجز ، وهو يسقي الإبل ويرتجز ، فرآه غُلَيّماً ، مصفرّ الوجه ، ضريراً مطحولاً ، فقال دكيْن :ـ من هذا العُماني ، فلزمه الاسم ، وإنما نسبه إلى أهل (عُمان) ، لأن عُمان وبيّة ، وأهلها مصفرَّةٌ وجوههم مطحولون ، وكذلك أهل البحرين ، قال الشاعر :ـ

ومن يسْكُنِ البحرين يَعْظُمْ طحالُهُ   ويُغبطْ بما في بطْنِهِ وهو جائعُ.. والفقيمي :ـ بضم الفاء وفتح القاف ، نسبة إلى (فقيم) ، بطن من تميم ...

السقيمة ، حصل الخلل الذي زعمه وبقراءته انكسرت الأبيات .. . ثم تقول : ـ (فهو بقراءته أشبع حركة النون حتى تولّد منها حرف ساكن انكسر البيت !!! وعلى هذه القراءة سار في نقده العجيب) .. وأقول :ـ ولا أعرف صحة هذه الجملة :ـ تولد منها حرف ساكن انكسر البيت !!

وأقول للأخ محمد بن منصور آل عبد الله : ـ الياء في كلمة (كتابي) قد كتبتَها ياءً ظاهرةً ، فكيف تريدنا أنْ نقرأها ـ بارك الله فيك ـ ، فافْصِحْ واهْدنا إلى الصواب ، والياء في كلمة (كتابي) ليست إشْباعاً لحركة النون ، لأنها ياء المتكلم .

تقول : ـ هذا كتابي وهذا قلمي وهذا منزلي ، ولا أظنك حريصاً على طرح يائك ، بارك الله فيك .. . وياء المتكلم لا تحذف في الشعر إطْلاقاً ، وليستْ من ضرائر الحذف في الشعر التي حصرها علماء اللغة ، من أمثال سيبويه ، وأبي سعيد السيرافي ، وابن جنّي ، وابن فارس ، والزمخشري ، وأبي سعيد القرشي ، (في أرجوزته) ، في فن الضرائر ، التي يقول فيها : ـ

وربّما تصادفُ الضرورهْ ــ بعضَ لُغاتِ العرَبِ المشهورهْ .

وقد أجمعوا رحمهم الله : ـ أن الضرائر سماعية ، لايسوغ للمولّد إحداث شيء منها ، وليس لأحدٍ أنْ يضطر إلى غير ما اضطروا إليه ، أو يخالفهم في أصْلٍ مضَوْا عليه ، ولهذا خطّأ الزمخشري في كتابه (المفصل) أبا نواس ، وهو الشاعر الكبير ، في قوله : ـ

كأَنَّ صُغْرَى وكُبْرَى من فقاقِعِها

حصباءُ دُرٍّ على أرْضٍ من الذهَبِ

لكونه استعمل : ـ صُغْرى وكُبْرى نكرة ، وهذا الضرب من الصفات ، لايُستعمل إلاّ معرّفاً ، وإنما يجوز التنكير في فُعْلى التي لا أفعل لها ، نحو : ـ حُبْلى ، وانتقد أبا نواس الكثيرون من علماء اللغة المعاصرين له ، ولزم الصمت (أبو نواس) تأدباً مع منْ انتقده من معاصريه ، لأنه شاعر كبير ، واعتذر له خلْق كثير ، وتكلّفوا الجواب عنه ، وهكذا تكون أخلاق الكبار الذين لا يتطفّلون على العلم ، ولولا الإطالة ، لذكرتُ ما جاء في هذه المسألة .

وضرائر الحذف في الشعر التي ذكرها علماء اللغة ، قد حصرها هؤلاء العلماء في اثنين وأربعين باباً ، ليس منها حذف ياء المتكلم ، بارك الله فيك يابن منصور ، وحذف ياء المتكلم له باب آخر ، سأتكلم عليه إنْ شاء الله في مقالة أخْرى ، وأما الإشباع الذي

ذكرتَه عرضاً في مقالتك ، ولم تشرح لنا كيف يكون الإشباع في بيت الشعر ، فأقول لك ، والله المستعان على شعراء وعلماء هذا الزمان : ـ الإشباع تبليغ الحركة حتى يتولد منها حرف ليّن يناسبها ، وذلك ليستقيم الوزن في البيت من الشعر ، كتبليغ كسرة الراء في (الصياريف)

.. في قول الشاعر : ـ

(١) تَنفي يداها الحصا في كلِّ هاجرةٍ

نفْيَ الدراهيمِ تنقْادُ الصياريفِ

وتبليغ ضمة (الميم) في قول الشاعر :ـ

قد يمكثُ الناسُ دْهراً ليس بينَهمو

ودٌّ فيزرعَهُ التسليمُ واللُّطَفُ

وهو شائع في هذه الميم ، حتى إنها تكتب بإلحاق واو ظاهرة بها ، فتكتب : ـ بينهمو ومنكمو ومنهمو .. والإشباع واجب في حركة

(١) وقد أطنب في القول على هذا البيت صاحب الخزانة : ـ عبد القادر بن عمر البغدادي في الجزء الرابع ص (٤٢٦) من طبعة دار الكتاب العربي بالقاهرة ، ففيه تفصيل إعراب هذا البيت ، غيرأنه لم يشر إلى الإشباع ، والبيت نسبه سيبويه للفرزدق .

الحرف الأخير من العَروض والضرب ، وفي (هاء) اسم الإشارة ، وفي (هاء) الضمير المسبوقة بمتحرك ، ويقابل الإشباع الاختلاس ...

والاختلاس : ـ هو عدم تبليغ حركة أو حرف ليّن حقَهما من الصوت ، والإشباع والاختلاس جائزان في الشعر ، تقول : ـ

(وإذا الجَهولُ رأيته مستغنياً) وتقطيعه هكذا : ـ

وإذا لْجَهولُ	رأيتهو	مسْتغْنينْ
١١١٥١١٥	١١١٥١١٥	١٥١٥١١٥
متَفَاعلنْ	متَفَاعلنْ	متْفاعلنْ

فالإشباع في (هاء) رأيته .. والاختلاس في قول الشاعر : ـ

فالمالُ فيه تجلّةٌ ومهابةٌ والفقر فيه مذلَّةٌ وفُضوحُ

ونقطع البيت هكذا : ـ

فلمال	فيه تجللتن	ومها بتن	والفقرُ فيه	مذللتن	وفضوحو
١٥١٥١١٥	١١١٥١١٥	١١١٥١١٥	١٥١٥١١٥	١١١٥١١٥	١١١٥١٥
متْفاعلنْ	مَتفَاعلنْ	متَفاعلنْ	مْتفاعلنْ	مَتفَاعلنْ	متَفاعلْ

فالاختلاس في كلمتي (فيه) الواردتين في البيت .. وكلمة (فضوح) ضرب ، والإشباع فيها واجب ، فتكتب هكذا (فضوحو) ، ومثال الاختلاس أيضا قول المغيرة بن حبْناء : ـ

ولا أَنزِلُ الدارَ المقيم بهـا الأذىٰ

ولا أرْأمُ الشيءَ الذي أنـا قـادرُهْ

فـالاختلاس في ألـف (أنـا) التـى تكتـب ولا تنطـق ، كمـا أن (أنا) تكتب وتنطق في حالة الإشباع ، كقول الشاعر وهو عربي من بني جفْنة ، قال مازحاً : ـ

مرَّ الجرادُ على زرْعي فقلتُ له   إلْزمْ طريقَك لا تُولَـعْ بإفسـادِ

فقال منهم خطيبٌ فوقَ سُنْبلةٍ   أَنَاَ على سفرٍ لابـدَّ مـن زادِ

فقال : ـ (أنا) ومدَّ ((أنا)) [1] .

فهذا هو الإشباع والاختلاس (يابن منصور) ، وإني أنْصحك أن تدرس علم العَروض الذي سخرت منه في مقالتك ، وهو علم جليل ، يحمي شعرنا الأصيل من انتهاك حرماته ، ويحفظه من الخروج على أوزانه ، ويجنّبه ما لحقه من آفات وعاهات في هذا العصر ، عصر لغة الجرائد ، ولغة المحادثة اليومية السطحية ، التي أناخَتْ بكلْكلها على الفُصحى .

---

[1] يقول أهل اللغة :ـ أنا فعلتُ بغير ألف في الوصل ، فإذا وقف المتكلم قال :ـ أنا ، فأثْبتَ الألف ، وإثْباتها في الوصل لغة قد قُرئ بها في مواضع من القرآن ، قرأ بها نافع فيمن وافقه من أهل المدينة ، وجمهور القراء على حذف الألف في الوصل .

وأمّا (تذود) ، فلا أعرفها ولم أدْرسها على أيدي مشايخي إلاّ ما جاء في معاجمنا اللغوية ،ذاده : دفعه وطرده ، ويقال : ذاد عن حرمه ، وعن وطنه ، و ذاد عنه الهم ، وذاد الدواب عن الموارد .. وفي التنزيل العزيز :ـ ﴿ وَوَجدَ منْ دُونِهمُ امْرأتَينِ تَذُودانِ ﴾ [1] ، وأجمع المفسرون على معنى (تذودان) ، أي تمنعان أغنامهما عن الزحام أو التفرق ، فقال المفسرون : ـ عن الزحام أو التفرق ، لأن لغتنا الجميلة الشاعرة ، تنص على (ذاد عن كذا) ، وفي الحديث : ـ (ليذادّنّ رجالٌ عن حوْضي) ، وفي حديث الحوْض :ـ (إني لبعقْر حوْضي أذود الناس عنه لأهل اليمن) ، والذوّاد بتشديد الواو ، الرجل الحامي الحقيقة ، ولقب امرئ القيس بن بكر لقوله : ـ

أذودُ القوافيَ عنّي ذيادا ذيادَ غُلامٍ غويٍّ جِيادا

فقال : ـ أذود عنّي .. وقال الشاعر العربي : ـ

أبيتُ على باب القوافي كأنمّا أذودُ بها سرْباً عن الوحش نُزّعَا

فقال : ـ أذود بها سرْباً عن الوحش .. وقال جميل بن معْمرَ : ـ

فما ذاد عنّا الناسُ إلاّ قِراعُنا وإقدامُنا واللازمُ الحقَّ يعرِفُ

فقال : ـ ذاد عنّا ، والبيت من فائية جميل بن معمْر المشهورة ، غير أنَّ هذا البيت ، لم يذْكرْ في ديوانه المطبوع ، ولفائية جميل رواية

---

[1] آية (٢٣) من سورة القصص .

مطوّلة في المراجع اليمنية ، فهي فيها أطول ، مما ورد في طبعاتِ ديوانِه .

وأما قول محمد بن منصور آل عبد الله (تذودُ معي العِدا) ، فهو قول محنّط ، لم يأتِ له مثيل في شعرنا العربي قديما وحديثاً ، ولا محلّ للقياس لكل عامّيٍ جاهل ، ولا ألتفتُ إلى ما جاء في مقالته من تفسير ، لايرجع فيه إلى علْم ، ولا يخلُد إلى فهْم ، ولايأوي إلى سدادٍ وثقة .

وسأعرض على القراء الكرام ، عبارات من كلام العلماء ، علماء اللغة ، ولعل ابن منصور يقرؤها ، فيستريح ، ويريحنا من غثائه ، وهرائه ...

يقول علماء اللغة (رحمهم الله) : ـ قد يسقط حرف الجر بعد الفعل المتعدّي ، ويُنصَبُ الاسم المجرور بعده ، ومنه قوله تعالي : ـ ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلاً ﴾[1] ، أي من قومه .

ومنه قول الشاعر : ـ

تمرّون الديارَ ولم تعوجوا   كلامُكمو عليَّ إذنْ حرامُ

والأصل تمرون بالديار ، فنُصب المجرور بعد سقوط حرف الجر ، ومنه قول العرب : ـ (سافرتُ مكة) وَ (ذهبتُ الرياض) أي

[1] سورة الأعراف ، آية (١٥٥) .

سافرتُ إلى مكة ، وذهبت إلى الرياض .. والنصب هنا سماعي غير قياسي ، يُقْتصر فيه على الأمثلة الواردة عن العرب ، فلا يجوز أن تقول : ـ (ذهبتُ البيت) ، ولا :ـ (تمرون النادي) ، ولا (أمسكت القلم) ، وتقول :ـ (أمسكْت بالقلم) ، و (أمسكتُ الحجر الأسود) .... وانظر كتب اللغة ، والنحو ، والصرف ، وهي كثيرة ومتنوعة ، وفيها علم كبير ، ولعلّ ابن منصور يطّلع عليها (عافاه الله وهداه إلى سواء السبيل) فيريحنا من ترّهاته ...

وأما قول ابن منصور : ـ (وعدت أنا كحر) ، الذي أخذ يلُتُّ ويعْجِنُ ويثرثر ويُبدئُ ويعُيد في شرحها ، فكلامه مردود عليه ، لأنه لايعرف دقائق اللغة العربية ، التي حفظها لنا رجالٌ من الرعيل الأول والثاني ، كابن السكيت ، والهمذاني ، والحريري ، والجواليقي ، والثعالبي ، والخفاجي ، واليازجي ، والألوسي ، وابن خالويهْ .. ولا أكتُم من أحبَّائي الخُلَّص ، علمائنا في اللغة والنحو ، أبنائنا المعاصرين من الأكاديميين ، وهم كثيرون ، ولا يسعفني السنُّ أنْ أَذكر أسماءهم ، أقول : ـ لا أكتم من أحبَّائي الحديثَ عمَّا سأجده من خلاف فيما أقوله ، وقد وطّدتُ نفْسي على الإفادة منهم ، والاعتداد بقولهم من نقد بنَّاء ، إذا كان النقد من هؤلاء العلماء ، فأنا مازلتُ

طالبَ علم .. وأمَّا المتطفلون على العلم ، فليس لهم عندي ما يسرُّ الخاطر ، ويشرح الصدر ، وأعود إلى قول ابن منصور : ـ (وعدت أنا كحرٍّ) ، فالأصحُ والأصلُ في استعمال هذه الجملة أنْ تقول : ـ (وعدتُ حرّاً) ، لتتجنّب ذكْر فاعليْن وحرف جر زائد .

وما يردده بعضُهمْ في أيامنا هذه من قوله : ـ (أعمل كموظف عند الحكومة) و (أعمل كمعلّم في مدرسة كذا) فليس من الفصيح ، والفصيح أن تقولَ : (أعمل موظفاً عند الحكومة) و (أعمل معلّماً في مدرسة كذا) ...

وأمَّا قول ابن منصور : ـ (فأخونا العبَّادي ـ رعاه الله ـ يريدني أنْ أستبدل كلمة هُراء بكلمة خِداع ، والمعنى بين الكلمتين كبير) ..

فقوله هذا غير صحيح ومردود عليه ، وقد طلبت منه استبدال الخِداع بالهُراء ، فالذي طلبتُ تركه هو (الهُراء) ، لأنه المتروك ، وقد أدخلت عليه (الباء) .

تقول : ـ استبدلت بسيارتي سيارة جديدة ، وبدّل أولادي بكتبهم القديمة كتباً جديدة ، ويؤيد لغتنا الفصيحة قوله تعالى : ـ ﴿ قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خيْر ﴾ ٦١ البقرة وقوله تعالى :ـ ﴿ ولا تتبدّلوا الخبيثَ بالطيّب ﴾ ٢ . النساء .. وقوله تعالى : ـ

﴿ ومن يتبدّل الكفر بالإيمان فقد ضلّ سواءَ السبيل ﴾ ١٠٨ البقرة ..
فهذه الآيات الكريمة كلُّها قد أدْخلت الباء على المتروك ، ولكن ابن منصور يجهل هذه الدقائق ، لأنه لم يتلقَّ عْلماً على شيخ ، ولا في مدرسة رسمية ، ومن كان علمه من كتابه ، فجهله أكثر من صوابه .

ثم أعود إلى أبياته الستة المكسورة ، التي أشرت إليها في مقالتي السابقة ، المنشورة في جريدة الرياض الغراء ، ومنها هذا البيت : -

وبانَ بأنّ ودَّك لي هُراءٌ وأنَّ في قلبك الداءَ الدفينا

فالشطر الثاني مكسور ، وعجَز ابن منصور أن يجدَ مخْرجاً يخرجه من هذا الخطأ العَروضي ، وقد بحثتُ له عن المخرج فعجزت ، وأردت أن أخفف (أنّ) كما قال ابن مالك (رحمه الله) .

وإنْ تخفّفْ (أنَّ) فاسمها استكنْ
والخبرَ اجْعلْ جملْةً من بعْد أنْ

فإذا خفّفت (أنَّ) المفتوحة ، بقيتْ على ماكان لها من العمل ، ولكن لا يكون اسمها إلا ضمير الشأن محذوفاً ، وقد جاء ضمير الشأن محذوفاً ، في الشطر الثاني من بيت ابن منصور ، ولكنَّ خبرها لا يكون إلاّ جملة ، فإن كانت الجملة فعْلية ، فعلُها

متصرّف ، وجب فصلُها ، بما يفرق بينها ، وبين أنْ الناصبة للفعل ، وذلك يكون : ـ إمَّا (بقدْ) ، وإمَّا (بالسين) ، وإمَّا (بسوْف) ، وإمَّا بأحرف النفْي ، أو أدوات الشرط .. نحو : ـ (عرفتُ أن قد حانَ الامتحانُ) و (أنْ سينجحُ أخوك) و (أنْ لنْ ينجحَ المتكاسلون) و (أنْ لو اجتهدتمْ لنجحْتم) .. .

وترْكُ الفصل نادر ، ويأتي في الشعر نادراً ، وما قاله ابن منصور : ـ (وأنَّ في قلبك الداءَ الدفينا) جاء فيه ضمير الشأن محذوفاً ، وإنْ كانت الجملة اسمية أو فعلية ـ صدرها فعل جامد ـ أو دعاء ، استغْنتْ عن الفاصل ، نحو : ـ ﴿ وآخِرُ دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾ [1] ونحو : ـ ﴿ وأنْ ليس للإنسان إلاَّ ما سعى ﴾ [2] ، والخبر عند ابن منصور شبه جملة ، فليس لنا مخرج لنخالف الأصل الغالب على ألْسنَةِ جمْهرة العرب ، وأمَّا (الود) يابن منصور ، فلا يوصف (بالهُراء) وإنما بعض الكلام هُراء ... .

يقول أبو العلاء المعرّي : ـ

بأيّ لسانٍ ذمّني متجاهلٌ

عليّ وخفْقُ الريح فيّ شتاءُ

---

[1] الآية العاشرة من سورة (يونس) .

[2] الآية (٣٩) من سورة (النجم) ..

تكلّمَ بـــالقوْل المضـــلّل حاســدٌ

وكـــلُّ كـــلامِ الحاســـدين هُـــراءُ

أتمْشي القوافي تحْتَ غير لوائنا

ونحـــنُ علـــى قُوَّالِهـــا أُمـــرَاءُ

وإنما استعمل العرب الفصحاء في إظهار الصديق المودة ، وقلبه منطوٍ على السوء : ـ عباراتٍ بليغة ، فقالوا : ـ ظاهرهُ نُصح ، وباطنه غِش ، يُبْدي الصلاح ، وَينْوي الفساد ، وُيعِلنُ الود ، ويُبْطن الصد ، ويجْهرُ بالحب ، ويُسِرُّ البغْض ، وينْتحِل الإخلاص ، ويعتقدُ الاعتياص ، ويُريني الصفاءَ ، ويُوليني الجفاءَ ..

وابن منصور في رده عليَّ ، يرتضخ عداوة وحِقْداً ، وهذا ديدنه مع بعض الناس إذا خالفوه رأْياً ، وردُّوا عليه خطأً ، وأرادوا هدايته إلى المحجة المستقيمة ، وقد عرفت سلوكه هذا ، حينما تقدم إلى نادي الطائف الأدبي برغبته طبع كتابه (العيون في الحجاز وبعض أوديته) ، فاعتذرنا له ، لأنَّ جل ما جاء في الكتاب ، قد استقاه ابن منصور ، من كتاب ابن عمه الشريف / مساعد بن منصور بن مساعد آل عبدالله .. وكتاب ابن عمه (مياه مكة في التاريخ) ،

معروف ومشهور ، وقد أشار إليه ابن منصور في كتابه (العيون في الحجاز) ، فقال : ـ

(وأخص بالذكر صديقي وابن عمي الشريف مساعد بن منصور بن مساعد آل عبد الله الذي نثر كنانة علمه بين يديَّ ، وأمدّني بكل ما لديه من مراجع ووثائق نادرة ومخطوطة) .

ثم عاد محمد بن منصور كعادته ، وأنكر أنْ يكون لابن عمه الشريف مساعد بن منصور بن مساعد ، مؤلفات عن المياه والعيون ، وقال ما نصه : ـ (آل عبد الله ، ومنهم مساعد بن منصور بن مساعد ، صاحب كتاب (جداول أمراء مكة) ، ترجم له السيد عبد الرزاق كمّونة ، وعده من نسابي القرن الرابع عشر ، وعدَّ من مؤلفاته : ـ الشجرة العدنانية ، والشجرة القحطانية ، وكتاب الطائف في التاريخ ، وكتاب عيون مكة) ثم قال ابن منصور : ـ والحقيقة أن السيد كمّونة وهم فيما ذكر له من مؤلفات ، والذي أعرفه بحكم القرابة والنسب ، فإنه ليس لمساعد سوى كتاب (جداول أمراء مكة وحكامها) وانظر صفحة ٤٦ من كتابه (قبائل الطائف وأشراف الحجاز) .

وسكت ابن عمه الشريف مساعد بن منصور بن مساعد عنه ، لأن الشريف مساعد كما عرفه القاصي والداني من أهل الحجاز ، ذو هيبة ، وورع ، وعفة ، ومراعاة للأهل والعشيرة ، رفيع المنزلة ، بشرف نسبه ، وعلو منصبه ، عزيز النفس أبيّها ، وقد رأيته في أخريات الستينات الهجرية ، يلازم شيخنا وأستاذنا العالم العلامة السيد / علوي عبَّاس مالكي (رحمه الله) ، في داره العامرة ، الكائنة في باب السلام الصغير ، من أبواب الحرم المكي ، وكان شيخنا السيد علوي يحبه ، ويفسح له المجلس إذا حضر .. . وقد دخل على شيخنا مرةً ، وكان ذلك في عام ١٣٦٩هـ أي منذ ثلاث وخمسين [١] سنة ، بعد صلاة العصر ، وكنت جالساً مع بعض الطلبة ، أقرأ على شيخي باباً من أبواب العَروض ، وكان الشريف مساعد يحمل ابنة له ، لا تتعدَّى السنة الثانية من عمرها ، فتلقّاها شيخنا بيديه ، وللشريف مساعد وابنته الصغيرة عند شيخنا حق وحرمة ، وولاء وذمام ، وقربة ومنزلة ، وزلفة وموقع ، فشيخنا جد الطفلة لأمها ... فاستعجلتُ شيخي السيد علوي عباس المالكي (رحمه الله) ، وقد دنا شخوصه وأظل ، ليؤمَّ الطريق إلى المسجد

---

[١] حين كتابة هذه المقالة .

الحرام لصلاة المغرب ، فبادرته بسؤالي : ـ ما اسم الطفلة ياشيخي ، فقال لي مرتجلاً كعادته في ارتجال البيت ، والأبيات من الشعر : ـ

ضاءَ نورٌ لسعْدها في الدياجي فلهذا أسْميتُها (بمنيرهْ)

ثم أرْدف قائلاً : ـ سأسألك أيها (العبّادي) ، عن وزن هذا البيت ، وعليك أنْ تأتي بالشرح وافياً ، عن زحافاته المستحسن منها والمكروه ، وعن بحره التام ، والمجزوء ، وكيف تكتب تفعيلاته ، واشرح السبب الخفيف ، والفاصلة الصغرى ، والوتد المجموعَ ، ولتكنْ مستعداً بعد أن تُصلّيَ معي صلاة المغرب في المسجد الحرام .

رحم الله شيخي وأستاذي السيد علوي عبّاس المالكي وأسكنه فسيح جناته ، ورحم الله الطفلة الشريفة (منيرة) بنت مساعد بن منصور بن مساعد ، فقد علمت بوفاتها ، منذُ سنينَ مضتْ ، وقد تخطّتْ خمسين سنة من عمرها ..

وأعود إلى الأخ محمد بن منصور آل عبد الله ، الذي اعتذر إليه نادي الطائف الأدبي ، وشرح له وجهة نظره ، في عدم طباعة كتابه (العيون في الحجاز) ، فقبل عذرنا ، ثم أخذ بعد ذلك يُزْري بنا ويُندّد ، ويُنطِفُ بسوء ، ويَزنُّ شخصنا ، ويسْلقُنا بلسانه ، ويرمينا بكل عضيهة وإفْك ، ولنا أسوة حسنة بمن تعرَّضَ لهم ابن منصور ،

ونسبهم إلى كل عيب ، ورماهم بالأباطيل والأضاليل ، وأظهر لهم مكتومَ عداوته .

وللأخ محمد بن منصور آل عبد الله نص شعري يمدحني به ، وأحتفظ به ، كتبه بيده ، ورغب مني أن أقرأه ، وأصحح ما جاء فيه من أخطاء ، والنص يتكون من اثني عشر بيتاً ، وقد بدأ النص بقوله :-

يابْنَ عبَّادَ أنت شيْخٌ وقورُ أنت أستاذُنا وأنت المديرُ

أنت نبراسُ للنُّهَى يابْن عِلْم يطلبُ الفضْلَ من حجاك الكبيرُ

إلى أن يقول في هذه القصيدة المحنّطة : -

لا تقلْ إنّ قلبَ الأديب رطبٌ ينبض الحبٌّ في الجمال أسيرُ

فيكسر الشطر الأول ، ويرفع كلمة (أسير) ومحلها النصب ، لأنها حال منصوبة بالفتحة الظاهرة .. ثم يقول : -

رُبَّ من قال مثل هذا تجشَّمَ كلَّ هولٍ وعاد وهْو الكسيرُ

فارْحمِ القلب يا بليغَ القوافي إنَّ شعْر الهوَى لشوقي يثيرُ

والقصيدة يخاطبني بها ، ويعترض عليَّ ، لأنني قلت شعراً في الغزل ، وأنا الشيخ اليفَنُ ، وقد وصفني في البيت الثاني : ـ فارحم

القلب ... ببليغ القوافي ، وأطلق عليّ الشيخ الوقور ، ونبراس النهى وأستاذنا ، والفضل يُطلب من حجاي .. . لأنه كان في حينها راضياً عني ، فلما ماراني الشغب ، وطارحني الكلام ، غضّ من قَدْري ، ولم يُصْغ إليّ ، وطلبَ منّي أن أكون معه في حَلْبة سباق ، لعله يأتي فيها المجلّي ، وآتي بعده سُكَيْتاً أعرجَ أمشي على عكّازٍ ، (فسامحه الله) .

وأما قول ابن منصور : ـ (ولكن مع هذا فضْلُ العرب مشهور ومعروف ، عند أهل العلم ، ودواوين السنة طافحة بفضل العرب عامة ، وقريش خاصة) ثم يقول :ـ (والعرب لم يُنْكرْ فضلَهم ، ويغمط حقّهم إلاّ الشعوبيون ، وأَرْبأُ بالأستاذ العبَّادي أن يكون منهم ، الذين أحسُّوا بضعة أنفسهم وخِسَّةِ منبتهم) ، ثم استشهد ابن منصور بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، حين سئل عن خير الناس فقال : ـ (خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا [1]) وأقول لابن منصور :ـ كلامك هذا حق يراد به باطل .

وأنت بهذا الكلام تثير فيّ أحزاني ، وتذكّرني بماضٍ مشرّف قد نسيته ، فقد كتبت عن الشعوبية في عام ١٣٨٠ هـ ، من الهجرة أي

---

[1] الحديث رواه الإمام البخاري ، في باب (أحاديث الأنبياء) .

منذ اثنتين وأربعين سنة ، تحت عنوان (أنابيش) ، وكانت مقالات حمدها القراء وأعجبوا بها ، وكتب عنها صاحب جريدة الندوة الأستاذ صالح محمد جمال [1] (رحمه الله) التي أكتب فيها :- (مقالات أنابيش للأستاذ علي بن حسن العبادي ، فيها مرور سريع وافٍ زاخر بالملائح والطرف ، بالحقائق التي تجلو مواقف كانتْ راسخةً في أذهاننا) .

وانظر جريدة الندوة ، عددها (٦٠١) الصادر في ١٦ / ٧ / ١٣٨٠من الهجرة .

وأذكر أنّي ختمتُ مقالةً لي عن الشعوبية ، نُشرتْ لي في الثمانينات الهجرية في جريدة الندوة بقولي : ـ (وأخيراً أقول ما قال الإمام الزمخشري (رحمه الله) : ـ (الله أحمد على أنْ جبلني على

---

(٢) الأستاذ الصديق صالح محمد جمال ، أحد الرواد الأوائل في الصحافة السعودية ، وممن ساهموا في تطويرها بالعلم والرأي ، وتعدّدتْ مساهماته الفكرية والإسلامية لفترة طويلة ، وعمل في المجالات الخيرية ، أسس مكتبة الثقافة في سنة ١٣٦٤هـ ، ثم دار الثقافة للطباعة في سنة ١٣٧٧هـ ، وأنشأ جريدة حراء في عام ١٣٧٦هـ ، وتولى رئاسة تحريرها ، ثم جرى دمجها في جريدة (الندوة) في سنة ١٣٧٨هـ ، وعمل رئيساً لتحريرها ، ولد في مكة المكرمة في سنة ١٣٣٨هـ ، وتوفي في يوم السبت ٢٥ ذي القعدة في عام ١٤١١هـ في حادث سيارة ، ودفن (رحمه الله) في مكة المكرمة .

الغضب للعرب ، وأبى لي أنْ أنفردَ عن صميم أنصارهم وأمتاز ، وأنْضوي إلى لفيف الشعوبية وأنحاز) .

وكان لهذه المقالات وقْعٌ حسن عند أستاذنا أحمد محمد جمال[1] (رحمه الله) فكتب إليّ رسالة ، برقم ١٦٦ وتاريخ ١٦ / ١ / ١٣٨١ هـ ، أي منذ إحدى وأربعين [2] سنة بتوقيعه الكريم جاء فيها :ـ (فقد رأينا أن نأخذ رأيكم في إسناد (ندوة الأدب) إليكم ، وجعلها تحت إشرافكم ، واثقين أنكم لاتضِنُّون على الندوة بهذا الإسهام الكريم) وهي رسالة طويلة يقول فيها أستاذنا أحمد جمال : ـ (على أن تستقبلوا إنتاج الناشئين من الأدباء والقراء ، وتتولّوا توجيههم وإرشادهم ، وتشجيع المجيد منهم ، وسنوالي بعد ردكم إرسال بريد الأدب إليكم) .

---

[1] الأستاذ الصديق أحمد محمد جمال ، الكاتب الإسلامي الكبير والفقيه والمفسر والباحث ، ولد بمكة المكرمة في سنة ١٣٤٣هـ ، واختير أستاذاً للثقافة الإسلامية في سنة ١٣٨٧هـ بجامعة الملك عبد العزيز ثم بجامعة أم القرى ، وظل مدرساً بها حتى وفاته بالإسكندرية ، في التاسع من شهر ذي الحجة من عام ١٤١٣هـ ، ودفن (رحمه الله) في مكة المكرمة .

نشاطاته الفكرية والصحافية معروفة ، في أجهزة الإعلام المحلية والخارجية .

[2] حين كتابة هذه المقالة .

وقد حققتُ رغبةَ أستاذنا أحمد محمد جمال ، وحررْتُ (ندوة الأدب) رَدَحاً من الزمن .. أحررها من مدينة الطائف ، مستعيناً ببعض إخواننا وأبنائنا من أهالي الطائف ، الذين يغْدون إلى مكة ويعودون إلى الطائف يومياً ، وكان منهم الأخ محمد بن منصور آل عبد الله ، أستعين به وبهم لنقل بريد الندْوةِ ، فإليه وإليهم أتقدم بخالص الشكر وجميل الثناء .. وقد جاء الشكر متأخراً إحدى وأربعين سنة[1] ، بعد أن كتب عني ابن منصور جزاه الله عني كل خير ، قائلاً : ـ (ولكنّي أظنُّ أنَّ أخي العبادي لايعرف من علوم البلاغة شيئاً ، فلهذا راح يهرف بما لا يعرف) .

وأُحِبُّ أنْ أهمس في أذن حبيبنا ابن منصور آل عبد الله ، أني أعيب عليه أنْ يتعرَّض لإخوان لنا بالطعن والتجريح في أنسابهم ، وهم أمناء على أنسابهم إنْ شاء الله ، لأن العصبية للجنس من أسباب التفرق والخلاف ، وأن الفضل الحقيقي هو اتباع ما بعث الله به محمداً عليه الصلاة والسلام .. والفضل كل الفضل إنما هو بالأسماء المحمودة في الكتاب والسنة ، مثل الإسلام والإيمان والبر والتقوى والعمل الصالح والإحسان .. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ـ (إنه

---

[1] حين كتابة هذه المقالة .

أوحي إليّ : أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولايبغي أحد على أحد) ... فنهى سبحانه وتعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، عن نوعي الاستطالة على الخلْق ، وهي الفخر والبغي ، لأنَّ المستطيل إن استطال بحقّ فقد افتخر ، وإنْ كان بغير حقٍ فقد بغى .. فافْهم ما قصدتُه يابن منصور .

وقد حفظت من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : ـ « إنَّ الله خلق السموات سبعاً ، فاختار العليا منها وأسكنها من شاء من خلْقه ، ثم خلق الخلْق ، فاختار من الخلْق بني آدم ، واختار من بني آدم العرب ، واختار من العرب مُضَر ، واختار من مضر قريشاً ، واختار من قريش بني هاشم ، فأنا خيار من خيار من خيار ، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ، ومن بغض العرب فببغضي أبغضهم » ..

ولقد قرأت كتاب (مبلغ الأرب في فخر العرب) للإمام أحمد بن محمد بن حجر المكي الهيتمي ، المتوفّى في سنة ٩٧٣ هـ ، وحفظت فحْواه ، وتعلمتُ من آبائي وأجدادي العرب الأقحاح :ـ أنّ ذل العرب ذل الإسلام ، وهلاك العرب من أشراط الساعة ، وبغض العرب من النفاق ، كما تعلمنا من آبائنا أن الشعوب الإسلامية بها

انتصر الإسلام ، وفيهم من القادة العظام الذين ملؤوا الدنيا عدْلاً وإسلاماً ، وليس البطل صلاح الدين الأيوبي ببعيد عن أنظارنا .. ..

وأُشير عليك أنْ تقرأ هذا الكتاب للإمام ابن حجر الهيتمي ، الذي أخذ (رحمه الله) يسرُدُ مناقب كل قبيلة عربية بفخر واعتزاز ، فيذكر فضائل قريش والأنصار والأزد وتميم وثقيف وحضرموت وحمير وهمْدانَ وعنزة وجهينة وثقيف ، وغير ذلك من القبائل العربية ، التي تشرّفَتْ بالإسلام ، ووحّد بينها وبين الشعوب الإسلامية .

وابن حجر الهيتمي في كتابه هذا ، يدعو كل عربي أن يعرف علوَّ منزلة أجداده ، حتى يتسنّى له أن يأخذ بزاد من الماضي ، ليتقوّى به على الحاضر ، ولكنّ الكتابَ ينْهَى عن التطاول على المسلمين من غير العرب ، والتعرض لأنسابهم ، والخوض في سيرتهم بالباطل .

فافْهم ذلك يابن منصور ، هداك الله وعافاك .

ويقبع في مكتبتي كتاب ابتعته منذ خمسين سنة ، واسم الكتاب (الإتْحاف في حُبّ الأشراف) للإمام الشيخ عبد الله بن محمد الشبراوي ، الذي توفي في سنة ١١٧١ هـ ، وكان محّدثاً عالماً في أصول الفقه ، متكلماً شاعراً أديباً ، وقد تولّى مشيخة الأزهر ، بعد الشيخ

محمد شَنَن ، وكان الشيخ الشبراوي مقبول الشفاعة ، وكتابه (الإتحاف) لم يُشر إليه من ترجم له من المؤرخين ، ومنهم خير الدين الزركلي ، وهذا الكتاب قد طبع الطبعة الوحيدة ، في المطبعة الشرفية بمصر المحمية ، في عام ١٣١٨ هـ ، ويتكون الكتاب من ثمانية أبواب ، كلها ثناء على آل البيت ، عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

وإنْ أنْسَ فلا أنْسَ كتاب (إحياء الميت في الأحاديث الواردة في آل البيت) ، للإمام جلال الدين السيوطي (رحمه الله) ، وقد ذكر في كتابه ستين حديثاً مرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضائل آل البيت ، وقد قرأتها في شبابي ، وفهمت فحواها ، وأمَّا دعوتك لي لإقامة أمسيّة شعريّة ، فلا يُدْعى صاحب البيت إلى بيته ، ولكنَّها فرصة أتحْتها لنا يا أخانا الفاضل ، للقيام ببعض حقك وإشهار شعرك ، وسندعوك إنْ شاء الله ، لإقامة أمسيّة منفردة ، لتنال حظك ، إلْقاءً وإطْراءً وتعليقاً وتعقيباً ، ولعلَّك تخرج منها رافع الرأس .. ..

وأما قولك (من أثر مهنة التدريس التي مارسها أخونا العبَّادي لأكثر من أربعين سنة مع الصبيان) ..

فأقول له : ـ إنَّ السخرية بالمعلمين هجْنة نبتتْ في أذهان المبتدعة ، وأصحاب الأهواء ، من المعتزلة ونحوهم .

وقد كتب علماء الحديث والفقه من الأئمة الكبار ، عن شيوخهم في الصغر الذين لهم الفضل على إطْلاق ألسْنتهم ، وأفْردَ محمد بن حبيب المتوفّى في سنة ٢٤٥ من الهجرة باباً للمعلمين ، في كتابه (المحبَّر) من صفحة ٤٧٥ حتى ٤٧٨ طبعة الهند ، وأطْلق عليهم الأشراف ، وذكر منهم :ـ سفيان بن أمية بن عبد شمس ، والحجّاج بن يوسف الثقفي ، وعامراً الشعبي ، وعبد الله بن حبيب ، معلّم الحسن والحسين ، وسفيان بن عيينة ، وميمون بن مهرْان ، مؤدب ولد عمر بن عبد العزيز ، وعطاء بن أبي رباح ، مفتي أهل مكة ومحدثهم ، كما خصص ابن قتيبة المتوفّى في سنة ٢٧٦ من الهجرة ، في كتابه (عيون الأخبار) ، باباً لمعلمي الصبيان ، وذكر منهم :ـ الكميت بن زيد الشاعر ، وعبد الحميد الكاتب ، كاتب بني أمية ، وعلقمة بن أبي علقمة موْلى عائشة رضي الله عنها ، وكان له مكتب يعلّم فيه الصبيان ، وغيرهم كثيرون ، وقد أشار إلى بعض ما ذكرت ، الدكتور المؤرخ ابننا الشاب الأديب الأريب سليمان بن صالح آل كمال ، في كتابه عن التعليم في الصفحة التاسعة من

الكتاب ، وهو كتاب حُجّة ، وقد أجيز من المجْلس العلْمي بجامعة أم القرى .

وأعود إلى الأبيات المكسورة لابن منصور ، التي تطرقتُ إليها في مقالتي السابقة ، يقول ابن منصور : ـ

فخاب الظنُّ فيه يا كتابي   وبانَ بأنّهُ غيرُ الرفيقِ

وقد قلتُ إن الشطر الأول مكسور ، ويستقيم وزنه لو قال : ـ (فخاب الظن فيه أيا كتابي) بزيادة ألف على (ياء) النداء .. وسكت ابن منصور ، وكانت الفرصة متاحة له للرد عليّ علمياً ، لو كان يعرف شيئاً من علم العروض .. .. . وليته قال لي : نعم إنّ الشطر الأول مكسور لو اختلستَ (الهاء) من (فيه) ، وأمَّا إذا أشبعْتَها ونطقْتَ (فيه) بمد الهاء فلا ينكسر الشطر ، ، وأمَّا الشطر الذي عددته مكسوراً وهو : ـ (عن أقوال تصم السامعينا) فهو غير مكسور إذا نطقْتَ الهمزة همزة وصل ، وهو من ضرائر الشعر التي عدّها علماء اللغة ؛ لأن وقوع همزة القطع في الكلام ، أكثر من وقوع همزة الوصْل ، فلذلك حصروا مواضع همزة الوصْل ، ليعلم أنَّ ما عداها همزة القطْع ، وهي ما تثْبتُ في الابتداء ، ولا تَسقُطُ في الدرْج إلاّ لضرورة ، كقول الشاعر : ـ

إنْ لم أقُاتِــلْ فالبِســوني بُرْقُعــا

حيث حذف الشاعر الهمْزةَ من (ألْبِسوني) في الوصْل ، مع أنّها همزة قطْع ، لأنّها همزة (ألْبس) ، وقد حُذِفَتْ من المضارع لعلّة صرْفية ..

فلو قال ابن منصور هذا القول ، لعلمْتُ أنَّ في العباءة رجلاً ، عالماً يَحملُ فكْراً حصيفاً .



عندما تطرقتُ إلى طائفة من المتشاعرين الذين يكتبون شعراً عمودياً أو شعر التفعيلة ، ونوَّهت بخطئهم العروضي ، وغلطهم في النحو واللغة ، ما أردتُ من وراء ذلك إلاّ أن أهديهم إلى المحجة السوية ، والصُّوى الواضحة ، وقد انتقدتُ شعر أحدهم كغيره من المتشاعرين ، فأخذته العزة بالإثم فظل يماريني بالشغب ، ويطارحني الكلام ، ويستعين بجلسائه ممن يحملون الشهادات العليا ، التي يسبق ديباجتها حرف (الدال) ، هذا الحرف الذي تتحلّى به الشهادات ، كما تتحلَّى سُدى الثياب الفاخرة ولُحْمتُها بالحرير الناعم ، فيحملها أكْفَاء ينالون منا الاحترام ، وغيرُ أكفاء ، وقد تأكدت من استعانة أحدهم بأصحاب الشهادات العليا ، بما جاء في رده الأخير على نقدي له ، لأن في رده كلاماً قلته لأحد جلسائه من أصحاب الشهادات ، حيث قلت له : ـ

إن بيت الشعر الذي جاء في قصيدة صاحبك المحصرمة ، وهو قوله :

كتابي (لاتلمْني) فأنت شهمٌ تعفُّ عن الملامةِ للصديقِ

مكسور شطره الأول ، ولا يستقيم وزنه إلاّ إذا حُذِفَتْ الفاء من (فأنت) ، وأما قول صاحبك : ـ (لقد أشبع الأستاذ العبادي حركة النون حتى تولد منها حرف ساكن فانكسر البيت ، وعلى هذه القراءة سار في نقده العجيب) انظر ما كتبه في جريدة الرياض في العدد ٩٩٤٤ الصادر في ٢ صفر من عام ١٤٢٢ هـ .

وقلت لصاحبه وهو يحاورني : ـ (إن هذا ليس إشباعاً ، وقد شرحتُ معنى الإشباع في جريدة الرياض في العدد ١٢٠٢٢ الصادر في يوم الخميس غرة ربيع الأول من عام ١٤٢٢ من الهجرة ، فلعل صاحبك يعي ويتعلم ويفهم .. .)

وقلت لصاحبه : ـ (ليت صاحبك أشار في رده إلى ما جاء في القرآن الكريم ، من آيات حذف منها (ياء) المتكلم ، كقوله تعالى في سورة الكهف : ـ ﴿ فعسَى ربّي أنْ يُؤْتِيَنِ خيْراً من جَنَّتِك ﴾ (١) . لأفحمني ، ثم هناك شواهد من الشعر شاذة ، ومن حقه أن يستشهد بها لينتصر عليَّ في رده ، ولكنَّ صاحبك يستثير دفائن الإحَن ،

---

(١) آية (٤٠) من سورة الكهف . .

لَّما أبطلتُ أصل الشعر في شعره ، ورجوته أن لايشيد بصاحبه وهو مستغلق الطبع ، وأن يصْدُقَ معه ، وأن يريه الحق حقاً.

ولم يمض وقت كبير على قولي هذا لصاحبه ، حتى طلع علينا أحدهم بنقد يغاير نقده السابق ، إذ كتب في جريدة الرياض في العدد ١٢١٠٢ الصادر في ٢٦ جمادى الأولى من عام ١٤٢٢ هـ .. مستشهداً بست آيات كريمات من كتاب رب العالمين ، حُذِفتْ ياء بعض كلماتها ، ونسي ماكتبته سابقاً عن الإشباع ، بل أعرض عنه بتوجيه من أصحابه ، أو من صاحبه الذي حاورني وصرّحتُ له بما عندي وأبديته ، وكانت فرصة بعد قراءة نقد أحدهم الأخير ، سَنَحتْ لي لأشرح له ولصاحبه ما جاء في كتب النحو : ـ منْ حذف الياء جوازاً في القرآن الكريم .

قال علماء النحو (رحمهم الله) : ـ

الياء قد تكون للمخاطبة ، أو للمتكلم ، أو آخر الاسم المنقوص ، أو آخر الفعل المعتل بها ، فإن كانت للمخاطبة ، كانت فاعلاً في محل رفع ، وهذه لا يجوز حذفها كما في قوله تعالى في سورة آل عمران : ـ ﴿ يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ﴾ .. وإنْ كانت

للمتكلم كانت في محل نصب أو جر ، وهذه يجوز حذفها في ثلاثة مواضع : ـ

أحدها : ـ في حالة النداء ، كما في قوله تعالى في سورة غافر : ـ ﴿ ياقومِ لكم الملك اليوم ﴾ ، ﴿ ياقومِ إنما هذه الحياة الدنيا متاع ﴾ ، وقوله في سورة الزمر : ـ ﴿ ذلك يخوف الله به عباده ياعبادِ فاتقونِ ﴾ وقوله في سورة الزخرف : ـ ﴿ ياعبادِ لا خوفٌ عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴾ وقوله في سورة طه : ـ ﴿ قال يابْنَ أُمَّ لا تأخذ بلحْيتي ﴾ .

الثاني : ـ تحذف قصداً للتخفيف ، وهذه قد ورد حذفها في مواضع كثيرة في القرآن التي كانت متصلة بالاسم ، كما في قوله تعالي في سورة إبراهيم : ـ ﴿ رب اجعلْني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاءِ ﴾ ، وقوله : ـ ﴿ ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيدِ ﴾ ، وقوله في سورة الرعد : ـ ﴿ ثم أخذتهم فكيف كان عقابِ ﴾ وقوله : ـ ﴿ إليه أدعو وإليه مثابِ ﴾ . وفي قوله في سورة الزمر : ـ ﴿ فبشر عبادِ الذين يستمعون القول ﴾

ومنها التي كانت متصلة بالفعل ، كما في قوله تعالى في سورة الكهف : ـ ﴿ فعسى ربي أنْ يؤتينِ خيراً من جنتك ﴾ ، وقوله في سورة الدخان : ـ ﴿ وإني عذت بربي وربكم أن ترجمونِ ، وإنْ لم تؤمنوا

لي فاعتزلونِ ﴾ ، وقوله في سورة آل عمران : ـ ﴿ فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين ﴾ ، وقوله في سورة يوسف : ـ ﴿ قال لن أُرسله معكم حتى تؤتونِ موْثقاً من الله ﴾ وقوله في سورة يس : ـ ﴿ إنْ يُردْنِ الرحمن بضر لاتغنِ عني شفاعتهم شيئاً ﴾ .

الثالث : ـ تحذف للازدواج ، ومراعاة الفواصل ، كما في قوله تعالى في سورة الفجر : ـ ﴿ فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمنِ ، وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانَنِ ﴾ وقوله في سورة الحجر : ـ ﴿ قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحونِ واتقوا الله ولا تخزونِ ﴾ .

وإنْ كانت آخر الاسم المنقوص ، جاز حذفها للتخفيف ، كما في قوله تعالى في سورة غافر : ـ ﴿ وياقومِ إني أخاف عليكم يوم التنادِ ﴾ وقوله في سورة البقرة : ـ ﴿ أجيب دعوة الداع إذا دعانِ ﴾ وقوله في سورة الصافات : ـ ﴿ ما أنتم عليه بفاتنين إلاّ من هو صالِ الجحيم ﴾ ، وقوله في سورة القمر : ـ ﴿ يوم يدع الداعِ إلى شيء نكر ﴾ .

وإنْ كانت آخر الفعل المعتل بها ، جاز حذفها في موضعين : ـ

أحدهما : ـ أن تحذف للازدواج ، ومراعاة الفواصل ، كما في قوله تعالى في سورة الفجر : ـ ﴿ والفجر وليال عشر ، والشفع والوتر ، والليل إذا يسرِ ، هل في ذلك قسم لذي حجر ﴾ ...

الثاني : ـ تحذف للتخفيف ، كما في قوله تعالى في سورة يس : ـ ﴿ إنّا نحن نحي الموتى ﴾ ، ﴿ قال من يحي العظام وهي رميم ﴾ ومثل هذه الياء ، واو العلة ، فتحذف للازدواج ، كما في قوله تعالى ، في سورة العلق : ـ ﴿ كلاّ لئنْ لم ينته لَنسْفَعاً بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه ، سندعُ الزبانية ﴾ وتحذف للتخفيف ، كما في قوله تعالى ، في سورة الإسراء : ـ ﴿ ويدعُ الإنسان بالشر دعاءه بالخير﴾ ، وقوله تعالى في سورة القمر : ـ ﴿ فتولّ عنهم يوم يدعُ الداعِ إلى شئ نكر ﴾ ..

وهذه الياء المحذوفة في الآيات الكريمات ، حذفت لرسم كتابة المصحف الشريف ولذلك يعربها من يريد إعرابها ، فيعرب هذه الآية الكريمة ، من سورة الكهف : ـ ﴿ إنْ تَرنِ أنا أقلَّ منك مالاً وولداً ﴾ :ـ إن : ـ أداة شرط جازم ، وترن : ـ فعل الشرط مجزوم ، وعلامة جزمه حذف حرف العلة ، والنون للوقاية ، والياء المحذوفة ضمير في محل نصب مفعول به ، وحذفت الياء برسم المصحف ، وانظر الكتب التالية : ـ معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري الزجّاج ، وإعراب القرآن لمحيي

الدين الدرويش ، وإعراب القرآن للنحّاس ، ومعاني القرآن للفرَّاء ، وإعراب القرآن لابن الأنباري .

وأما شواهد الشعر التي أشار إليها أحدهم في مقالته نقلاً من كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف) ، فقد وردتْ هذه الشواهد في مسألة القول في إعراب الاسم الواقع بعد (مذ) و (منذ) ، وهي مسألة بعيدة عن موضوعنا ، ولكن ابن الأنباري صاحب كتاب (الإنصاف) ، ألفه مقتصراً فيه على بعض ما يردُ من خلافات بين النحاة ، التي تمتلئ بها كتبهم ، ونراه معجباً بنفسه حينما يستعرض تلك المسائل ، وهي مسائل اختلفوا فيها ، ولا ترتبط بعضها ببعض ، ولا تفيد الطالب في شيء ، ولا يرتاح إليها المتعلم ، وأسرد للقارئ الكريم نبذة مما جاء في كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف) لابن الأنباري ، وإخالك لاترتاح لقوله ، لأنك لا تجد دليلاً علمياً نافعاً تأخذ به ، وتطمئن إلى ما سرده من كلام لاطائل تحته ..

يقول ابن الأنباري : ـ اختلف الكوفيون في جواز تقديم التمييز ، إذا كان العامل فيه فعلاً متصرفاً ، نحو : ـ (تصبب زيد عرقاً) ، و (تفقأ الكبش شحماً) ، فذهب بعضهم إلى جوازه ، ووافقهم على

ذلك أبو عثمان المازني ، وأبو العباس المبرد من البصريين ، وذهب أكثر البصريين إلى أنه لا يجوز .

أما الكوفيون فاحتجوا بأنْ قالوا : ـ الدليل على جواز التقديم النقل والقياس ، أما النقل فقد جاء ذلك في كلامهم ، قال الشاعر : ـ

أتهجرُ سلْمى بـالفِراق حبيبَها   وما كان نفْساً بـالفراق تطيبُ

ووجه الدليل أنه نصب (نفساً) على التمييز ، وقدمه على العامل فيه ، وهو : ـ (تطيب) لأن التقدير فيه : ـ (وما كان الشأن والحديث تطيب سلمى نفساً) فدلّ على جوازه .

وأما القياس فلأن هذا العامل فعل متصرف ، فجاز تقديم معموله عليه كسائر الأفعال المتصرفة ، ألاَ ترى أن الفعل لما كان متصرفاً نحو قولك :ـ (ضرب زيد عمراً) جاز تقديم معموله عليه نحو :ـ (عَمْراً ضرب زيد) ولهذا ذهبتم إلى أنه يجوز تقديم الحال على العامل فيها ، إذا كان فعلاً متصرفاً ، ، نحو :ـ (راكباً جاء زيد) ..

قالوا ولا يجوز أن يقال تقديم الحال على العامل فيها لايجوز عندكم ، ولا تقولون به ، فكيف يجوز لكم الاستدلال بما لايجوز عندكم ، ولا تقولون به ؟ لأنا نقول : ـ كان القياس يقتضي ، أن يجوز تقديم الحال على العامل فيها إذا كان فعلاً متصرفاً .

إلا أنه لم يجز لدليل دلَّ عليه ، وذلك لما يؤدي إليه من تقديم المضمر على المظهر ، على ما بيّنا في مسألة الحال ، فبقينا فيما عداه على الأصل ، وجاز لنا أن نستدل به عليكم ، وإنْ كنّا لا نقول به ، لأنكم تقولون به ، فصلح أنْ يكون إلزاماً عليكم ..

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : ـ إنما قلنا إنه لايجوز تقديمه على العامل فيه ، وذلك لأنه هو الفاعل في المعنى ، ألا ترى أنك إذا قلت : ـ (تصبب زيد عرقاً) ، و (تفقأ الكبش شحماً) ، أن المتصبب هو العرق ، والمتفقئ هو الشحم ، وكذلك لو قلت :ـ (حسن زيد غلاماً ودابةً) ، لم يكن له حظ ، أي للفاعل فى اللفظ ، وهو (زيد) ، فى الفعل من جهة المعنى ، بل الفاعل في المعنى هو :ـ (الغلام والدابة) فلما كان هو الفاعل في المعنى ، لم يجز تقديمه كما لو كان فاعلاً لفظاً .

قالوا : ـ ولا يلزم على كلامنا الحال ، حيث يجوز تقديمها على العامل فيها ، نحو :ـ (راكباً جاء زيد) ، فإن (راكباً) فاعل في المعنى ، ومع هذا يجوز تقديمه ، لأننا نقول :ـ الفرق بينهما ظاهر ، وذلك لأنك إذا قلت :ـ (جاء زيد راكباً) ، فزيدٌ هو الفاعل لفظاً ومعنى ، وإذا استوفى الفعل فاعله من جهة اللفظ والمعنى ، صار (راكباً) بمنزلةِ المفعول

المختص ، لاستيفاء الفعل فاعله من كل وجه ، فجاز تقديمه كالمفعول ، نحو (عمْراً ضرب زيد) بخلاف التمييز ، فإنك إذا قلت :- (تصبب زيد عرقاً) ، و (تفقّأ الكبش شحماً) ، و (حسنُ زيدٌ غلاماً) ، لم يكن زيد والكبش الفاعل فى المعنى ، بل الفاعل هو (العرق والشحم والغلام) ، فلم يكن (عرقاً) و (شحماً) و (غلاماً) ، بمنزلة المفعول به من هذا الوجه ، لأن الفعل استوفى فاعله لفظاً لا معنى ، فلم يجز تقديمه ، كما جاز تقديم الحال ، انتهى ... ويستمر ابن الأنباري (غفر الله له) في سرد كلامه الممل ، واستدلاله بأباطيل ، يقصد بها تمويه الحقائق ، من أجل إباحة تقديم التمييز أو عدم إباحته .

وأين هو من العالم الجليل ابن جنّي الذي سبق ابن الأنباري بمائة وخمس وثمانين سنة ، ونجده يصرّح في كتابه الكبير (الخصائص) بقوله :- " ومما يقبح تقديمه الاسم المميز ، وإن كان ناصبه فعلاً متصرفاً ، فلا نجيز شحماً تفقأتُ ، ولا عرقاً تصببتُ ، وأما ما أنشده أبو عثمان ، وتلاه فيه أبو العباس من قول المخبّل :-

أتهجرُ ليلى بالفِراق حبيبَها   وما كان نفْساً بالفِراقِ تطيبُ

فنقابله برواية الزجّاجي ، وإسماعيل بن نصر ، وأبي اسحاق ، وهي :-

أتهجرُ ليلى بالفِراق حبيبَها   وما كان نفْسي بالفِراق تطيبُ

فرواية برواية ، وذلك أنَّ المميز هو الفاعل في المعنى ، ألا تَرى أن أصل الكلام :ـ (تصبب عرقي) و (تفقأ شحْمي) ثم نقل الفعل فصار في اللفظ لي ، فخرج الفاعل في الأصل مميزاً ، فكما لايجوز تقديم الفاعل على الفعل ، فكذلك لايجوز تقديم المميز إذا كان هو الفاعل في المعنى على الفعل " انتهى كلام ابن جنّي (رحمه الله) في شرحه لهذه المسألة ، وكأنه يرد على النحاة الذين امتلأت كتبهم بالسفسطة والأدلة الواهية ، والثرثرة التي لا طائل من ورائها ، ولا تنفع على محكّ الجدل والنقاش ، إلاَّ إذا كان النقاش نقاشاً بيزنْطياً .

ولله دَرُّ ابن مضاء الأندلسي ، العالم النحوي ، المتوفّى في سنة ٥٩٢هـ ، الذي ثار على زملائه وأقرانه من النحاة ، وشنّ على عللهم حرْباً شعْواءَ ، لاهوادة فيها ولا ملاينة ، في كتابه (الردُّ على النحاة) ، الكتاب القيّم ، الذي قام بتحقيقه ، العالم العربي الكبير ، الدكتور شوقي ضيف ...

وقد شدّد ابن مضاء النكير على النحاة ، وهو منهم ، وسخر من دعاواهم ، وأنكر عليهم ، حتى وصف عملهم في بعض المسائل بأنه منكر ، ويؤيد حكمه هذا بالحجة ، والبرهان الواضح .

ولو التفتنا إلى العلل النحوية وما أكثرها ، لفتحنا الباب على مصراعيه للبلداء ، وأنصاف المتعلمين ، من الكتاب والشعراء ، في هذا العصر الذي رمانا بعُجَرهمْ وبُجَرهمْ .. وحسْبنا من العلل النحوية ما يُقوِّم كتابتنا ، ويجنبها اللحن ، ويُبعدها عن خطل الكلام ، ويقربها من أصالة القول ، وفصاحة اللسان ، ويُبعدها عن العلل النحوية التي أعلّتْ النحو ، وأضاعت جهد علمائه ، فيما لاطائل من ورائه ، ولا غناء فيه ..

والجاهل من أنصاف المتعلمين ، يعجبه التأويل والتمحّل ، ليستعين به على ما يكتبه من شعر محصْرم ، ونثر رديء ، فإذا قال بيتاً من الشعر : ـ

يا طائفي أنت الهوى بفؤادي   أنتَ الأثير لديَّ حتّى مماتي

وهو بيت من قصيدة له نشرتْ في كتاب (من أدباء الطائف المعاصرين) ، للأخ الأستاذ .. على بن خضران القرني ، كما نشرتْ هذه القصيدة ، في كتاب (الشوق الطائف) ، للأخ الأستاذ .. حماد ابن حامد السالمي .

وقد نُشِر البيت بخطئه العروضي ، وقلنا له لايستقيم شطر بيتك الثاني ، إلاّ إذا حذفْتَ المدَّ من (حتّى) ، وكتبتها (حتَّ) ، وهذا لايجوز ، وليس له شاهد في العربية .

قال لك : ـ (هذا جائز لأنني أجيز الاكتفاء بالحركة الظاهرة ، وحذف حرف المد الساكن في الشعر ، إذا كان في إبقائه كسر للبيت .

فالشعر لا يقرأ حسب قواعد الإملاء ، وإنما يقرأ حسب موسيقاه ، ولو كانت قواعد الإملاء تفيد في موسيقى الشعر ، لما احتجتَ يا عالم العروض إليها للتمييز بين نغَم ونغَمٍ) وانظر ما جاء في الرد العجيب الذي كتبه أحدهم في جريدة الرياض في العدد ١٢١٠٦ الصادر في ٢٦ / ٥ / ١٤٢٢ هـ .

لذلك يجب علينا نزولاً على رغبة هذا المتعالم المغرور ، أن نقرأ بيته الشعري الرائع هكذا ، ليستقيم وزنه :ـ

يا طائفي أنت الهوى بفؤادي   أنت الأثيرُ لديَّ (حتَّ) مماتي

أرأيتم أيها القراء سفسطة كهذه السفسطة ، وجهلاً كهذا الجهل ، ثم يردف أحدهم قائلاً :ـ

(إنَّ علم العروض ، علم لاينفع ، وجهل لايضر فلا يزيد المثقف بياناً ، ولايرتقي به فكراً ، بل إنْ ليس هناك طالب علم في

حاجة إليه) وأضع (بلْ إنْ ليس هناك) بين حاصرتين ، لأنها جملة ركيكة ، وسيجد لها عند أساطين النقد ، ومنظّري اللغة في هذا الزمان ، مخرجاً يجتاز به هذا المأزق .

ونقول له على استحياء : ـ ألاَ ترى أن بيتك هذا يستقيم وزنه ، لو طبّقتَ عليه علم العروض الذي لاينفع على حد زعمك ، وقلت (أنت الأثير لديَّ عند مماتي) أو (أنتَ الأثير إلى مجيء مماتي) لسَلِمَ بيتك من الكسر .

وأنت كما صرّحتَ في مقالتك : ـ تعرف البيت الموقوص في البحر الكامل ، وتعرف تفاعيل البحور ، ودوائرها ، وزحافها ، وعللها ، فكيف يفوتك ذلك أيها الأديب الذي يتشدق بعلمه .

وليسمح لي أحدهم أن أقول له : ـ إن الوقص في (متَفاعلنْ) أو فقل الخبن في (مسْتفعلنْ) ، زحاف ثقيل ناب ، قلما يقع فيه الشاعر المتمكن ، وقد جاء على ثقله في قول قيس بن الخطيم : ـ

لأصْرِفَنْ لسِوى حُذيفةَ ـ مِدْحتي

لفتَى الكثيبِ وفارسِ الأجْرافِ

فقولــه :ـــ (لأصــرفَنْ) موقــوص علـــى وزن (مفــاعلَنْ) ، (٥١١٥١١)[1] .

وإني لأقول لأحدهم ، ولمن يأوي إليه ، ويلوذ به في الملمّات : ـ (إذا جوّزتم إثبات اللغة بشعر مجهول شاذ ، فجواز إثباتها بالقرآن الكريم أوْلى) ، وهـذا القـول هـو مـا قالـه الإمـام الفخـر الـرازي في تفسيره ... ويقول ابن حزم في كتابه (الفصل) : ـ (إنّي لأعجب ممَنْ إنْ وجـد لامـرئ القـيس ، أو لـزهير ، أو لجريـر ، أو للحطيئـة ، أو للطرمّاح ، أو لأعرابي أسدي ، أو سُلمي ، أو تميمي ، أو من سـائر أبناء العرب ، لفظاً في شعر أو نثر ، جعله في اللغة حجّة وقطـع بـه ، ولم يعترض فيه ، ثم إذا وجد لله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاماً ، لم يلتفتْ إليه ، ولم يجعْله حجة) .

وإنـي لأعجـب مـن أحـدهم وعصـبته ، أن يبتـدئوا بشـواهد حذف الياء ، بأبيات من الشعر نقلتْ إليهم مـن كتـاب (الإنصـاف)

---

[1] وقد وضع الخليل بن أحمد (رحمه الله) بيتاً ، دخل الزحاف (الوقص) على جميـع تفعيلاتـه ـ فقال : يذُبُّ عن حريمه بنبْلِهِ وسيْفِهِ ورمْحِهِ ويحتمي

والتفعيلة التي تدخلها الـوقص ، تسمَّى : موقوصـة ، سمّيـت بـذلك ، لأنهـا بمنزلـة الـتي انـدقتْ عنقها ، وانظر (الفصول والغايات) لأبي العلاء المعري ، ص٣١٩ .

لابـن الأنبـاري ، ثـم يـأتون بكـلام رب العـالمين بعـد هـذه الأبيـات الشـاذة ، لأن القـرآن الكـريم فـوق مسـتوى التـأويلات ، وإنَّ فيصـل الرأي فيه الاستشهاد النحوي والبلاغي بظاهره ، من غير نظر إلى قلة أو كثرة ، كما يقول الإمام ابن مالك ...

وأقول (أنا العبد الفقير) ، (فما جاء موافقاً لظـواهر الكتـاب الكريم أبقيناه ، وإلاّ أهملناه من غير أنْ نقبل فيه تأويلاً) .

ألا ترى أيها الفاضل ومن معك مـن العصـبة ، أنّ استشـهادك بأبيـات مـن الشـعر الشـاذة ، لا تكـون دليلاً علـى صـحة مـا تقولـه ، وحسبك وحسبهم ، أن تجعلوا ورود القرآن الكريم دليلاً على صحة ما تقولون ، وتكتفوا بالاستشهاد بـه لتنـالوا إعجابنـا ، ولا تنسـوْا مـا قاله ابن خالويْهْ في كتابه (الفصيح) : ـ (قـد أجمـع النـاس علـى أنَّ اللغة إذا وردتْ في القرآن الكريم ، فهي أفصح مما في غيره ، لا خلاف في ذلك) .

ويقول أحدهم ، والقول لـيس لـه ، وإنمـا هـو لأحـد جلسـائه وأنصاره ، ممن يلوذ به عنـد الملمـات ... قـال لافـض فـوه : ـ ثـم قـال الأستاذ رعاه الله : ـ وخطأ الزمخشري في كتاب المفصل أبا نواس وهو الشاعر الكبير في قوله :ـ كأن صغْرى وكبرى الخ لأنه استعمل صغرى

وكبرى نكرة ، وهذا الضرب من الصفات لايستعمل إلاّ معرفاً ، ولزم الصمت أبو نواس تأدباً ، لأنه شاعر كبير ، واعتذر له خلق كثير ...)

ثم قال أحدهم : ـ أين أبو نواس ، يا أستاذ من الزمخشري ، وأخذ يعيّن لي عصر أبي نواس وعصر الزمخشري .. وإني لأعلم أن بين عصر أبي نواس ، وعصر الزمخشري ، زمن طويل ، يعرفه طلاب المرحلة الثانوية ...

أبو نواس يا هذا ، هو الحسن بن هانئ ، شاعر العراق في عصر بني العباس ، قال الجاحظ عنه : ـ (ما رأيت رجلاً أعلم باللغة ، ولاأفصح لهجة ، من أبي نواس) ، وفي تاريخ وفاته خلاف بين المؤرخين ، فقيل في وفاته سنة ١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٨ من الهجرة ، ولم يعرف ديوان شعره محققاً مضبوطاً مشروحاً ، إلاّ في سنة ١٣٧٣ من الهجرة ، حينما قام الشاعر المصري أحمد عبد المجيد الغزالي بإخراجه مطبوعاً في مطبعة مصر ، وقد أشرف على طباعته الشاعر المصري الكبير عزيز أباظة (رحمه الله) ، وقد اقتنيتُ هذه الطبعة في سنة إخراجها ، أي في عام ١٣٧٣ من الهجرة ، وقد أخرجتْ شركة مطبعة مصر التي يرأسها حينذاك الشاعر الكبير عزيز أباظة : ـ ديوان أبي نواس في الثوب الذي يليق به ، وأصلحتْ ما أفسدتْه يدُ النسّاخ ،

ونفَتْ عنه ما أضافه الرواة ، وصحَحتْ ما لحقه من التصحيف والتحريف ، وقد حفظْتُ من شعره الكثير في شبابي ، وإنْ أنس فلا أَنس قصيدته الرائعة التي ابتدأها بقوله : -

أيُّها المنتابُ عنْ عفرهْ لستَ من ليلي ولا سَمَرهْ

لا أذودُ الطير عن شجَرٍ قد بلوْتُ المرَّ من ثمرهْ

وأما الإمام محمود بن عمر (جار الله) الزمخشري ، إمام اللغة والأدب والعلم والتفسير ، المتوفى في سنة ٥٣٨ من الهجرة ، فمن منا لايعرفه ، ولا يعرف عصره وزمانه ، ولقد اقتنيت من كتبه الكثير ، ويأتي في مقدمتها : ـ (الكشاف) في تفسير القرآن ، و (أساس البلاغة) ، و (المفصّل) ، و (الفائق في غريب الحديث) ، واقتنيتْ من كتبه أيضاً كتباً ذكرها الزركلي (رحمه الله) في كتابه الأعلام ، وأشار إليها بأنها مخطوطة لم تطبع ، ككتاب (المستقصى) في الأمثال ، وقال عنه : - رأيته في خزانة السيد حسن حسني عبد الوهاب بتونس ، مع أن هذا الكتاب قد طبع في المطبعة العثمانية بحيدر آباد في الهند ، قبل أن يطبع الزركلي كتابه الأعلام في طبعته الثانية التي اشتملتْ على عشرة أجزاء ... وقد تفضّل عليَّ بإحضار هذا الكتاب

من الهند ، صديقي وأخي الأستاذ الكبير محمد سعيد كمال ـ أسكنه الله فسيح جناته ـ ومازال الكتاب يقبع في مكتبتي بذكرياته العطرة .

وللزمخشري كتاب (القسطاس) في العروض ، كبير الفائدة طبع مؤخراً ، ويحمل آراء جديدة ، لم تعرف لأحد قبله من علماء العروض ، وله كتاب (ربيع الأبرار) ، أعادتْ طباعته الهيئة المصرية العامة للكتاب ، بعد أن نفدتْ طبعته العراقية .

وحينما قلت : ـ (ولهذا خطأ الزمخشري في المفصَّل أبا نواس في قوله : ـ (كأن صغرى وكبرى .. الخ) لكونه استعمل صغرى وكبرى نكرة ، وهذا الضرب من الصفات ، لايستعمل إلا معرفاً ، وقد لزم الصمت أبو نواس ، تأدباً لأنه شاعر كبير ، أي لزم الصمت ممنْ خطَّأه من معاصريه ،وكان هناك سقط فى الكتابة من الصحيفة التى نشرت المقالة [1] ، ولكنَّ أحدهم (غفر الله له) أخذ يتعالى عليَّ ويشرح لي ، ويفسر ويستأسد ، ويكشّر عن أنيابه ، ويسرف في الثرثرة ، ويملأ الدنيا ضجيجاً ، ويتهمني بأنني أنفقتُ العمر سُدى في قراءة التراث ، وخرجت منه خالي الوفاض ، كغيره من أصحابه وأعوانه ، ويود بكلامه هذا أن يُحدثَ لغطاً ، يؤثر على من يعرفني

[1] وقد نُشرتْ هذه المقالة مصححة في هذا الكتاب .

من الناس ، فيسيء بي الظن ، لذلك اضطررتُ أنْ أعرض للحقيقة بالتوضيح إلى من يهمني أمره ، وأما ما كتبه أحدهم في الرد عليّ ، فليس له عندي حساب أو شأن .

وكنت أنتظر من أحدهم أن يأتي لنا برد ابن أبي الحديد ، في كتابه (الفلك الدائر) على من خطّأ أبا نواس ، حيث قال ابن أبي الحديد : ـ (لاينكر أن كثيراً من أئمة العربية ، طعن في بيت أبي نواس ، ولكن انتصر لأبي نواس كثير منهم ، فقالوا : ـ وجدنا فعْلى أفعل في غير موضع واردة بغير لام ولا إضافة ، كمثل دنيا في قول الراجز : ـ (في سعْي دنيا طالما قد مدّتْ) ، وقول الآخر : ـ (وإنْ دعوتُ إلى جلّى ومكرمةٍ) ، وقول الآخر :ـ (لا تبخلنَّ بدنيا وهي مقبلةٌ) .

وقالوا : ـ (طوبى لك) ، وفي البيت وجه آخر ، وهو أن تكون (من) في قوله :ـ من فقاقعها ، زائدة على مذهب أبي الحسن الأخفش ، فإنه يذهب إلى ذلك ويحتج بقوله تعالى :ـ ﴿ فيها من برد ﴾ [1] ، أي فيها برد ، وهذا يرجح أن يكون صغرى وكبرى في البيت مضافتين) .

---

[1] آية ٤٣ من سورة النور .

وأضيفُ على قول ابن أبي الحديد : ـ قول العروضيين : ـ فاصلة صغرى ، وفاصلة كبْرى ، أي صغيرة وكبيرة ، لا يريدون التفضيل ، وإنما يريدون الاسم ، فلو قال أحدهم هذا القول ، لعلمتُ أنَّ في الساحة رجالاً نقدة ، ولكنَّ أحدهم ترك هذا كله ، وأخذ يوضح لنا أن عصر أبي نواس غير عصر الزمخشري ، ويريد بذلك أنْ يبعدنا عن انتقاد شعره المحصرم ، وأنْ يصرف نظرنا عن أبياته المكسورة ، التي تأتي جهلاً فيما يكتبه من شعر يفتخر به ، وحق له أن يفتخر في زمن ، يرقى إلى المنابر أحدهم ، لينشد بملء فمه أمام الجمهور ، ويقول :ـ (أذكر ، حين كان يباغتني الفجر ، أصحو كئيباً ، مثقلاً بالطريق الذي سوف أحمله فوق ظهري .. أذكر أن العصافير كانت تغرّد من الشنطة المدرسية في صباح الإجازة يوم الخميس ... أذكُر أنَّ الطريق إلى المدرسة كان يرفل في الأغنيات ، ولكن لم أكن لأراها ، لأن عيوني مثقلة بالنعاس .. . الآن أذكر جيداً وهي تغسلني بغبار الطباشير ، وأنا غارق في البياض ..) ويستمر في هذا الهذيان ، إلى أن يختتم كلامه بقوله : ـ (كالسماء تدق نواقيسها ، ليعود الرعاة إلى مخبأ في الجبال ، فلا ينظرون إلى ما تدس من الماء في باطن الأرض) ..

أرأيتم مثل هذا الكلام المبتذل ، يتْلى على الناس في المنابر ، وينال منهم التصفيق ، حتى تحمرَّ أكفهم ، فيعتقد صاحب الكلام الذي اقتحم المنابر ، أنَّ الشهرة تؤخذ بالطبل البلدي ، وأعجب العجب ، أن هذا الهذر يعجب بعضهم ، وهو دكتور متخصص فى الأدب العربي ، فيكتب تقريظاً طويلاً ، فى جريدة سيارة معروفة ومشهورة ، يبين فيه تجديد هذا الشاعر ، ويثني عليه ويقول :ـ (هذا النص على ما توحي به من هزة ، يقود إليها التذكر والاستحضار اليومي ، لكن هذا الرصد لم يفصح عن أكثر من عبارات (مجازية) من مثل :ـ (مثقلاً بالطريق الذي سوف أحمله) ، و (يرفل في الأغنيات ، وهي تغسلني بغبار الطباشير ، وأنا غارق في البياض) ، ويستمر صاحبنا في الإشادة بصاحبه الذي أسفَّ ، وأتى بهذه التعابير المشوّهة ، يلوك بها لسانه العربي ، ليقلد الغربيين ، وهم لا يحترمون من يقلدهم عن جهل ، فيأتي بتعابير سخيفة باردة ، يحمرُّ لها وجه أدبنا العربي الأصيل .

وأين المجاز في قول أحدهم :ـ (مثقلاً بالطريق الذي سوف أحمله) ، و (يرفل في الأغنيات وهي تغسلني بغبار الطباشير) ، و (أنا غارق في البياض) ، و (كالسماء تدق نواقيسها ـ ليعود الرعاة

إلى مخبأ في الجبال) .. والمجاز معروف عند من ألمَّ بشيء من علم البلاغة .

انْظر إلى قول أبي الطيب المتنبي : -

رَماني الدهرُ بالأرزاءِ حتَّى فؤادي في غِشاءٍ مِنْ نبالِ
فصرتُ إذا أصابتْني سِهامٌ تكسَّرتِ النِّصالُ على النّصالِ

أرأيتم مثل هذا التصوير الرائع الذي يعجز عن تصويره كبار الرسامين ، إن النصال مع استمرار الرمي بها عليه ، لا تستطيع أن تخترق قلبه ، لأنها تتكسر على النصال التي سبقتها ، والشواهد المجازية المعروفة التي تنحصر في المجاز المرسل والمجاز العقلي ، تملأ الشعر العربي الأصيل ، والمجاز بمبالغته البديعة ، له أثره في جعل شعرنا رائعاً يشنف الآذان ، ويأخذ بمجامع القلوب [1] .

وأما (مثقلاً بالطريق الذي سوف أحمله) و (كالسماء تدق نواقيسها ليعود الرعاة إلى مخبأ في الجبال) فهو كلام مبتذل ، يريد

---

[1] وانظر إلى قول علي بن الحسين بن حيدرة العَقيلي :-

ولـمّا أقْلعتْ سفُنُ المطايا بريح الوجْد في لُجج السرابِ
جرى نظري وراءهمو إلى أنْ تكسّر بين أمْواج الهضابِ

وفي شعر هذا الشاعر كثير من هذا الطراز الرائع ، وللشاعَر ديوَان مطَبوع .

صاحبه أن يبحث له عن مخبأ مع الرعاة ، ليختفي فيه اتّقاءً من أمطار مدينة الطائف التي تهطل بغزارة ، مع أن الشاعر حضري ولا يجيد رعي الأغنام ، وأين الشعر في هذا الكلام المرصوف ، الذي لا وزن له ، ولا جرْس ، وتعابيره جوفاء ، ومعانيه مستوردة ، وهل لسمائنا نواقيس تدق كنواقيس النصارى ، لقد قتلوا الشعر صبراً ، ودفنوه وأهالوا عليه التراب ، وليس له قود ، (إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون) .

ولي كلمة أخيرة :ـ حينما بعثنا بقصيدة أحدهم إلى موسوعة البابطين للشعر المعاصر ، حذفنا بعض أبياتها المكسورة ، وأصلحنا البيت الذي ذكرته آنفاً في مقالتي ، كالآتي :

يا طائفي أنت الهوى بفؤادي   أنت الأثير لديّ عند مماتي

وقد اعتمدت لجنة البابطين تصحيحنا ، ونشرت ما بعثناه إليها ... وهذه يد بيضاء ، من أيادي نادي الطائف الأدبي على أحدهم الذي تنكر لنا ، وقلب لنا ظهر المجن ، وناصبنا العداء ، فلا حول ولا قوة إلاّبالله ، والله المستعان .



النقد الأدبي يمر هذه الأيام بأزمة فكرية ، مما يجعل الناقد يقف حيران أمام الموضوعات التي يريد أن ينتقدها ، فهل يقوم الناقد بتوجيه المآخذ ، وينتقص العمل الأدبي الذي يكون ماثلاً أمامه ، بعد أن يقرأه قراءة متأنية ، أم يكيل الثناء على ما بين يديه من عمل أدبي ، ويأخذ في تبيين محاسنه ، وجمال ألفاظه ومعانيه ، ويبرز جودته بروز المحسوسات للحواس ، والنقاد لايخرجون عن ناقد يقف أمام النص مادحاً ، ويرى في كل جملة انتصاراً ، وفي كل معنى فتحاً جديداً .

وناقد يسرف في النقد ، ولا يجد راحة إلاّ إذا هدم النص على رأس كاتبه ، وطمس محاسنه ، وتصنَّع في نقده حتى أتَى بالتافه .

وناقد لاعمل له إلاّ أن يبين الزغل في الذهب ، بصدق وروية ، ويبحث عن تقويم العمل الأدبي ، فيحاول ما استطاع إلى ذلك سبيلاً

أن يظهر شيئاً من جمال العمل المنقود ، وحسن تركيبه وجمال صوره .

وأنا رجل أبحث دائماً عن الجمال في الشعر ، وأول شيء أبحث عنه وأنظر إليه في الشعر إذا كان الشعر عمودياً ، عن سلامته من الكسر ، وأترك مضمون القصيدة لغيري من النقاد ، فلعل أحداً منهم يجد فيها عاطفة متأججة ، وفكرة متوقدة ، وخاطرة عميقة ، ولحناً شجياً ، وصوتاً لطيفاً ، وإن كان الشعر في هذه الأيام يمر بأزمة فكرية ، حتى إنني أرى كثيراً من الشعراء ، لانصيب لهم من الشعر غير الوزن والقافية ،كما أجد آخرين من الشعراء يخطئون في الوزن ، ويجهلون العروض ، وأجد شعرهم لا يستميل القلب ، ولا يطرب السمع .. وهذا جهل منهم يذهب بجودة شعرهم ، ويجعله قاصراً رديئاً خالياً من الرونق والجمال .

والجمال في الشعر الحديث أنواع ، فقارئ يرى جمال القصيدة في عاطفتها ، وقارئ يراه في معانيها ، وآخر يراه في أسلوبها ، ولا ينسى القارئ إذا كان من عصبة اللغوين والبلاغيين بديعها وغريبها .

والشعر العلمي الذي نظم علماؤنا به قواعد العلوم ، لا نجد فيه مسحة من الجمال ، وإن استقام وزناً ، ومثله ما نقرؤه في هذه

الأيام من شعر ينشر في جرائدنا ومجلاتنا ، وكم تكون فرحة القارئ عظيمة ، إذا خلد الجمال شعرٌ جميلٌ ، فيهيم بهذا الشعر كما هام شيخ جليل من شيوخ بني العباس ، بجمال هذين البيتين عندما سمعهما ممن ينشدهما ، وهما من شعر العرْجي : -

باتا بأنْعمِ ليلةٍ حتى بدا صبْحٌ تنفّس كالحصانِ الأشْقَرِ

فتلازما عند الفِراقِ صبابةً أخْذَ الغريمِ بفضلِ ثوْبِ المعْسرِ

ويذكّرني رداءة الشعر الذي أقرؤه في هذه الأيام ، بما وقع لشاعر اسمه (خوير لوس) ، كان يتبع الإسكندر في حله وترحاله ، وقد كتب فيه ملحمة من الشعر ، يصف فيها حروبه ، ويتغنى فيها بمكارمه وفتوحاته وانتصاراته ، فلما أراد هذا الشاعر أن ينشد الإسكندر ما قاله فيه ، ساومه الإسكندر على أن يدفع له عن كل بيت حسن ، بضع قطع من الذهب ، من عملة الإسكندر ، ويصفعه صفعة ، عن كل بيت رديء ، وكانت النتيجة أن نال الشاعر عن ملحمته بعض القطع الذهبية ، ومات من شدة الصفعات .. وإني لأسأل قراءنا الذين يقرءون الشعر في هذه الأيام عن فهم ودراية ، كم شاعراً سينال الصفع في هذه الأيام ، حتى يروه مجندلاً صريعاً ...

والشيء بالشيء يذكر .. . ذكر المؤرخون العرب أن الفيلسوف الكبير محمد بن يحيى بن باجَّهْ (بتشديد الجيم وتسكين الهاء) ، أنشد أبا بكر بن إبراهيم ، والي غرناطة ، موشحاً في مدحه ، وكان ابن باجَّهْ شاعراً كبيراً ، فأطربه حتى كاد يفقده رشده ، فحلف ألاّ يمشي ابن باجَّهْ إلاّ على الذهب ، ولم يرض الشاعر لتواضعه ، فاكتفى والي غرناطة بأن وضع في نعل الشاعر ذهباً ومشى عليه .

وأنشد المتنبي مرة قصيدة مدح فيها عضد الدولة ، وهي من قصائد المتنبي الحذاء (بتشديد الذال المعجمة) ، ولما وصل إلى قوله [1] :

وألْقى الشرقُ منها في ثيابي

دنانيراً تَفِرُّ منَ البنانِ

قال عضد الدولة : ـ (والله لألقينَّ فيها دنانير لاتفر)

وأعود إلى ماكنت بصدده : ـ

قرأت في هذه الأيام قصائد لبعض الشعراء ، وهم شعراء لهم شعر جيد ، يخلو من الخطأ العروضي ، إلاّ أن ما قرأته من شعرهم أخيراً ،

---

[1] الشرق :ـ المشرق وهو الضوء والشمس ، والبنان :ـ أطراف الأصابع ، يقول التبريزي :ـ إن هذا الشجر كثير الورق ملتف ، فضوء الشمس يدخل من خلله ، فيكون على الثياب كأنه الدنانير ، إلاّ أنه يفر من البنان ، وليست الدنانير كذلك ، وهو معنىً لم يسبق إليه ...

قد لحق بعض أبياته كسر واضح لاأعرف سببه وكنهه ، وهؤلاء الشعراء لهم مكانة محفوظة في عالم الشعر ، غير أني أحببت أن أشاركهم في تهذيب قصائدهم ، نزولاً عند رغبة الشاعر الذي قال : -

لا تعْرِضنّ على الأنامِ قصيدةً مالم تكنْ بالغْتَ في تهْذيبِها

وإذا عرضْتَ الشعْرَ غيرَ مهذَّبٍ عدُّوهُ منك وساوِساً تهْذِي بِها

نشرت جريدة المدينة في ملحقها الصادر في يوم الأربعاء ٢٩ ربيع الآخر من عامنا الحالي ١٤٢٣ هـ .. قصيدة للشاعر عبد الله محمد جبر ، وقد كتبها حين قرأ ديوان الشاعر المبدع (عبد الله باشراحيل)، الديوان المسمى (قناديل الريح) ، وهو ديوان جدير بالقراءة ، وسأوفيه حقه إن شاء الله [1] .

---

(1) الشاعر الدكتور / عبد الله محمد صالح باشراحيل ، شاعر أخذ يشق طريقه بين الشعراء المبدعين ، حتى بزّ بعضهم وتفوّق عليهم ، واسترعى شعره نظر وسمع النقاد ، فكتبوا عنه للإشادة بشعره ، ولي موقف معه ، مضى عليه أكثر من ثلاثين سنة ، حينما نشر له الدكتور / سمير سرحان قصيدة في جريدة (عكاظ) ، وكان الدكتور سمير يشرف على الصفحة الثقافية بعكاظ ، وكان نقدي لقصيدته قاسياً ، إلاَّ أنه تقبله منّي بصدر رحب ، وقال لي بعدما قرأتُ له شعراً يخلب القلوب ، ويشنّف الآذان :- (لقد استفدتُ منك كثيراً) ، فقلتُ له :- هكذا يكون طلبة العلم الكبار ، يطوّعون النقد لجانبهم ويستفيدون منه . .

يقول الشاعر عبد الله جبر : -

قناديلك تخفــق وســط الريــاحْ

والطائر الشادي مهيضُ الجَنــاحْ

وهي قصيدة من البحر (السريع) ووزنها هكذا : -

مسْتفعلنْ / مسْتفعلنْ / فاعلنْ ــ مسْتفْعلنْ / مسْتفْعلنْ / فاعلانْ

عروضها مطوية مكشوفة (فاعلنْ) ، وضربها مطوي موقوف (فاعلانْ) ، ويدخل البحر (السريع) من الزحاف : -

(الخبن والطي والخبْلْ) ، فإذا نظرت إلى البيت الأول الذي افتتح الشاعر به قصيدته ، أجد الشطر الأول منه مكسوراً وزنه ، ويستقيم الوزن لو قال الشاعر : -

(يخفق قنديلك وسط الرياحْ) ونقطعه هكذا : -

مفْتعلنْ	مفْتعلنْ	فاعلانْ
يخفق قنْ	ـديلك وسْ	ط رْرياحْ
٥١١١٥١	٥١١١٥١	٥٥١١٥١

وقد دخل الطي التفعيلة الأولى ، والثانية ، من الشطر

ويقول الشاعر عبد الله جبر : -

إلى أين انفتحنا إلــى نكْبــةٍ ونكبــة مضــمرة واجتيــاحْ

فيكسر الشطر الأول ، ويستقيم وزنه ، لو قال الشاعر : -

(أين انفتحنا هل إلى نكبة) ونقطعه هكذا : -

مسْتفعلنْ	مسْتفعلنْ	فاعلنْ
أين نـ فتحْ	نا هلْ إلى	نَكْبتنْ
٥١١٥١٥١	٥١١٥١٥١	٥١١٥١

ويقول الشاعر : - (خمسون مرت وشهر زاد الردَى)

فيكسر شطر البيت ، ويستقيم الوزن لو قال الشاعر : -

(خمسون مرت شهرزاد الردى) ، ويحذف الواو ، وتكون (شهرزاد) منادى ، حذفت منه (يا) النداء .

ويقول الشاعر : -

كأنّها بومةٌ في الدُّجى لا تعْرفُ الشدْوَ ولا الإنشراحْ

فيكسر الشطر الأول من البيت ، ويستقيم وزنه لو قال : -

كأَنَّها بُومٌ أيا صاحبي لايعْرِفُ الشدْوَ ولا الإنشراحْ

ثم أقرأ قصيدة بعنوان (فلسطين والأسر) ، وهي للأستاذ خليل إبراهيم الفزيع ، نُشرتْ في مجلة (اليمامة) ، في العدد (١٧١٦) ، الصادر في يوم السبت ١٧ جمادى الأولى من عامنا ١٤٢٣ هـ .

يقول الفزيع من قصيدته : -

يا أمَّةَ العُرْب عذْراً فــالهوَى قــدرٌ

لكنِّي رغْم الهوَى ما زلتُ أعتــذِرُ

والقصيدة من البحر (البسيط) ، ووزنها : -

مسْتفعلنْ / فاعلنْ / مسْتفلنْ / فاعلنْ

مسْتفعلنْ / فاعلنْ / مسْتفعلنْ / فاعلنْ

ويـدخل البحـر (البسـيط) مـن الزحـاف : ـ الخْـبن والطـي والخْبل ، وعروض القصيدة لا تبقى صحيحة (فاعلنْ) ، بل تتحول مـن (فـاعلنْ) إلى (فعَلـنْ) بتحريـك العـين ، كمـا وقـع في قصـيدة (الفزيع) وضرب القصيدة (فعَلنْ) بفتح العين أيضاً ، والعروض في قصيدة (الفزيع) ، مخبونة (فعَلنْ) بتحريك العين ، وضربها مخبـون (فعَلنْ) بتحريك العـين أيضـاً ، إلاّ أن الشـاعر الفزيـع يـأتي بالشـطر الثاني من البيت مكسوراً ، ويستقيم وزنه لو قال الشاعر : -

يا أمَّة العرْبِ عذْراً فالهوى قَــدَرٌ

إني برغم الهوَى ما زلْتُ أعتــذِرُ

ثم يقول الفزيع : -

من يقتل الأطفال جوراً في منــــازلهم

ويدفن الأحياء والأحقــاد تســتعر

فيكسر الشطرين ، ويستقيم البيت بشطريه ، لو قال الشاعر الفزيع : ـ

من يقتلُ الطفلَ جَوْراً في منازلِهِ

ويدفِنُ الحــيَّ والأحقــادُ تســتَعِرُ

ونقطع البيت هكذا : ـ

من يقتلُ ط طفلَ جَوْ راً في منا زلِهِي ويدفِنُ لْ حيْيَّ ول أحقادُ تســ تَعِرُو

مسْتفعلنْ / فاعلنْ / مسْتفعلنْ / فعَلُنْ متَفْعلنْ / فاعلنْ / مسْتفعلنْ / فَعَلنْ

٥١١٥١٥١ ٥١١٥١ ٥١١٥١٥١ ٥١١١ ٥١١٥١١ ٥١١٥١ ٥١١٥١٥١ ٥١١١

ثم يقول الفزيع : ـ

من حالف الشيطان سراً أو علانية

وأعلن الحرب لا تُبقــي ولا تــذرُ

فيكسر الشطر الأول من البيت ، ويستقيم وزنه ، لو قال الشاعر : ـ

(إبليس حالفه ياقومنا علناً) أو قال : ـ (من حالف الشر سراً أو علانية) ، ونقطع الشطر من البيت : ـ

(من حالف الشرَّ سرّاً أو علانيةً)

مسْتفعلنْ	فاعلنْ	مسْتفعلنْ	فعَلنْ
٥١١٥١٥١	٥١١٥١	٥١١٥١٥١	٥١١١
من حالف شْ	شرَّ رسرْ	راً أو علا	نيتنْ

ثم يقول الفزيع : ـ

هذا الشهيد يلوح النصرُ في يده يقدِّم النفس مقـرونٌ بـه الظفَـرُ

والصواب أن يقول : ـ (يقدم النفس مقروناً به الظفرُ) ونعرب (مقروناً) حالاً منصوبة بالفتحة الظاهرة ، كما هو معلوم لدى أخينا وحبيبنا الشاعر خليل إبراهيم الفزيع ، ولكـن القلـم كثيراً مـا يسـبق صاحبه .

ثم أقرأ بعد ذلك قصيدة بعنوان (من سـلامة الـروح) ، وهـي للشاعر السوداني مصطفى عوض الله بشارة ، ، وهي قصيدة عجيبـة في وزنها ، نشرتها مجلـة (المنهـل) في عـددها الصـادر لشـهري رجـب وشعبان من عامنا الحالي ١٤٢٣ هـ .

قرأتها فترحمـت على شيخنا وأسـتاذنا الأسـتاذ العـالم الجليـل عبد القدوس الأنصاري (رحمه الله) ، الذي كان لايسمح لأنصاف الشعراء ، أن يقتحموا مجلته الراقية ..

والشاعر السوداني مصطفى عوض الله بشارة ، أراد أن يكتب قصيدته (سلامة الروح) ، من وزن (المتدارك) ، فأخطأ الجادة ، وبعد عن الصواب ، ففي قصيدته أبيات من وزن (مجزوء الوافر) ، فالشطر الأول من قصيدته (شربت الراح صافية) ، من (مجزوء الوافر) ، ووزنه (مفاعلْتنْ / مفاعلَتنْ) ، التفعيلة الأولي بسكون اللام، والتفعيلة الثانية (بفتح اللام) .

والشطر الثاني من البيت (من دنان الروح والطهْرِ) ، من البحر المديد ذي الضرب الأبتر .. (فعْلنْ) بسكون العين ، لأن هذا الشطر نقطعه هكذا : ـ

(من دنا ن رروح وططهرِ)

فاعلاتنْ / فاعلنْ / فعْلنْ

٥١٥١١٥١ ٥١١٥١ ٥١٥١

وأما البيت الثاني من القصيدة : ـ

وتنسمتُ عطرها فرحاً بين طيف الحلْم والشعْرِ

فهو من المديد ، إذا استقام وزن الشطر الأول ، لأنه غير مستقيم ، ويستقيم لو قال الشاعر : ـ

وشممْتُ العطْرَ في فرَحٍ بينَ طيْفِ الحلْمِ والشعْرِ

فيكـون البيـت بهـذا التعـديل مـن (البحـر المديـد) ، ذي العـروض المحذوفة المخبونة ، والضرب الأبتر ، ونقطعه هكذا : ـ

وشممْتَ العطـر فـي فـرحٍ   بين طيـف الحلْـم والشـعْرِ

وشممْتَ لـ عطر في فرحنٍ   بين طيفل حلْم وشْ شعْري

فَعَلاتنْ / فاعلنْ / فعَلنْ   فاعلاتنْ / فاعلنْ / فعْلنْ

٥١٥١١١ ٥١١٥١ ٥١١١   ٥١٥١١٥١ ٥١١٥١ ٥١٥١

وتأتي بعد البيتين ، أبيات من البحر المديد نفسه ، إذا عدلنا بعض كلماتها حتى تستقيم ، ثم يأتي الشاعر ببحر جديد ، هو (المتدارك) وينظم أبيات القصيدة على وزن البحر المتدارك ، فيقول : ـ

غنيْـتُ الكلمـةَ مبتهجـاً   بمعـاني السِّـيرَةِ والسُّـوَرِ

وتستمر قصيدته على هذا الوزن ، فيأتي بستة عشر بيتاً من البحر المتدارك ، إلا أنه يكسر شطرين من القصيدة ، هما :ـ

١) ـ ونبينا الهادي شافعنا   ٢) ـ أن يسعد أوطاني بالظفرِ

ويستقيم الشطران لو قال الشاعر : ـ

١) ـ ونبيُّ الرحمةِ شافعُنا   في يوم البعْثِ المُنْتظَرِ

ونقطِّع البيت بشطريه هكذا : ـ

فَعَلنْ / فعْلنْ / فعَلنْ / فعَلنْ   فعْلنْ / فعْلنْ / فعْلنْ / فعَلنْ

٥١١١ ٥١٥١ ٥١١١ ٥١١١   ٥١٥١ ٥١٥١ ٥١٥١ ٥١١١

ويستقيم الشطر الثاني ، لو قال الشاعر : ـ

اضْـرعْ للخـالق مبـتهلاً   تَسْـعَدْ أوطـاني بـالظفرِ

وقد أجريت التعديل على الفعل المضارع (أضرَعُ) ، فصار فعل أمر (اضرعْ) ، وسكّنت الفعل (تسعدْ) ، جواباً لفعل الأمر .. ونقطع البيت الثاني هكذا : ـ

اضْـــرعْ للخـــالق مبـــتهلاً   تَســـعَدْ أوطـــاني بـــالظفرِ

فَعْلنْ / فعْلنْ / فعَلنْ / فعَلنْ   فعْلنْ / فعْلنْ / فعْلنْ / فعَلنْ

٥١٥١ ٥١٥١ ٥١١١ ٥١١١   ٥١٥١ ٥١٥١ ٥١٥١ ٥١١١

ثم أقرأ قصيدة منشورة في جريدة البلاد ، في العدد ١٦٧٤٩ الصادر في يوم الجمعة ٩ جماد الأولى من سنة ١٤٢٣ من الهجرة ، بعنوان (منهاج الطريق) ، للشاعر محمد كامل خجا ، والقصيدة طويلة مكونة من اثنين وثلاثين بيتاً ، وهي من البحر (الرمل التام) ، الذي عروضه (فاعلنْ) ، وضربه مقصور ، أي دخله القصر ، وهو حذف السابع الساكن ، وتسكين ما قبله ، وبذلك تصير (فاعلاتنْ) (فاعلانْ) ، يقول الشاعر محمد كامل خجا : ـ

من بلاد الحق من نبع الهدى   مهبط الوحي ومشكاة الشروقْ

ووزنه هكذا : ـ

فاعلاتنْ / فاعلاتنْ / فاعلنْ   فاعلاتنْ / فعِلاتنْ / فاعلانْ

وقد دخل الخبن التفعيلة الثانية من الشطر الثاني ، فصارت (فاعلاتنْ) : ـ (فعلاتنْ) ، والخبن يدخل البحر (الرمل) ، كما يدخله الكف ، أي حذف السابع الساكن ، وبذلك تصبح (فاعلاتن) : ـ (فاعلاتُ) بضم التاء ، كما يدخله الشكل : وهو أن يجتمع الخبن مع الكف فتصبح (فاعلاتن) : ـ (فعلات) بتاء متحركة مع حذف الثاني الساكن .

ويستمر الشاعر محمد كامل الخجا في كتابة قصيدته التي لايخطئ فيها ، حتى يصل إلى البيتين السابع ، والثامن ، من القصيدة ، فيبدّلُ الشطر الأول من البيت السابع من البحر الرمل ، البحر الخفيف : ـ (أبدع الله صوغها وارتضاها) ونقطعه هكذا : ـ

أبدع الله صوغها وارتضاها

فاعلاتنْ / متفْعلنْ / فاعلاتنْ

٥١٥١١٥١ ٥١١٥١١ ٥١٥١١٥١

وأما البيت الثامن فهو من البحر الخفيف بشطريه ، يقول الشاعر محمد كامل خجا : ـ

ركعَ الدهْرُ خاشعاً في انْبهارٍ والشياطينُ كلُّهمْ في صعوقِ

وفاقية هذا البيت (صعوق) ، متحركة بالكسر ، لتكون من البحر الخفيف ، مع أن القوافي التي نظمها الشاعر من البحر الرمل ، يجب أن تكون ساكنة حتى يستقيم وزن الأبيات ، ونقطع البيت هكذا : ـ

ركع الدهر خاشعاً في انبهار	والشياطين كلُّهم في صعوقِ
فعلاتنْ / متفْعلنْ / فاعلاتنْ	فاعلاتنْ / متفْعلنْ / فاعلاتنْ
٥١٥١١١ ٥١١٥١١ ٥١٥١١٥١	٥١٥١١٥١ ٥١١٥١١ ٥١٥١١٥١

ومصدر صَعِقَ :ـ صَعَقاً وصُعَاقاً ، ولا ثالث لهما ، فمن أين أتى بصعوق . . .

ثم يأتي بالبيت التاسع من البحر الرمل ، ثم يعود إلى البحر الخفيف ، عندما يكتب الأبيات : ـ التاسع ، والعاشر ، والحادي عشر ، والثاني عشر ، من القصيدة العجيبة ، ثم يكتب الأبيات الثالث عشر من البحر الرمل ، ويستمر في البحر الرمل ، حتى يصل إلى البيت الثامن عشر : ـ

أبدعَ الله صوْغها وارْتضاها لصلاحِ العبْدِ منهاجَ الطريقْ

ليصبح الشطر الأول من هذا البيت من البحر الخفيف ، والشطر الثاني من البحر الرمل .

وهذا العمل من عجائب شعراء هذا الزمان المبارك ، الذي أنجب لنا شعراء مجددين في علم العروض ، فأطال الله أعمارهم وحفظهم الله من كل مكروه .

حاشية مهمة :

والبحر السريع الذي كتب الشاعر عبد الله جبر ، قصيدته على وزنه ، يأتي للعروض الثانية المخبولة المكشوفة (فعَلنْ) بتحريك العين ، ضرب ثانٍ (أصْلم) بسكون العين (فعْلنْ) ، وهذا من شواذ البحر السريع ، ويختلف العروضيون في هذا الضرب ، فمنهم من يأخذ به ، فتكون ضروب السريع به سبعة أضرب ، ومنهم لا يلتفت إليه ولا يأبه به ..

وكثيراً ما يلتبس خامس الكامل وشاهده .

ولأنت أشْجعُ من أسامةَ إذْ دُعيَتْ نَزالِ ولُجَّ في الذُّعْرِ

إذا أضْمِرتْ أجزاؤه ، بهذا الوزن من السريع ، كما وقع في هذا الالتباس ، بعض من حقق قصيدة الحارث بن حلّزة ، ومطلعها :-

لمن الديارُ عفَوْنَ بالحبْسِ آياتُها كمَهارقِ الفُرْسِ

إذ جعلها من البحر السريع الأصلم الضرب ، وهي من خامس الكامل ، لمجيء بعض أجزائها على (متفاعلنْ) ، بتحريك التاء مرة ، ومرة بتسكينها .

وأما البحر المديد الذي وردت بعض أبيات منه في قصيدة (مصطفى عوض الله بشارة) ، فيجب علينا أن نشير إلى ما قاله أبو العلاء المعري في كتابه (الفصول والغايات) : ـ (والمديد وزن ضعيف ، لايوجد في أكثر دواوين الفحول ، والطبقة الأولى ليس في ديوان أحد منهم مديد ، أعني امرأ القيس ، وزهيراً ، والنابغة ، والأعشى في بعض الروايات) .

وفي المديد ، كتب شيخنا وأستاذ نا العلامة (محمود محمد شاكر) ، كتابه (نمط صعب ونمط مخيف) ، وهو كتاب عظيم الفائدة ، فليرجع إليه من يشاءُ من القراء الذين يهتمون بهذا العلم .

وللمرقّش الأكبر قصيدة من البحر السريع ، جمع فيها بين الضربين ، ففيها واحد وعشرون بيتاً بضرب أصلم (فعْلنْ) بسكون العين ، من مجموعة أبياتها الخمسة والثلاثين ، وفيها أربعة عشر بيتاً بضرب مخبول مكشوف (فعَلنْ) بتحريك العين ، وقد ترتب على الجمع بين هذين الضربين ، الجمع بين نوعين من القافية ، لايجوز

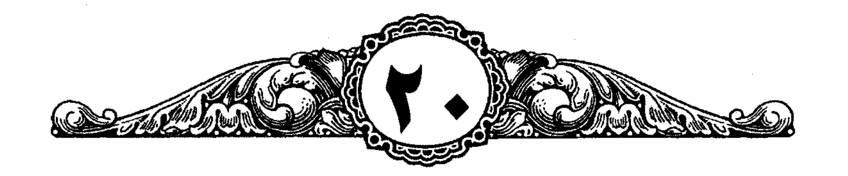
الجمع بينهما ، فالشاعر قد جمع القافية من المتواتر التي يفصل بين ساكنيها متحرك واحد ، ومن المتراكب التي يفصل بين ساكنيها ثلاثة متحركات ، وهو شاذ ونادر ، وقصيدة المرقّش الأكبر هذه ، منشورة في المفضليات التي افتتحها الشاعر بقوله : -

هلْ بالديار أنْ تُجيبَ صَمَمْ لو كانَ رسْمٌ ناطقاً كلَّمْ

ولا يجتمع نوعان من أنواع القوافي في قصيدة واحدة ، إلاّ في البحر السريع ، فإن المتواتر يجتمع فيه مع المتراكب إذا كانت القافية مقيدة ، أي آخر حرفها ساكن ، ولهذا خطّأ أبو العلاء المعري المرقّش الأكبر في قصيدته هذه ، وعدَّه خروجاً عما قرره الخليل بن أحمد (رحمه الله) ، ولم يؤيد ما ذهب إليه أبو العلاء المعري بعضُ علماء العروض ، ممن أجازوا هذا العمل [1] ، وللأعشى (أعشى قيس) قصيدة من تسعة وثلاثين بيتاً ، على وزن قصيدة المرقّش ، وإخال أن المعري لم يطلع عليها .

---

[1] كابن رشيق الذي قال :- ((ولا يجتمع نوعان من هذه الأنواع في قصيدة ، إلاّ في جنس من السريع ، فإن المتواتر يجتمع فيه مع المتراكب ، إذا كان الشعر مقيداً)) وانظر العمدة ج (١) ص ١٧٢ .



اطلعتُ على خماسيات الشاعرالدكتور .. إبراهيم بن محمد العواجي ، التي ستصدر قريباً في ديوان يحمل اسم (فجر أنت لاتغبْ)[1] ، وعندي يقين بأن ما جاء فيها من كلمات ، قد صنعت إيقاعات جديدة ، ومن معانٍ قد ذابت ألحانها في شدو جميل ، وفيها نظرات حكيمة إلى الحياة ، تريك منها ما خفي عليك ، وتصور لك معالمها ، بخيرها وشرها ، فتحس فيما يكتبه الشاعر روح الشعر ، التي تعطينا أثراً رائعاً تتجلّى فيه براعة الشاعر ، فيما يصف ويكتب ، وفي ديوانه هذا (فَجْرٌ أنتَ لا تغبْ) ، صور شائقة ، لا أستطيع في هذه الكلمة القصيرة استعراضها ، وحسْبُك أن تقرأ له هذه الأبيات : وهو يخاطب الفجر :-

وإنْ سألتْ فلولُ الشكِّ يوْماً أيُّها أهْوَى

[1] وقد صدر الديوان في طباعة أنيقة في سنة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م ضمن مطبوعات (نادي الطائف الأدبي)

ضِـــياؤكَ أمْ نــداءُ الأرْضِ أيُّهُمـــا غـــداً أقْـــوَى
أجَبْــتُ هُمــا معــاً حُبّــي وسِــرُّ الصــبْرِ والتقْــوَى
هُمــا نبْعــانِ يمتزجــانِ فــي نَهْــرٍ مــن النجْــوَى
وعِشْــقي قــاربٌ يطْفُــو رفيــقُ الحِــلّ والسـلْوَى

ثم يقول للفجر : ـ

شُــعاعُكَ حــينَ تَسْــكُبُه على خــدّ الفَضــا الصــافي
زُلالٌ يغْسِــلُ الأ سْــدافَ عنْ وجْــهِ السـما الحــافي
ويُصْبِحُ في شــتاءِ العُمْــرِ ضَــوْءَ بلادِنـــا الــدَّافي
يُجسِّدُ كلَّ مــا فــي الحــبِّ مــن طُهْــرٍ وأعْــرافِ
ويجْلو مــا يَســومُ الــنفْسَ مــن هَجْــسٍ ومــنْ خــافِ

وفجر الشاعر العواجي في هذه الخماسيات ، فجر لا يريد أن تحجبه الغيوم ، ولا يريد أن يغيب أبداً : ـ

صَــباحٌ دائــمُ الإشْــراقِ لا لَيْــــلٌ يبــــدِّدُهُ
ولا ظِــــلٌ ولا غَــــيْمٌ ولا رمْــــلٌ يــــراوِدُهُ

فجر يريده أن يبقى قلعة للحب الصادق ، والوئام الأخوي ، فجر يريده أنْ يُعلِّمَ الإنسان معنى الحب ، ويهْديَه إلى معالم طريقه التي وضع العواجي صُوَاها ، وحدَّدَ مسالكها.

فجر يريده أن يرسم لوناً للبسمة على الأجفان ، ونهاراً يمسَحُ وجْهَ الليل ، ليعيد الرؤية للإنسان ، ويزيل طيوف الشك بضوئه الساطع ، ويعيد الصحو ، ويعلن الحرب الضروس ضد قُوَى الشيطان :

يامَنْ قدْ يرسُمُ في يدِه　　لوناً للبسمة في الأجفانْ
ونهاراً يمسَحُ وجْهَ　　الليل يُعيدُ الرؤيةَ للإنسانْ
أعْلِنْ في وجْهِ ظلالِ التِّيهِ　　حُروباً ضدَّ قُوَى الشيطانْ
وأزِلْ يافجْرُ طُيوفَ الشّكِّ　　بضَوْءٍ يُقْبِلُ كالطوفَانْ
ويعُيدُ الصحْوَ لسيرتِهِ　　والحبُّ يعلّمُهُ الإنسانْ

ورسَمَ الشاعر في خماسياته البديعة فوق خدّ الأرض ، صوراً جميلة للعشق :ـ عشق الوطن ، وصوراً للأخلاق والمثل العليا .

وفي هذه الخماسيات ، خروج على المألوف من أوزان الشعر ، ولكنه خروج جميل ، لم يفقد الشعر رونقه وجماله ، وقد التزم

الشاعر موسيقى عذبة ، لها إيقاعها الجميل في الآذان المصغية ، أظْهرتْ المقدرةَ الصناعيةَ عند الشاعر القدير ...

وآذاننا بطبعها قد أَلفَتْ هذا النغم ، الذي توارثت سماعه على مر العصور .

وخماسيات الشاعر ، جاء جلُّها من وزن مجزوء الوافر ، هذا الوزن الذي يحاكي (البحر الهزَجِ) ، إلاَّ أنه أقل رتوباً ، لجمعه بين (مفاعَلَتُنْ) ، و (مفاعيلُنْ) في أغلب الأحيان .

والبحر الهزج قد أعرض عنه فحول الشعراء القدامى ، ولم نر شاعراً منهم خاض غماره ، وفي الخماسيات :- أربع خماسيات من البحر المتدارك ، وثلاث خماسيات من مجزوء الرمل ، وخماسية من البحر الخفيف ، وخماسيتان من وافي الوافر ، وخماسيتان من مجزوء الكامل ، وإحدى خماسيات مجزوء الرمل ، جاءت من وزن غير مطروق عند الشعراء ، وهي الخماسية التي يقول فيها الشاعر العواجي : -

أيُّ عهْدٍ ؟ يازمانَ الوصْلِ بالأَنْدلُسِ
يا زمَانَ الفتْحِ أيْنَ الفتْحُ يجلو غلَسي
هل رأيتَ القُدْس تبكي تحْتَ سوْطِ الدنَسِ

كيـــف يــــافجْرُ أُغنِّـــي لاقْتِتَـــــالِ الحَــــرَسِ

أَطْبَــقَ الضـعفُ وصــرْنا فـــي فَـــمِ المفْتَـــرِسِ

عروضـها (فـاعلاتنْ) ، وضـربها محـذوف مخبـون (فَعَلُـنْ) بتحريك العين ، يقول الدماميني عن هذا الوزن :ـ زعم الزجَّاج أنه لم يُرْوَ مثل هذا الوزْن شعْر للعرب ... قال ابن برّي : يعني قصيدة كاملةً .. .. غير أن خماسية العواجي لها شاهد عند علماء العروض ، وهذا الشاهد هو :ـ

قلْبُـــهُ عنْـــد الثُّريَّــــا بــــائنٌ عـــن جَسَـــدِهْ

العـروض (د ث ث ر ى يـا) ، ووزنهـا (فـاعلاتنْ) ، والضـرب (جَسَدِهْ) ، ووزنه (فَعَلنْ) بتحريك العين ... وخماسية العواجي هذه تثبت لنا أن الشعر العربي الموزون ، سيبقَى خالـداً على مر العصور ، وسيتطرَّق الشعراء بأصالتهم وقدرتهم الإبداعية ، إلى جميع أوزانه ، بما فيهـا الأوزان الـتي اختلف عندها العروضيون ، وكثر جدالهم حولها ، كهـذا الضرب المحذوف الذي لم يأت به شاعر قط في عصرنا الحاضر ، ولم أقرأ غير البيت الشاهد اليتيم عند علماء العروض :ـ قلبه عند الثريَّا .. الخ ، وهو بيت لم يتكرر مجيئه ، إلاَّ عند الشاعر الكبير إبراهيم محمد العواجي .

والشاعر العواجي له في البحر (المتدارك) ، خروج على المألوف ولكنه خروج جميل [1] ، سبقه إليه الشاعر السوري (نزار قباني) ، في قصيدة من ديوان (أُحبُّكِ أحبُّكِ والبقيّة تأتي) ، يقول العواجي :

يامَنْ قدْ يرسُمُ في يدهِ لوناً للبسْمةِ في الأجْفانْ
ونهاراً يمْسَحُ وجْهَ الليلِ يُعيدُ الرؤيةَ للإنسانْ

إلى آخر الخماسية ، وهي من البحر (المتدارك) الذي يأتي على :ـ فعلنْ / فعلنْ / فعلنْ / فعلنْ .. إمّا بتحريك العين ، وإمّا بسكونها ، فيحدث هذا الوزن جرساً حلواً ترتاح إليه أذن السامع .. غير أن الشاعر العواجي قد أحدث ضرباً سائغاً في هذه الأبيات (فعْلانْ) ، وهو ضرب لم أقرأه الاّ عند الشاعرين العواجي ونزار قباني ، حيث يقول نزار قباني من قصيدته :ـ

---

[1] الشاعر الكبير ، كالشاعر إبراهيم محمد العواجي ، إذا خالف العروض ، لا يريد بمخالفته تحطيم تراثنا الشعري ، لأنه يغار على تراث أمته ، وهو بمخالفته يريد أن يضيف شيئاً يرى استحسانه ، وهو معجب ومرتاح لصنيعه كغيره من الشعراء الكبار، كأبي العتاهية ، وابن الرومي ، ومحمد بن مناذر ، في تحديه للخليل بن أحمد (رحمه الله) .

اعطيني وقتاً حتَّى أدرسَ حالَ الريحِ   وحَالَ المَوْجِ وأدْرسَ خارطةَ الخُلجـانْ

فيأتي بالضرب (فعْلانْ) في هذا البيت ، وإن كان البيت منْ شعر التفعيلة الذي يغاير أبيات شاعرنا العواجي ، التي جاءتْ من الشعر العمودي الهادئ ، الذي يستسيغه الذوق ، وترتاح إليه الأذن .

وللعواجي بضع خماسيات من مجزوء الوافر ، خرجتْ على المألوف ، كعادة الشعراء الكبار ، إلاّ أنها صنعت لوناً جديداً من الأوزان ، لا يَمَجُّه الذوق ، ولا تصطدم به الأذن ، كخُماسيّته التي يقول فيها :

غـداً تُشْـرِقُ يـا فجـراً   تُعـرِّي طغْمَـةَ التضْـليلْ
فيهْرَبُ تحتَ وَطْءِ الضـوْءِ   خُفّـاشٌ هنـاك كَليـلْ

فالضرب في هذه الخماسية (مفاعيلانْ) ، وهو ضرب غير معروف في (مجزوء الوافر) ، وقد سبقه إلى الخروج على المألوف ، الأستاذ الكبير حسين سرحان (رحمه الله) في قصيدته التي يقول فيها :ـ

مـا أتْعـسَ الأنسـانْ   فـي حيثُمـا كانَـا
إنْ اغْتـدى جوْعـانْ   أوْ عـاشَ شـبْعانا

فعمد السرحان إلى تشكيل جديدٍ في الوزن ونقطعه هكذا :ـ

مستفْعلنْ / فعْلانْ ـــ مستفْعلنْ / فَعْلنْ

مستفْعلنْ / فعْلانْ ـــ مستفْعلنْ / فَعْلنْ

مستفْعلنْ / فَعْلنْ

وهـذا الـوزن قريـب مـن الموشـحات الأندلسـية ، وقـد نُشرتْ القصـيدة كاملـة في ديوانـه (الطـائر الغريـب) ، الصـادر عـن نـادي الطائف الأدبي .

كما سبقه إلى الخروج على المألوف أيضاً الشاعر سعد عبد الله الحميدين ، في قصيدته الطويلة المنشورة في ديوانه : (وتنتحر النقوش أحيانـاً) ، حيـث يـأتي بعـد كـل مقطوعـة مـن شـعر التفعيلـة بيتـان وزنهما :ـ

مستفْعلنْ / فعْلنْ ـــ مستفْعلنْ / فَعْلنْ

مستفْعلنْ / فعْلنْ ـــ مستفْعلنْ / فَعْلنْ

وهــو وزن قريــب مــن وزن قصــيدة الأســتاذ الكــبير حســين سرحان ، يقول الحميدين :ـ

ماعـــــــاد بالقـــــــادرْ يمْشــــي علـــــى الســــاترْ

أوْ يرتجـــي الآخــــرْ   أنْ يرتـــــدي زِيَّـــــهْ

وقد سبقهم إلى الخروج على المألوف ، كما زعم مؤرخو الأدب العربي القدامَى :ـ الشاعر أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم حين قال :ـ

عُتْــبُ مـــا للْخيـــالِ   خبّرينـــــي ومـــــالي

لا أراهُ أَتــــــاني   زائــــراً مــــذْ لَيـــالِي

لــــو رآنــــي صــــديقي   رقَّ لـــي أوْ رثَـــى لـــي

أوْ يرانــــي عــــدُوِّي   لانَ مــــنْ سُــوءِ حَــالي

فهذه الأبيات ، عدَّها مؤرخو الأدب العربي من الخروج على المألوف ، فلما قيل لأبي العتاهية : خرجتَ على العروض ، قال : أنا سبقت العروض ، وقد جاء هذا الخبر في كتاب (الشعر والشعراء) لابن قتيبة ، وغيره من كتب الأدب التراثية ، بيد أني أشك في صحة هذا الخبر ، لأن مجزوء الخفيف يأتي بعروض وضرب مقصورين ، فيأتي على وزن :ـ

فاعِلاتنْ / مفْعولنْ ـــ فاعِلاتنْ / مفْعولنْ

فإذا دخلهما الخبن صارا على وزن :ـ

فاعِلاتنْ / فَعولنْ ـــ فاعِلاتنْ / فَعولنْ

وهو وزن قصيدة أبي العتاهية ،

ولابـن المعتـز قصـيدة علـى هـذا الـوزن ، وزن قصـيدة أبـي العتاهيـة يقول فيها :ـ

طـــالَ وجْـــدي ودامـــا   وفنيـــــتُ سِـــــقامَا
أكـــل اللحْـــمَ ـ منّـــي   وأذابَ العظامـــــــا
قـــلْ لمـــنْ نـــامَ عنّـــي   صـــفْ لعينْـــي المنامَـــا
مـــا يضـــرُّ خلَيًّـــا   لـــو شـــفَى مسْـــتهاما
مفْـــرداً بضَـــناهُ   يحَســـبُ الليْـــلَ عَامـــا

وهذه حقيقة يجب توضيحها ، لأن الكثيرين من مؤرخي الأدب العربي ، يجهلون علم العروض ، فيختلط عليهم الأمر .

وشاعرنا الدكتور إبراهيم العواجي ، لم ينس وطنه كعادته في كل مانشره من شعر مطبوع ، استْمعْ إليه وهو يخاطب وطنه بهذه الخماسية البديعة ، التي تجلّتْ فيها نفحات وطنية ، قد انفرد بها شاعرنا الكبير ، وتجلّتْ هذه النفحات في كل لون من ألوان شعره حتى الغزل يقول :ـ

وطني شموسُ المجْد ترضَعُ ثَدْيَــــهُ حتّـــى الثُمالَـــهْ
مـــن رحْمــهِ وُلــدَ النبــيُّ وأشْــرقَتْ منــه الرسـالهْ
في أرْضــهِ نَبــتَ الهــوَى والحــبُّ فــي دمِــه أصـالهْ
منْ عقْلــهِ عُــرِفَ النُّهــى مــنْ نُــوره للبــدْرِ هالـــهْ
ولفجْــره معْنـــى الخلــودِ ألسْــتَ يــا فجْــري مِثالَــهْ

ولقد قرأنا أبياتاً لابن الرومي وأُعْجبنا بها ، واختارها علماء التربية نصاً يُتْلَى على طلبة المدارس .

يقول ابن الرومي : ـ

ولي وطَنٌ آليْــتُ ألاَّ أَبيعَــهُ وألاّ أرَى غيْري لهُ الدهرَ مالكا
عهدتُ به شرْخَ الشبابِ ونعْمــةً كنِعْمةِ قوْمٍ أصبْحوا في ظِلالكا
فقد أَلِفتْه النفْسُ حتى كأنّــه لها جَسَدٌ إنْ بانَ غُودرْتُ هالكا
وحَبَّبَ أوطانَ الرجالِ إليهمُو مآربُ قضَّاها الشبابُ هُنالكـا
إذا ذَكَروا أوطانَهمْ ذكَّرتْهُمو عُهودَ الصِّبا فيها فحنُّوا لذالِكا

ولـو نظرنـا إلى النصـين بعـين الإنصـاف ، لجـاء نـص الشـاعر العواجي متفوّقاً ، لدقة تصويره وعمق فكرته ، نص يحيي الشعور ، وينمّـي معنـى الـوطن ، ويزكّـي الحمـاس ، ويبعـث الأرْيحيـةَ في

النفوس ، لأن الشاعر العواجي يكتب شعره عن عاطفة ملحّة ، وشعر العاطفة غذاءُ النفوس ، ومثيرُ الهمم ، ورسولُ الوطنية ، وهو الذي يستحق أن يدَرَّسَ لجيلنا الصاعد .

وسيجد القارئ في هذه الخماسيات ، الشعر الصادق بصوره الرائعة ، التي يرسمها لنا الشاعر العواجي ، بنظرته الدقيقة ، وتعمقه الواسع ، وسيخرج القارئ راغباً في تلاوة الخماسيات مرة أخرى ، وخير الشعر ما يستهويك إلى قراءته ، مرَّاتٍ ومرّاتٍ .

مراجع الكتاب

١) القرآن الكريم .

٢) نقد الشعر لقدامة بن جعفر الكاتب طبعة مكتبة الخانجي .

٣) ذم الخطأ في الشعر لابن فارس طبعة مكتبة الخانجي ١٤٠٠هـ .

٤) الوافي في العروض والقوافي للخطيب التبريزي طبعة دار الفكر بدمشق في سنة ١٩٧٩م .

٥) العمدة لابن رشيق القيرواني طبعة المكتبة التجارية بمصر سنة ١٣٥٣هـ .

٦) القسطاس في علم العروض لجار الله الزمخشري طبعة مكتبة المعارف ببيروت ١٩٦٢م .

٧) العاطل الحالي والمرخص الغالي لصفي الدين الحلي طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م .

٨) قضايا الشعر المعاصر لنازك الملائكة طبعة دار الكتب ببيروت ١٩٦٢م .

٩) شرح حماسة أبي تمام للمرزوقي طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٣٨٧هـ .

١٠) كتاب الكتّاب لابن درستويه طبعة دار الكتب الثقافية بالكويت ١٣٩٧هـ .
١١) شرح المفصل لابن يعيش الطبعة المنيرية .
١٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام المصري تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
١٣) الفصول والغايات لأبي العلاء المعري طبعة الهيئة المصرية العامة ١٩٧٧م .
١٤) ديوان أحمد شوقي طبعة شركة فن الطباعة بمصر ١٩٤٨م.
١٥) الكتاب لسيبويه طبعة الهيئة المصرية العامة ١٣٨٥هـ.
١٦) دولة النساء طبعة مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٥م .
١٧) الكامل للمبرد تحقيق د / محمد زكي مبارك طبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٥هـ .
١٨) شروح سقط الزند لأبي العلاء المعري طبعة الدار القومية بالقاهرة عن طبعة دار الكتب لعام ١٣٦٤هـ .
١٩) الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري طبعة دار المعارف بمصر ١٣٩٥هـ .

٢٠) اقتضاء السراط المستقيم للإمام ابن تيمية طبعة سنة ١٣٦٩هـ على نفقة الأمير منصور بن عبد العزيز آل سعود (رحمه الله) .
٢١) العيون الغامزه على خبايا الرامزة للدماميني طبعة الخانجي بمصر ١٣٨٣هـ
٢٢) العقد الفريد لابن عبدريه الأندلسي طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر الجزء الخامس من الكتاب (الجوهرة الثانية)
٢٣) الصوت القديم الجديد للدكتور عبد الله الغذامي طبعة كتاب الرياض ١٤٠٥هـ .
٢٤) كتاب العروض لسعيد بن مسعدة (الأخفش الأوسط) طبعة المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة في سنة ١٤٠٥هـ .
٢٥) كتاب القوافي لسعيد بن مسعدة (الأخفش الأوسط) طبعة دمشق ١٣٩٠هـ .
٢٦) شفاء الغليل في علم الخليل لمحمد بن علي الحلي طبعة دار الجيل ببيروت ١٤١١هـ .
٢٧) ضرورة الشعر لأبي سعيد السيرافي طبعة دار النهضة العربية ببيروت ١٤٠٥هـ .

٢٨) عروض الورقة لأبي نصر الجوهري طبعة نادي مكة الثقافي ١٤٠٦هـ .
٢٩) البارع في علم العروض لابن القطاع الصقلي ؟ طبعة المكتبة الفيصليه بمكه المكرمة ١٤٠٥هـ .
٣٠) الشافي في علم القوافي لابن القطاع الصقلي ؟ طبعة دار آشبيليا بالرياض ١٤١٨هـ .
٣١) أبو تمام وقضية التجديد في الشعر للدكتور عبده بدوي طبعة الهئيه المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥هـ .
٣٢) نمط صعب ونمط مخيف للشيخ محمود محمد شاكر طبعة دار المدنى بمصر ١٤١٦هـ .
٣٣) شرح الصبان محمد بن علي أبي العرفان علي منظومته ، طبعة المطبعة الخيرية ١٣٢١هـ .
٣٤) عيار الشعر لابن طباطبا ، طبعة المكتبة التجارية بمصر ١٩٥٦م .
٣٥) المرشد إلى أشعار العرب وصناعتها للدكتور عبد الله الطيب المجذوب طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٥٥م .
٣٦) فن التقطيع الشعري والقافية للدكتور صفاء خلوصي طبعة دار الكتب ببيروت سنه ١٩٦٦م .

٣٧) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت الصادرة في سنة ١٤٠٢هـ .

٣٨) إعجاز القرآن للإمام محمد بن الطيب الباقلاني ، طبعة دار إحياء العلوم ، الصادرة في سنة ١٤١٥هـ .

٣٩) تاريخ ابن خلدون طبعة دار الفكر ببيروت الصادرة في ١٤٠١هـ.

٤٠) فصيح ثعلب طبعة المطبعة النموذجية بمصر الصادرة في سنة ١٣٦٨هـ .

٤١) شرح تحفة الخليل لعبد الحميد الراضي طبعة مؤسسة الرسالة ١٣٩٥هـ.

٤٢) الإقناع في العروض وتخريج القوافي للصاحب بن عبَّاد مطبعة المعارف ببغداد سنة ١٣٧٩هـ .

٤٣) لزوم ما لايلزم لأبي العلاء المعري طبعة الخانجي بمصر ١٣٤٢هـ

٤٤) رسالة الغفران لأبي العلاء المعري طبعة دار المعارف بمصر بتحقيق د / بنت الشاطئ الطبعة الرابعة .

٤٥) الأعلام لخير الدين الزركلي الطبعة الثانية .

٤٦) موسيقى الشعر للدكتور إبراهيم أنيس ، طبعة دار القلم ببيروت .

٤٧) الدر النضيد في شرح القصيد لابن واصل الحموي ، طبعة جامعة المنيا بمصر .

٤٨) أزاهير الفصحى لعباس أبو السعود ، طبعة دار المعارف .
٤٩) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه طبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٠هـ .
٥٠) التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبرى تحقيق محمد علي البجاوي طبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٧٦هـ .
٥١) إعراب القرآن لأبي اسحاق إبراهيم بن السري (الزجاج) طبعة الهئيه العامة بشؤون المطابع الأميريه ١٣٨٤هـ .
٥٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي طبعة حسام الدين القدسيّ - القاهرة ١٣٥٠هـ .
٥٣) طبقات الشعراء لابن المعتز طبعة دار المعارف بمصر ١٣٧٥هـ .
٥٤) الشعر في البلاد السعوديه لأبي عبد الرحمن بن عقيل .
٥٥) الطريق إلى موسيقى الشعر الخارجية للأستاذ محمد حسن عواد .
٥٦) مبلغ الأرب فى فخر العرب لابن حجر طبعة مكتبة القرآن بالقاهرة .
٥٧) البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري طبعة الهئية المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠هـ .
٥٨) إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحيي الدين درويش طبعة دار الإرشاد السورية ١٤٠٨هـ .

فهرس

المطبعة الأهلية للأوفست بالطائف
تليفون ٧٣٢٦٦٦٠ ـ فاكس ٧٣٣٥٤٦٥